وزارة العليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر – 2- أبو القاسم سعد الله -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

العلاقات الجزائرية المصرية في عهد الرئيس أحمد بن بلة ما بين 1962 – 1965 (الميدان الثقافي أنموذجا)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب : إشراف الدكتور :

زيان عمار بشير سعدوني

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور : أ.د عبد القادر مولاي .....رئيسا

الدكتور : د. بشير سعدوني .....مقررا

الدكتور : د. عبد القادر كرليل .....عضوا

السنة الجامعية : 2014 - 2015

شكـــــــر وعـــــــرفـــــــان

تكريسا لمبدأ من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وإحساسا مني بالدعم الذي قدّمه لي الكثير من النّاس سواء كان ماديا أو معنويا ، فإنّي أتقدّم إليهم بالشكر الجزيل وأخص بالذكر والديّ العزيزين اللّذين كانا سببا في وجودي ودعما لي في حياتي وفي دراستي حتّى وصولي إلى هذا المستوى .

كما أتقدّم بالشكر والامتنان لأستاذي القدير بشير سعدوني الذي ساعدني أيّما مساعدة ولم يبخل عليّ بتوجيهاته القيّمة فكان نعم السند لي في كتابة مذكرتي هذه وله الفضل كذلك في تصويب الأخطاء التي وردت فيها .

كما أتوجه بالشكر الجزيل كذلك إلى أعضاء لجنة المناقشة الأساتذة الفضلاء وأتمنّى أن تتسّع صدورهم لما بدر منّي من أخطاء سواء في المذكرة أو أثناء المناقشة ، كما لايفوتني أن أتقدّم بالشكر لكل من ساهم من قريب أو بعيد في مساعدتي لكتابة هذه المذكرة .

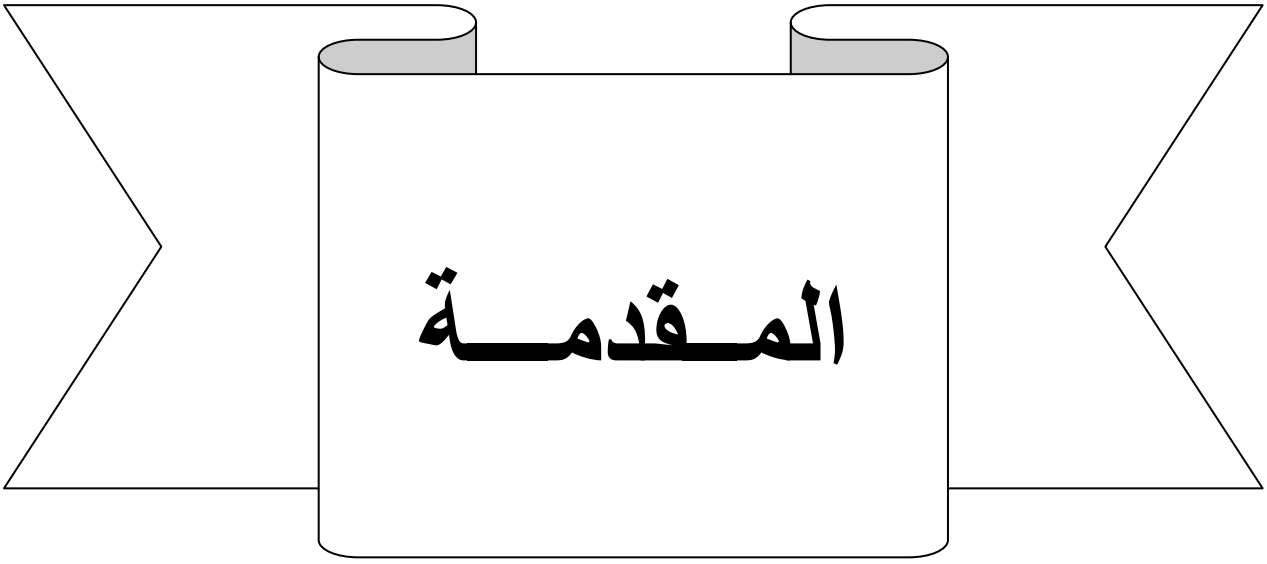
المـقدمـــة

تعتبر الجزائر من أوائل الدول العربية والإيالات العثمانية التي تعرّضت للهجمة الاستعمارية الأوربية (الاستعمار الأوربي الحديث) خلال القرن التاسع عشر ، فاستعمار الجزائر يدخل في إطار الحروب الصليبية ، وهو دور من أدوار المسألة الشرقية ، وقد لبثت الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي مدة 132 سنة ، وتأخّر استقلالها كذلك مقارنة ببقية الدول العربية التي استُعمرت .

عانت الجزائر خلال هذه الفترة الاستعمارية الطويلة ويلات السياسة الاستيطانية الفرنسية متعدّدة الأوجه والميادين ، والتي حاولت فرنسا من خلالها تقويض أركان الحضارة العربية والإسلامية التي كانت تتمتع بها الجزائر ، لكنّ الشعب الجزائري لم يستكن يوما للاستعمار بل انتفض في وجهه وقاومه منذ أن وطئت قدمه أرض وطننا ، وقد اختلفت أساليب هذه المقاومة باختلاف الفترات الزمنية من جهة وباختلاف الظروف والإستراتيجية الاستعمارية من جهة أخرى .

وهناك بعض المؤرخين من يعتبر أنّ الشعب الجزائري كان سبّاقا في الدفاع على ما اصطلح عليه بالقومية العربية خلال القرن التاسع عشر ومنهم المؤرخ أبو القاسم سعد الله ، وقد تجسّد ذلك في ثورته ضد كل ما هو غربي من حضارة ولغة والتمسّك والدفاع عن اللّغة العربية والدين الإسلامي .

وغداة استقلال الجزائر وجدت نفسها تعاني من مخلّفات وبراثن الاستعمار ، وفي مقدّمتها المسخ الحضاري وسياسة التجهيل التي كانت تمارسها فرنسا ، حتّى أنّ نسبة الأمية وصلت إلى أكثر من 80 % حسب تقديرات أغلب المصادر كالميثاق الوطني لسنة 1964 ، كما ورثت الجزائر فئات من المجتمع مثقفة ثقافة فرنسية ومتأثّرة بالحضارة الغربية ، والذين سوف لن يدّخروا جهدا في الدفاع عن هذه الثقافة حتّى ولو أدّى بهم الأمر إلى مناصبة العداء للغتهم وثقافتهم الوطنية ، وهذا ما حصل بالفعل .

إذن الجزائر بعد استرجاع استقلالها وسيادتها الوطنية بدأت تعمل من أجل استرجاع مقوّماتها المسلوبة وفي مقدمتها اللّغة العربية ، فقامت بربط علاقات صداقة وتعاون مع الدول العربية التي كانت رافعة لشعار الدفاع عن القومية العربية وفي مقدّمتها مصر .

وقد ساعد على ربط أواصر الأخوّة بين البلدين عاملان هامّان هما : أولا الدور الكبير الذي لعبته مصر أثناء ثورة الجزائر وذلك بتقديم الدعم المادي والمعنوي لهذه الثورة والعامل الثاني هو العلاقة الطيبة التي كانت تربط الرئيسين الجزائري أحمد بن بلة والمصري جمال عبد الناصر والتي ترجع إلى فترة الخمسينيات .

إنّ البحث الذي أقوم به يتناول موضوعا هاما في تاريخ الجزائر ، وهو السنوات الأولى للاستقلال أي فترة الرئيس أحمد بن بلة (1962 – 1965)، سوف أحاول أن أسلّط الضوء على المعركة التي قادتها الجزائر بعد الاستقلال في سبيل استعادة الثقافة والهويّة الوطنية وإعادة بناء دولة غُيِّبت لمدة قرن وثلث القرن ، وبالتالي فإنّ الجزائر قد خرجت من ثورة التحرير إلى ثورة البناء والتعمير ، وفي سبيل ذلك جنّدت كل طاقاتها من أجل استعادة المكانة الحقيقية للّغة العربية وللثقافة والتراث الوطني ، لكنّها اصطدمت بالعديد من التحدّيات والعراقيل كان أهمّها نقص الإطارات المعرّبة التي سوف تساهم في هذه الثورة الثقافية التي تبنّتها الجزائر وهي ثورة التعريب ، لذلك اضطّرت في إطار التعاون مع الدول العربية الشقيقة إلى طلب العون من هذه الدول وخاصة دول المشرق العربي ، وفي مقدّمتها مصر ، باعتبار أنّ هذه الدولة كانت في تلك الفترة تمثّل مركز إشعاع حضاري ،وكانت رافعة لشعار الدفاع عن القومية العربية ، هذا من جهة ومن جهة أخرى نظرا للاعتبارات المرتبطة بالدولتين اللّتين كانتا ترتبطان بعلاقات صداقة متينة ، خاصة وأنّ مصر لم تدّخر جهدا خلال ثورة الجزائر المجيدة ، وذلك بدعمها ماديا ومعنويا ، ممّا جعلها تُعتبر أقرب الدول إلى الجزائر في تلك الفترة خاصة في إطار السياسة الخارجية المنتهجة من الدّولتين والتي شهدت نوعا من التقارب .

أسباب اختيار الموضوع :

ومن بين الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع الذي يحمل عنوان " العلاقات الجزائرية المصرية في عهد الرئيس أحمد بن بلة ، الميدان الثقافي أنموذجا " ، هي تلك الأحداث التي شهدتها العلاقات بين الدولتين في الفترة الأخيرة وأقصد بذلك تلك المشاحنات والتوتر في العلاقات بين البلدين بسبب لعبة كرة القدم ممّا قد يوحي للجيل الحالي الذي لم يُعايش ثورة التحرير الجزائرية من البلدين بهشاشة العلاقات بينهما ، لكنّ ذلك لا يعدو أن يكون إلاّ سحابة صيف سرعان ما تنقشع .

- أحاول من خلال هذا الموضوع إبراز الدور الكبير الذي لعبته مصر في دعم الثورة الجزائرية ماديا ومعنويا ، وبالتالي أحاول رد القليل من الجميل الذي أسدته مصر للثورة الجزائرية وللجزائر المستقلة .

- اخترت هذا الموضوع كذلك نظرا لأنّه لم يأخذ النصيب الكافي من الكتابات ،حيث نجد معظم ما كُتب في الموضوع عبارة عن مذكّرات لبعض الشخصيات التي عايشت الأحداث ، وقد تناولتَه من خلال نظرتها الشخصية وتحليلها الشخصي ممّا يجعل ما جاء في هذه المذكرات أحيانا مختلفا إلى حدّ التضارب ، فهناك من يثمّن الدور المصري وهناك من يُقلل منه بل وينتقده ، أو عبارة عن مجموعة من المقالات الموجودة في الصحف والجرائد المعاصرة لتلك الفترة .

- محاولة ترسيخ البعد الحضاري للجزائر وذلك من خلال تأصيل وترسيخ القيم الحضارية من لغة ودين وتاريخ مشترك ، ممّا يشرح ويفسّر عمق الأواصر الحضارية التي تربط الجزائر ببقية دول العالم العربي والإسلامي ، وبالتالي تفنيد آراء من يُشكّكون في عروبة الجزائر ويهمّهم أن تبقى على صلة حضارية وثقافية مع البلد المُستعمِر السابق .

- محاولة إبطال المزاعم والإشاعات التي لصقت بطبيعة العلاقات بين البلدين في هذه الفترة ، والتّي تصوّر العلاقة على أنّها علاقة تبعية من الجزائر لمصر .

- إبراز التحدّيات والصعوبات التي واجهت التقارب بين البلدين وخاصة في الميدان الثقافي من طرف فئات معينة ، كان يهمّها أن تبقى الجزائر مُمجّدة للثقافة الفرنسية حتى يتسنّى لهذه الفئات ممارسة سلطاتها الواسعة تحت المظلة الفرنسية ، لذلك فقد أضمرت العداء لكل ما يُمتّ بصلة إلى اللّغة والثقافة العربية وهذا لجهلهم بها ، وقد قيل سابقا من جهل الشيء عاداه .

- محاولة إبراز التحولات التي شهدتها الجزائر بعد الاستقلال والمتعلّقة بالتخلص من الثقافة الغربية التي طغت على الساحة الوطنية أكثر من قرن وثلث القرن ، وربط جسور التواصل مع الدول العربية الإسلامية .

- سأحاول كذلك من خلال هذا الموضوع إبراز مدى عقم السياسة الفرنسية الممارسة في الجزائر طيلة 132 سنة ، والتي كان يهدف من خلالها مسخ الشعب الجزائري وتنصيله من مبادئه وتاريخه ، وفصله ما أمكن عن الحضارة العربية الإسلامية .

تتمحور إشكالية هذا البحث في :

- كيف وقفت مصر إلى جانب الجزائر خلال الثورة التحريرية في معركتها للدفاع عن مقوماتها العربية والإسلامية ، والوقوف في وجه سياسة التغريب التي كان يمارسها الاستعمار الفرنسي ؟ وكيف ساهمت مع بقية الدول العربية في محاولة بعث الثقافة العربية والإسلامية في الجزائر المستقلة ؟ وما هي مظاهر التعاون الثقافي والدّعم الذي قدّمته جمهورية مصر للدولة الجزائرية المستقلة حديثا ؟

- ما هي الصعوبات والتحديات التي واجهت التعاون بين البلدين ؟

صعوبات البحث :

إنّ التعرض لمثل هذا الموضوع الحسّاس يفرض على الإنسان التجرّد من الذاتية ومن كل التأثيرات التي تفرضها الظروف ، والتجرُّد كذلك من النزعة الشوفينية التي نلمسها في بعض المصادر التي أرّخت لبعض الأحداث في هذه المرحلة ، وذلك ليس بالأمر السّهل فهو يتطلّب تمحيصا للمادة التاريخية واستنباط الأصح منها .

- من بين الصعوبات التي واجهتني في بحثي هذا ضيق الوقت أو بالأحرى عدم التفرّغ كلية للبحث وذلك نظرا للارتباطات الأخرى المتعلّقة بالعمل والأسرة بالإضافة إلى بعد المسكن عن هياكل البحث من مكتبات وأرشيف وجامعات .

- شحّ المادة التاريخية وذلك راجع لسببين هما أولا : قصر المرحلة الزمنية محلّ الدراسة وهي فترة الرئيس أحمد بن بلة التي لا تتجاوز الثلاث سنوات والثاني : عدم تركيز المصادر الموجودة على الجانب الثقافي في العلاقة بين البلدين ، والذي يشمل العديد من الميادين الثقافية ، حيث ركّزت هذه المصادر على ميدان التعليم فقط وأهملت الميادين الثقافية الأخرى .

- نُدرة الكتب التّي تؤرّخ لهذا الموضوع وصعوبة استقاء المعلومات نظرا لتفرّقها على الصحف والجرائد المعاصرة لهذه الفترة مثل جريدة المجاهد أو الشعب أو مجلة الجيش ...، مع قلّة المقالات المكتوبة في الموضوع .

لقد اجتهدت في بحثي هذا قدر المستطاع في اعتماد المنهج التحليلي النقدي التاريخي الذي يعتمد عادة على عرض الأحداث التاريخية ، وتقييمها من حيث أهمّيتها وأبعادها وتأثيراتها ، وتحليل الأحداث وتفسير التطورات واستخلاص النتائج المترتبة عنها ، وذلك محاولة منّي رفع بعض الغموض واللّبس الذي يعتري بعض الروايات التاريخية حول الموضوع والتي تبقى تأثيراتها السلبية لحد الساعة .

أمّا المنهج الثاني الذي اجتهدت كذلك في توظيفه في بحثي هذا هو المنهج الوصفي الذي يساعد على عرض و تقرير الوقائع والأحداث ووضعها في سياقها التاريخي ويساعد على الإحاطة ببعض جوانب الموضوع .

وصف مراجع البحث : بالنسبة للمصادر والمراجع التي اعتمدتها في بحثي هذا يمكن أن أقسمها إلى خمسة أقسام رئيسة وهي : - القسم الأول : مصادر أساسية في البحث حيث لا غنى عنها ومنها :

كتاب أحمد توفيق المدني (حياة كفاح ، الجزء الثالث) ، فتحي الديب (عبد الناصر وثورة الجزائر) رغم ما فيه من مآخذ حاولت تحاشيها ، المجموعة الكاملة لخطب وتصريحات جمال عبد الناصر في أجزائها الثلاثة ، محي الدين عميمور (أربعة أيام صححت تاريخ العرب وكتاب أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى) .

- القسم الثاني : مجموعة من المراجع الهامة التي ساعدتني وسهّلت استنباط المعلومات الصحيحة من مصادرها مثل : كتاب بن جامين ستورا (تاريخ الجزائر منذ الاستقلال) ، اسماعيل دبش (السياسة العربية والمواقف الدولية اتجاه الثورة الجزائرية 1954- 1962) ، مصطفى زايد (التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر 1962 – 1982) ، الطاهر زرهوني (التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال) ، عثمان سعدي (كتاب قضية التعريب في الجزائر ، وكتاب التعريب في الجزائر كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية) .

- القسم الثالث : الدوريات والصحف المعاصرة للفترة المدروسة مثل جريدة المجاهد بالفرنسية وبالعربية ، جريدة الشعب ، مجلة الثقافة ، مجلة الجيش ،...

- القسم الرابع : بعض المذكرات الجامعية مثل : رسالة دكتوراه لمريم صغير (المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954 – 1962) ، رشيد ولد بوسيافة (تعامل مصر مع الثورة الجزائرية من خلال كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر) .

- القسم الخامس : تتمثل في المذكرات الشخصية لبعض الشخصيات التي عاصرت أو صنعت الحدث مثل : ميرل روبير (مذكرات أحمد بن بلة) ، مذكرات طاهر زبيري (نصف قرن من الكفاح ، مذكرات قائد أركان جزائري) ، مذكرات الرئيس علي كافي ، لخضر بورقعة (شاهد على اغتيال الثورة)،...

وقد حاولت أن أحيط بحيثيات الموضوع من كل الجوانب لذلك قمت بتقسيمه إلى أربعة فصول وهي كالآتي :

- الفصل الأول : تناولت فيه العلاقات الجزائرية المصرية إبّان الثورة (1954 – 1962) ، حيث استعرضت في هذا الفصل الموقف المصري الرسمي والشعبي من الثورة الجزائرية ، كما تكلمت فيه عن العلاقة الطيبة التي كانت تربط جمال عبد الناصر بأحمد بن بلة ، وكيف ساهمت هذه العلاقة في تزايد الدعم المصري للثورة الجزائرية .

وفي الأخير تكلّمت عن الدعم المصري للثورة الجزائرية وقسمته إلى قسمين : الدعم المعنوي والسياسي ، والدعم المادي واللوجستيكي .

- الفصل الثاني : تناولت في هذا الفصل أوضاع الجزائر غداة الاستقلال ، حيث تكلّمت عن الأوضاع الاجتماعية المأساوية التي ورثتها الجزائر عن الاستعمار الفرنسي ، ثمّ تكلّمت عن الأوضاع الاقتصادية المتدهورة ، وفي الأخير استعرضت الأوضاع الثقافية ، وكل هذه المباحث تعكس كارثية النتائج المترتبة عن السياسة الاستيطانية الفرنسية .

- الفصل الثالث : تناولت فيه موضوع التعاون المصري الجزائري عشية الاستقلال ، حيث استعرضت فيه بعض مظاهر التعاون بين البلدين في الميدان السياسي ثمّ الميدان الاقتصادي ، وفي الأخير تطرّقت إلى بعض مظاهر التعاون في الميادين الأخرى كالميدان العسكري مثلا .

- الفصل الرابع : خصصته للدّعم المصري للجزائر المستقلة في الميدان الثقافي فأشرتُ إلى المساهمة الكبيرة لمصر في تقديم العون والدّعم الثقافي للجزائر ، حيث شمل هذا الدعم أولا ميدان التعليم بمختلف أطواره (ابتدائي ، متوسط ، ثانوي ، جامعي)، وكذا الميادين الثقافية الأخرى كالمسرح وبقية الفنون ...

وفي الأخير تطرّقت إلى الصعوبات والعراقيل التي وقفت كحجر عثرة في وجه التعاون الجزائري المصري ،والتي كانت توضع من طرف المنافحين والمدافعين عن الثقافة الفرانكفونية.

وأنهيت دراستي هذه بخاتمة حاولت من خلالها الإجابة عن التساؤلات التي تضمّنتها الإشكالية من جهة ، ومن جهة أخرى بعض الاستنتاجات التي توّصلت إليها من خلال بحثي المتواضع هذا .

وفي الأخير أتقدّم بالشكر والامتنان لكل من قدّم لي يد المساعدة في إنجاز هذا البحث ، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل الدكتور بشير سعدوني ، المشرف على هذه المُذكرة والذي لم يبخل عليّ بأيّ مساعدة ممكنة خلال بحثي هذا ، كما له الفضل في تصحيح فصول هذه الرسالة ، كما أتقدّم بالشكر إلى كل من ساعدني في مراحل البحث من عمّال الأرشيف و المكتبة الوطنية ، وأستسمح كل من قدّم لي يد المساعدة ولم اذكر اسمه.

و أرجو أن أكون قد وُفّقت ولو بشكل بسيط في استعراض بعض جوانب الموضوع ، لأنّني أعترف أنّ الموضوع لم يكن بالأمر الهيّن فقد وجدت صعوبات كبيرة في جمع مادّته التاريخية نظرا لندرتها ، هذا وما كان من توفيق فهو من الله وحده ،وما كان غير ذلك فهو تقصير منّي ، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

الفصل الأول :العلاقات الجزائرية المصرية إبّان الثورة

(1954 – 1962)

المبحث الأول : موقف مصر من الثورة الجزائرية عشية اندلاعها .

المبحث الثاني : علاقة جمال عبد الناصر بأحمد بن بلة وأثر ذلك على سير العلاقات .

المبحث الثالث : الدّعم المصري للثورة الجزائرية .

المبحث الأول : موقف مصر من الثورة الجزائرية عشية اندلاعها .

حملت مصر على عاتقها هموم تحرير الأمة العربية بعد تخلصها هي من التبعية الاستعمارية لبريطانيا ، فآوت العديد من مناضلي الأقطار العربية في فترة الخمسينيات ، وخاصة من أقطار المغرب العربي وفي مقدمتها الجزائر .

وإذا ما حاولنا معرفة البدايات الأولى للاتصالات الرسمية بين الحكومة المصرية وقادة الحركة الوطنية قبيل الثورة فلابد من استعراض عدة أقوال عن هذه الاتصالات حيث يذكر أحمد توفيق المدني في مذكراته حياة كفاح " أنّ جماعة المنظمة الخاصة قد أرسلت وفدا يتكون من أحمد بن بلة ، محمد خيضر ، امحمد يزيد ، حسين لحول وقابلت بواسطة فتحي الديب من إدارة المخابرات المصرية الرئيس جمال عبد الناصر ، فأطلعته على منهاجها الثوري وعزمها على القيام بالثورة في أقرب وقت ممكن "([1]) .

كشفوا كل ذلك للرئيس جمال عبد الناصر وقد صرح جمال عبد الناصر لأحمد توفيق المدني خلال شهر أكتوبر 1956 في حديث شخصي معه ، " أنه درس بغاية الاهتمام ما قاله له الوفد وأنه طلب من الوفد مهلة تفكير 3 أيام ... وعاد إليّ الوفد وصارحته برأيي ، وتداولنا طويلا وحددنا إمكانياتنا ووعدتهم أنني أكون معهم إلى النهاية ، وأمدّهم حالا بما يمكن من سلاح خفيف ، وأن أسعى شخصيا لدى الدول العربية ، وخاصة السعودية لكي تمد الحركة بالمال ، وهكذا أمرت الأخ فتحي والأخ عزت سليمان بأن يكونا مع الوفد ممثلين لي شخصيا ... وأعطيت الأمر للملحقين العسكريين المصريين أن يكونوا أينما كانوا في خدمة الحركة الجزائرية ، واستمرت الأعمال إلى يومنا هذا كما قص عليك الأخ فتحي ، وبعثنا بالأسلحة من عندنا ومما اشتريناه من الخارج إلى رجال الثورة ." ([2])

يشير فتحي الديب أنه انعقد مؤتمر بالتنسيق مع الجامعة العربية ، ضم كافة أحزاب المغرب العربي بتاريخ 3 أفريل 1954 ، وترأس هذا الاجتماع بمقر الجامعة العربية عبد المنعم مصطفى الأمين العام المساعد للشؤون السياسية ([3])

وقد تبلورت في هذا الاجتماع الأفكار الجزائرية التي كانت تدعو إلى الابتعاد عن التقليدية في الكفاح ، والإصرار على الكفاح المسلح كطريق إيجابي لتحرير الوطن ، وكان المطلب الأساسي للوفد الجزائري هو الحصول على السلاح فقط .([4])

1- أحمد توفيق المدني :حياة كفاح مع ركب الثورة الجزائرية ،ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1982،ص1

2- نفس المصدر ، ص 18 .

3- فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ،ط1، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع، القاهرة ،1984، ص.21

4- نفس المصدر، ص 25 .

وبعد انتهاء هذا الاجتماع قدّم فتحي الديب تقريرا مفصلا إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، الذي وافق على مبدأ دعم حركة النضال المسلحة في الجزائر طالبا من فتحي الديب متابعة تطوراتها بدقة ، وقام بن بلة بإبلاغ المناضلين الذين يُعدّون للثورة بموافقة الرئيس جمال عبد الناصر المبدئية على دعم كفاح الجزائر ، وذلك في الاجتماع الذي عقده في مدينة برن السويسرية في أوائل أكتوبر 1954 ، وناقش فيه الحاضرون أسس بدء الكفاح المسلح على ضوء دراستهم للوضع في الجزائر.([1])

في البداية كانت هناك بعض الاختلافات في وجهات النظر بين الوفد الجزائري والقيادة المصرية حول أسلوب النضال حيث كانت ترى القيادة المصرية ضرورة توحيد الجهود بين مناضلي المغرب ، وهذا ما كان يرفضه مسؤولو الثورة .

وفي هذا الصدد يشير أحمد بن بلة إلى هذه الاختلافات بين رفاقه والمسؤولين المصريين حول بعض القضايا وكيفية معالجتها ، ذلك أن المسؤولين المصريين كانوا يعتبرون بن بلة ورفاقه جزءًا من الحركة الوطنية في المغرب العربي ، ومن هذا المنطلق حاولوا إقناع بن بلة ورفاقه بالاندماج مع السياسيين المغاربة من أجل تنسيق العمل على مستوى الحركات السياسية في المغرب العربي وخلق حركة ثورية موحدة ([2])

قال بن بلة : " ورفضنا شارحين للأصدقاء المصريين أسباب رفضنا ، وقد اشمأزّوا في أول الأمر لكن فيما بعد أثنوا على وضوح موقفنا ونزاهته كذلك ، ورفضنا قبول تمويلهم إذا كنّا غير متفقين مع مفاهيمهم ، وفي النهاية هم الذين غيّروا مواقفهم ووعدونا بكل مساعدة ممكنة عندما نعلن الثورة ".([4])

1- فتحي الديب : المصدر السابق ، ص 41 .

2- ميرل روبير :مذكرات أحمد بن بلة كما أملاها عليه،ترجمة العفيف لخضر،ط1 ، دار الآداب ،بيروت ،1979،ص.94

3- المصدر نفسه ، ص95 .

من هذا المنطلق كانت مصر من الدول العربية الأولى التي وقفت موقفا إيجابيا من الثورة الجزائرية ، ونظرا لأهمية فكرة القيام بالثورة وجدّية أصحابها ، اقتنع جمال عبد الناصر باقتراح هؤلاء النشطاء ممن آمنوا بوجوب العمل المسلح واتخذ قراره بالوقوف بكل إمكانيات مصر إلى جانبهم في كفاحهم المسلح ، إذ يذكر المرحوم المناضل محمد بوضياف في هذا السياق : " بأنّني خرجت من الجزائر باتجاه القاهرة أحمل بيان أول نوفمبر لإذاعته على أمواج – صوت العرب - ، غير أنني تعطلت في برن بسويسرا ، الأمر الذي دفعني إلى إرسال البيان عن طريق البريد السريع ولم أتمكن من دخول القاهرة حتى يوم 2 نوفمبر 1954"([1])

إذن محمد بوضياف أرسل رسالة مشفرة من مدينة برن بسويسرا في 29 أكتوبر 1954 ممضاة باسمه المستعار – طبيب – ، يُعلم فيها الوفد الخارجي في القاهرة بتاريخ الثورة " الختان يكون في أول نوفمبر على الساعة الواحدة مساءً " ، مع الإعلان عن قدومه إلى القاهرة من أجل تقديم معلومات أوفى ، ويطلب تدخلا لدى المصريين للحصول على تأشيرة الدخول وإرسال نجدة مالية، وهي رسالة بالفرنسية تُرجمت إلى العربية وتمت قراءتها عبر إذاعة – صوت العرب بالقاهرة ، وكذلك بيان أول نوفمبر تمت ترجمته إلى العربية وقراءته عبر إذاعة صوت العرب ([2]).

ومع بداية نوفمبر 1954 كان العالم على موعد مع قيام الثورة الجزائرية ... وإذا ما حاولنا تقييم موقف مصر منذ بدايات التحضير الأول للثورة الجزائرية حتى اندلاعها ، فإننا نقول أنه كان موقفا مساعدا أو مشجعا للقيام بهذه الثورة عام 1954 .([3])

1- محمد بلقاسم وآخرون : القواعد الخلفية للثورة الجزائرية –الجهة الشرقية 1954، 1962- المركز الوطني للدراسات والأبحاث ،الجزائر 2007 ، ص168 .

2- مبروك بلحسين: المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر –القاهرة 1954- 1956) ، دار القصبة ،الجزائر 2007، ص ، ص (86،87).

3- عمار بن سلطان وآخرون: الدعم العربي للثورة الجزائرية ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر ،2007 ،ص 148 .

ويذكر فتحي الديب أن تسرّب أول صدى لبدء الكفاح الجزائري ساعة الثامنة مساءً يوم 1 نوفمبر 1954 ، في صورة خبر أنه حدث تمرد جزائري ومحاولات تخريب قُدّرت خسائرها بعدة مئات من آلاف الفرنكات الفرنسية ، " وجاء الخبر بمثابة الشرارة التي أشعلت كافة مشاعري بالحرارة والحماس والسعادة ، التي انتابتني وملأت قلبي بالفرح الذي فاق كل تصور ، وبادرت على الفور بإبلاغ السيد الرئيس عبد الناصر والسيد زكريا محي الدين .. وكان لوقع النبأ أثاره الواضحة في رنّة الفرحة التي لمستها في نبرات الرئيس عبد الناصر والسيد زكريا محي الدين اللّذين وجها إليّ التهنئة بما شدّ من أزري وعزيمتي ، واستعادتي الثقة الكاملة في نفسي والتي شاركني فيها زميلي الأخ عزت سليمان ".([1])

إذن نقول أن مصر كان لها موقف إيجابي من اندلاع الثورة الجزائرية ، لأنّها كانت ترى أن تحرُّرها من الاستعمار البريطاني مازال ناقصا باعتبارها جزءا من جسد الأمة العربية ، وفرحة الانتصار لا تكتمل إلا بتحرر بقية الدول العربية ، هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت القيادة المصرية ترى أن الأمن القومي المصري لا يتحقق إلا بتحرر الجزائر وبقية الدول العربية الأخرى كفلسطين ، لذا حملت على عاتقها مهمّة تدعيم الحركات التحررية في هذين البلدين ، مما كلفها غاليا حيث اعتبرتها الدول الغربية حجر عثرة في طريقها وأصبحت تتحيّن الفرص للانقضاض عليها من أجل تأديبها وإيقاف تدخلاتها في شؤون مستعمرات هذه الدول وهو ما يفسر قيام فرنسا وبريطانيا وإسرائيل بعدوانها الثلاثي على مصر في 29 أكتوبر 1956 ، وهو ما سنشير إليه لاحقا عندما نتكلم عن الدعم المصري للجزائر وآثار وانعكاسات ذلك الدعم .

وإذا كان الرئيس المصري جمال عبد الناصر وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة قد أعطى الضوء الأخضر لدعم الثورة انطلاقا من قناعاتهم كعرب ، فإن هناك تيار داخل مجلس قيادة الثورة المصرية كان رافضا لدعم ومساندة الجزائريين على اعتبار أن الثورة داخل مصر مازالت فتيّة وتحتاج إلى نضال طويل تتطلبه أوضاع البلاد الداخلية ... ومعنى ذلك أن التيّار المعارض لدعم الثورة الجزائرية كان يرى أنّ الثورة الجزائرية في حدّ ذاتها مجرد مغامرة خاسرة لا أكثر ولا أقل .([2])

1- فتحي الديب: المصدر السابق ، ص ، 47 .

2- مريم الصغير : المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954- 1962 ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 2008 ، ص 190 .

في هذا الصدد يذكر لطفي الخولي وهو كاتب عربي في مقابلة له مع جريدة الأهرام يوم 7 ديسمبر 1985 : " أنّ الفضل في تأييد الحكومة المصرية للكفاح الجزائري هو جمال عبد الناصر ، لكي يتمكّن من مساعدة الثوار في الجزائر الذين وعدهم منذ البداية بقبول مبدأ المساعدة ، حيث كان هو الوحيد الذي يعرف التنظيم الأول للقيام بالثورة في الجزائر ... وباندلاع الثورة في الجزائر علم مجلس قيادة الثورة المصرية بالاتصالات الأولى للثوّار الجزائريين مع عبد الناصر ، فظهر اتجاه واسع داخل قيادة الثورة المصرية ، عارض بشدّة قيام أيّ صلة بين الحكومة المصرية والثورة الجزائرية ، مستندا إلى عدة حجج ومبررات ركّزت حول الأوضاع الداخلية التي تعيشها الثورة المصرية الوليدة ، ولذلك لا يمكن فتح عدة جبهات وهي غير قادرة على التصدي لها ، وكان غالبية أعضاء مجلس الثورة المصرية يرون في الثورة الجزائرية مجازفة فاشلة ...ويرى البعض منهم أنه من غير مصلحة الثورة المصرية وهي ما تزال تواجه الاستعمار البريطاني أن تفتح جبهات خارجية ، وأن تعادي فرنسا وكل أعضاء حلف الأطلسي " .([1])

وحسب نفس الكتاب فإن كمال الدين حسين أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة المصرية قد ذكر في مقابلة شخصية معه يوم 24 جويلية 1985 بالإسكندرية : " أن كل ما قيل عن معارضة مجلس الثورة المصرية لمساعدة الثورة الجزائرية لا أساس له من الصحة ، حيث أن مجلس الثورة كان متجاوبا كاملا ، لأن عبد الناصر وقادة ثورة 23 يوليو كانوا يعتبرون أنّ حركات التحرر في البلاد العربية ومساندتها هو جزء من استقلال مصر " ،...وعن مجهودات عبد الناصر الفردية اتجاه قادة الثورة الجزائرية ، يرى كمال الدين حسين أنّ السرية التي كان يسير بمقتضاها عبد الناصر كانت سرية واجبة لأي عمل ناجح . ([2])

وقد استطاع التيار الناصري داخل مجلس قيادة الثورة المصرية أن يقنع التيار الرافض لدعم الثورة الجزائرية بعدة معطيات موضوعية أهمها :

1- أنّ الثورة الجزائرية ليست قضية الشعب الجزائري وحده بل هي قضية مصر وكل العرب

2- الجزائر كجبهة ثورية تُشكّل خطا دفاعيا أماميا بالنسبة لمصر

3- الثورة الجزائرية سند قوي لمصر والأمة العربية في نضالها ضد الاستعمار بكل أشكاله

4- استقلال مصر دون باقي الدول العربية لا يضمن للثورة المصرية الاستقرار الداخلي والخارجي لتحقيق أهدافها البعيدة والقريبة المدى

5 - رفع القيادة المصرية لشعار الوحدة العربية ، فهذا الشعار لا يمكن تحقيقه دون استقلال باقي الدول العربية ومنها بالدرجة الأولى الجزائر .

1- عمار بن سلطان وآخرون : المرجع السابق ، ص 149 .

2- نفس المرجع ، ص 149 .

هذه المعطيات الموضوعية والواقعية في آن واحد جعلت مصر الثورة تتبنى دعم الثورة الجزائرية سياسيا وعسكريا ، ورجّحت كفة عبد الناصر ، الذي كلّف السيد فتحي الديب وعزت سليمان بمتابعة تطورات القضية .([1])

وهذا ما أكده الرئيس المصري عبد الناصر حيث قال : " أمرت الأخ فتحي والأخ عزت سليمان بأن يكونا مع الوفد الجزائري ممثلين لي شخصيا ، وكنت أكتم الأمر على عدد من الوزراء الذين حولي خوفا من تسرب السر،وإسراع فرنسا إلى ضرب الحركة قبل بروزها ".([2])

وإذا ما افترضنا جدلا بأن هناك بعض العناصر المتحفظة من تقديم المساعدة للثورة الجزائرية ،فإن النتيجة النهائية كانت في صالح الجزائريين ،حيث قدّمت الحكومة المصرية الدعم المالي والعسكري للثورة الجزائرية منذ الأشهر الأولى لاندلاعها حتى استرجاع الاستقلال .

يذكر فتحي الديب في كتابه " أنه التزاما منّا بتنفيذ قرار الرئيس جمال عبد الناصر بدعم الثورة الجزائرية بالأسلحة والذخيرة ، وبمعرفتنا بإمكانيات الإخوة الجزائريين المحدودة من الأسلحة والذخيرة ، وضرورة توفير احتياجات المكافحين لها ، لمواصلة الثورة بلا توقف ، باشرنا منذ أول أكتوبر 1954 وبعد أن قرّر الثوار الجزائريون تحديد أواخر أكتوبر لاندلاع الثورة ، قررنا تزويدهم وبأسرع وسيلة ممكنة باحتياجاتهم الضرورية من الأسلحة الخفيفة والذخيرة المتنوعة لدعم قدرات الولايات الشرقية ، وخاصة الأوراس التي تستند عنها الثورة كقاعدة لدعم قدرات باقي الولايات الأخرى في القطر الجزائري ".([3])

" وأعطيت الضوء الأخضر إلى أحمد سعيد حيث انطلق – صوت العرب – يثير حماس المناضلين الجزائريين ويشحذ هممهم ، ويطالب الشعب الجزائري بمساندة أبنائه المناضلين ، كما قام في نفس الوقت بإثارة حميّة الجماهير العربية لمساندة هذه الثورة التي لم يكن يتوقعها أحد ، وبادرنا على الفور بالتحضير لإمداد الثورة الجزائرية بالسلاح والذخيرة ".([4])

1- مريم الصغير : المرجع السابق ، ص 191 .

2- أحمد توفيق المدني : المصدر السابق ، ص ،ص 18 ، 18 .

3- فتحي الديب ، المصدر السابق ، ص 57 .

4 – نفس المصدر ، ص 48 .

ويتابع قائلا " قمت طبقا لتعليمات الرئيس عبد الناصر بصرف كميات من الأسلحة الخفيفة بأنواعها من بنادق ورشاشات خفيفة وبنادق رشاشة وقنابل يدوية ، وذخيرة بأنواعها، لأكدّسها في مخزن أنشأته بمبنى خاص بنا ، مراعيا السرية التامة بكل صورها ومحكما السيطرة على العملية شخصيا ، لتفادي معرفة وجهتها أو وسيلة أو طريق تهريبها للجزائر ، يعاونني في ذلك فقط زميلي الأخ عزت سليمان ".([1])

أما عن الشعب المصري فقد تابع باهتمام كبير اندلاع الثورة الجزائرية كنتيجة طبيعية لاهتمام كافة أجهزة الإعلام المصرية بالحدث ،ونشر تطورّاته وبالذّات – صوت العرب - ، وإن كان دور مصر الثورة في دعم هذه الثورة لم يكن واضحا بعد ، إلا أنّ طبيعة الحدث كان له وقعه الطيب في نفوس أبناء الشعب المصري انطلاقا من إحساسه الثوري العربي ، ويحدوهم الأمل في نجاح الثورة .([2])

إذا حتّى نلخّص ما قلناه حول موقف مصر من الثورة الجزائرية عشية اندلاعها حكومة وشعبا ، نقول أنه كان موقفا مُشرّفا في صالح الثورة الجزائرية ، وهو ما أثبتته الأيام اللاحقة في عمر الثورة الجزائرية ، فقد كان الدعم المصري للثورة الجزائرية متواصلا طيلة مراحلها بكل أشكاله سواء الدعم المادي أو المعنوي ، وكان الشعب المصري كذلك يعيش بكل جوارحه تطورات الثورة الجزائرية المجيدة عبر وسائل الإعلام المصرية ويتفاعل معها ويعيش مع الثوار الجزائريين انتصاراتهم ونكساتهم أمام جيش الاحتلال الفرنسي ،ويعتبر أن مصيره مرتبط بمصير الشعب الجزائري ومصير كل الأمة العربية .

1- فتحي الديب : المصدر السابق ، ص 48 .

2- نفس المصدر ، ص 51 .

المبحث الثاني : علاقة جمال عبد الناصر بأحمد بن بلة وأثر ذلك على سير العلاقات .

إذا أردنا أن نتكلم عن علاقة ابن بلة بالرئيس المصري جمال عبد الناصر ، وكيف أثرت هذه العلاقة بين الزعيمين العربيين أو بالأحرى كيف ساهمت في تبني مصر للقضية العادلة للشعب الجزائري ، وزادت من دعمها للثورة ، قبل التطرق لهذه النقاط نحاول أن نُعرج على شخصية هذين العلمين ولو باختصار ليتسنّى لنا معرفة نقاط التشابه والاتفاق بينهما .

جمال عبد الناصر : 15 جانفي 1918 – 28 سبتمبر 1970 ، قائد ثورة 1952 على الملكية في مصر ، والرئيس المصري بين عامي 1954 – 1970 .

وُلد جمال عبد الناصر بالإسكندرية في أسرة تنتمي إلى بلدة بني مر بمحافظة أسيوط ، نشأ وتعلم بالإسكندرية والقاهرة ، ثم التحق بالكلية الحربية عام 1937 وتخرّج ضابطا عام 1938 ، وعُيّن بسلاح المشاة بأسيوط حيث التقى بأنور السادات وزكريا محي الدين ، وفي سنة 1939 تمّ نقله إلى الإسكندرية وهناك تعرف على عبد الحكيم عامر ، وفي عام 1942 تمّ نقله إلى معسكر العلمين وما لبث أن نُقل إلى السودان ومعه عامر ، وعندما عاد من السودان تمّ تعيينه مدرسا بالكلية الحربية والتقى بالكلية بزملائه الذين أسّس معهم تنظيم الضباط الأحرار .([1])

وكانت حرب 1948 هي الشرارة التي فجرت عزم هؤلاء الضباط على الثورة ضد الفساد بعد النكبة التي مُني بها العالم العربي في فلسطين ، حيث شارك عبد الناصر في هذه الحرب وحُوصرت فرقته في الفالوجا أكثر من أربعة أشهر ، وبعد عودته أسّس هو وزملاؤه تنظيم الضباط الأحرار في صيف 1949 حيث تشكل من عشرة أشخاص وهم : جمال عبد الناصر ، كمال الدين حسين ، حسن إبراهيم ، خالد محي الدين ، عبد المنعم عبد الرؤوف ، أنور السادات ، عبد الحكيم عامر ، عبد اللطيف بغدادي ، زكريا محي الدين ، جمال سالم .

وبعد سلسلة من الإخفاقات التي واجهها الملك فاروق داخليا وخارجيا وخصوصا موقفه في حرب 1948 التي خسر فيها ، وكذلك كانت الدعوات والضغوطات داخليا وعربيا تحث قادة الجيش على لعب دور في إصلاح الأوضاع المصرية .([2])

1- الموسوعة العربية العالمية :www.intaaj.net2004 .

2- موسوعة ويكيبيديا ، موقع مولان 2008 .

وبعد مهادنة الملك فاروق للإنجليز أصدر رشيد علي الكيلاني (شخصية وطنية عراقية) بيانا يحثّ الجيش المصري بالانتفاض على الملك ، ولقيت دعوته التفهم والترحيب لدى القادة العسكريين المصريين ، وكانت لطروحاته وشعاراته الثورية والتحررية من خلال إذاعة برلين العربية الأثر في نفوس ثوار مصر بالإطاحة بالملك فاروق في حركة يوليو 1952 .

وفي 23 جويلية 1952 قامت الثورة ولم تلق مقاومة تُذكر ، ولم يسقط في تلك الليلة سوى ضحيتين فقط ، وكان الضباط الأحرار قد اختاروا محمد نجيب رئيسا لحركتهم ، وكان عبد الناصر هو الرئيس الفعلي للّجنة التأسيسية للضباط الأحرار ، ومن ثمّ فقد نشأ صراع شديد بينه وبين محمد نجيب أنهاه عبد الناصر لصالحه في 14 نوفمبر 1954 بعد اعتقال محمد نجيب ، وحدد إقامته في منزله وانفرد هو بالسلطة .

واستطاع أن يعقد اتفاقية مع بريطانيا لجلاء قواتها عن مصر في 19 أكتوبر 1954 وذلك بعد موافقته على التخلي عن وحدة مصر وسوريا .

وفي عام 1958 أقام وحدة اندماجية مع سوريا ، وسُمّيت الدولة الوليدة بالجمهورية العربية المتحدة ، إلّا أنّ هذه الوحدة لم تدم طويلا حيث حدث انقلاب في سوريا أدى إلى الانفصال في

28 سبتمبر 1961 ، ثم تمّ عقد معاهدة وحدة أخرى مع سوريا والعراق عام 1964 ، إلا أن وفاة الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف عام 1966 ، ثم حرب 1967 حالت دون تحقيق الوحدة .

أصدر القرارات الاشتراكية وأمّم المؤسسات الكبيرة وقاد عمليات التمصير وتحديد ملكية الأرض الزراعية ، وأعلن عبد الناصر مبادئ الفكر الجديد ، وأسس تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي الذي حلّ محل الاتحاد القومي 1957 .

وفي المجال العربي ساند عبد الناصر ثورة الجزائر (1954 – 1962) ضد الاستعمار الفرنسي بتقديم العتاد ، وكان لعبد الناصر دور بارز في مساندة الثورة الجزائرية ، وتبنى قضية تحرير الشعب الجزائري في المحافل الدولية .

وآخر مهامه كانت الوساطة لإيقاف أحداث سبتمبر الأسود بين الحكومة الأردنية والمنظمات الفلسطينية في قمة القاهرة في 26 – 28 سبتمبر 1970 ، حيث عاد من مطار القاهرة بعد أن ودّع أمير الكويت ، عندما داهمته بعد ذلك أزمة قلبية ، وأُعلن عن وفاته في 28 سبتمبر 1970 عن عمر يناهز 52 عاما بعد 18 عاما قضاها في السلطة ، ليتولّى الحكم من بعده نائبُه محمد أنور السادات .([1])

1 – موسوعة ويكيبيديا ، والموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق .

أحمد بن بلة : وُلد في 25 ديسمبر 1916 بمغنية بالغرب الجزائري وهو من أسرة فلاحية ، تابع دراسته الثانوية بتلمسان ، وأدّى الخدمة العسكرية الإلزامية سنة 1937 ، وأُعيد تجنيده كبقية الجزائريين في الحرب العالمية الثانية ، والتحق بفرقة المشاة لشمال إفريقيا التي ذهبت إلى الجبهة الإيطالية ، وشارك في معركة جبل " كازينو " حيث أُبيد معظم أفراد مجموعته ولم يبق منهم سوى خمسة وعشرين فرداً .([1])

بعد انتفاضة 8 ماي 1945 انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري ثمّ في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، وتدرّج في عدة مناصب ومسؤوليات ، ترشح في انتخابات 1948 على مستوى مدينة مغنية .

أصبح مسؤولا في القطاع الوهراني في المنظمة الخاصة ، خطّط للهجوم على بريد وهران عام 1949 والذي استهدف من ورائه الحصول على تمويل للعمل العسكري ، عُيّن على رأس المنظمة الخاصة بعد استبعاد حسين آيت أحمد في 1949 إلى غاية سنة 1950 تاريخ اكتشاف المنظمة الخاصة ، وقد اعتقلته السلطات الاستعمارية في 1950 وحُكم عليه بالسجن لمدة 7 سنوات ، وفي 16 مارس 1952 تمكّن من الفرار من سجن البليدة ، بعد فراره التحق بالوفد الخارجي لحركة الانتصار بالعاصمة المصرية القاهرة .

شارك أحمد بن بلة في تأسيس جبهة التحرير الوطني عام 1954 ، وبعد اندلاع الثورة أصبح عضوا في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني مكلفا بالجوانب العسكرية خاصة تزويد الثورة بالسلاح ، اختير عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ التي أقرّها مؤتمر الصومام وعضوا في المجلس الوطني للثورة (1956 – 1962).

وفي 22 أكتوبر 1956 ألقت عليه السلطات الاستعمارية القبض برفقة حسين آيت أحمد،محمد بوضياف ،محمد خيضر و مصطفى الأشرف في حادثة اختطاف الطائرة ،وقد بقي في السجون الفرنسية إلى غاية 19 مارس 1962 ،وهو أول رئيس للجزائر المستقلة حكمها ما بين 29 سبتمبر 1962 و 19 جوان 1965 تاريخ الإطاحة به من طرف وزير دفاعه هواري بومدين . ([2]) ، توفي في 11 أفريل 2012 .

إذن من خلال هذه الترجمة المختصرة لشخصية الزعيم الراحل أحمد بن بلة يتبين لنا أنّ أول اتصال لهذا الأخير بالقاهرة كان بعد هروبه من سجن البليدة في بداية الخمسينيات .

أمّا عن أول لقاء بين بن بلة والمسؤولين المصريين ، فيذكر فتحي الديب "أن أول لقاء جمعه بأحد قادة العمل السرّي الرامي إلى تحضير بدء الكفاح كان في اجتماع قادة أحزاب شمال إفريقيا عن طريق جامعة الدول العربية ، لمعرفة مدى الاستفادة منهم في تطبيق خطة الكفاح المسلح "([3])

1- إبراهيم لونيسي : الصراع السياسي في الجزائر خلال عهد الرئيس أحمد بن بلة ، دار هومة ، الجزائر ، 2011 ، ص10.

2- موسوعة تاريخ الجزائر الإلكترونية مابين 1830 – 1962.

3- فتحي الديب : المصدر السابق ، ص24

هذا اللقاء انعقد يوم 3 أفريل 1954 ، حضره ممثلون عن أحزاب مغربية وتونسية ، وعن الجزائر حضر محمد خيضر ممثلا عن حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وأحمد بيوض ممثلا عن حزب البيان الجزائري ، وتمخّض الاجتماع عن هيئة سُمّيت (لجنة تحرير المغرب العربي) ، غايتها نيل أقطار المغرب العربي استقلالها التام والانضمام إلى الجامعة العربية ،مع رفض فكرة الدخول في الاتحاد الفرنسي بأي شكل من الأشكال ([1]) ...

وفي هذا الاجتماع تدخل شاب جزائري يُدعى" مزياني مسعود "، انتقد الطرح السلبي للحاضرين وأخبر عن بداية التحضير لعمل مسلح لتحرير الجزائر ، وأنّ مطلبهم الوحيد يتمثل في توفير السلاح ليقاتلوا به .([2])

وبتدخله الساخن لفت نظر فتحي الديب ، فبرمج معه لقاءات لشرح ظروف عمله وزملائه ، وكذا مخططهم في العمل المسلح ، حيث أبلغه بأنه جاء إلى القاهرة مفوّضا من مجموعة قيادة التنظيم العسكري لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، وأنهم انشقوا على كل من مصالي الحاج زعيم الحزب وعلى اللجنة المركزية .

وهكذا اكتسب أحمد بن بلة الثقة الكاملة للقيادة المصرية ، خاصة وأنّه صارح فتحي الديب بأنّ زملاءه وبعدما تفهموا حقيقة وأهداف ثورة 23 يوليو ، يتوجهون لها بطلب العون والمساعدة ، لأنّهم يعتقدون أنّها ليست ثورة لتحرير مصر وحدها ، بل ينظرون إليها باعتبارها الثورة العربية القادرة على دعم كافة حركات التحرر العربي لتخليص الأرض العربية من نير الاستعمار. ([3])

وقد عبر فتحي الديب عن هذه الثقة المتبادلة في لقائه مع الرئيس جمال عبد الناصر حيث قال :" إنّني أثق فيه ثقة تامة لأنّه من نوعية ثورية فريدة في عالمنا العربي لم أقابل مثلها من قبل ، وأنّني منذ البداية لمست فيه الصدق والإيمان والإخلاص والعزم ...وقارنت بين عقلية هذا الشاب وزملائه وبين باقي العقليات التقليدية ، مؤكدا قناعتي بأنّ مجموعة الشباب التي يمثلها بن بلة مجموعة تتطلب منّا التأييد والدعم انطلاقا من أنّهم فتية آمنوا بربهم وشعبهم ، وعلى وشك المغامرة بحياتهم في التصدي للاستعمار ، سواء وصلهم دعمنا أم لم يصلهم ". ([4])

وبالفعل فقد ظلّت هذه الثقة المتبادلة وهذا التمييز لشخصية بن بلة حتى من بين قادة الثورة أنفسهم طيلة سنوات الثورة ،ويُعدّ التعرف على بن بلة بحق نقطة تحول هامة في مجال دعم النضال التحرري من مجرد التأييد النظري إلى المساهمة الفعلية من خلال الإمداد بالسلاح والمال وتكوين الإطارات العسكرية ،وبالتأييد الرسمي الدبلوماسي والسياسي ،وبالتأييد الإعلامي المتواصل .

---

1 – فتحي الديب : المصدر السابق ، ص 24 .
2 – نفس المصدر : ص 26 .
3 – نفسه ، ص 34
4 – نفس المصدر ، ص 41

إذن يتضح من هذا الكلام لضابط المخابرات المصري فتحي الديب ،أنّ التعرف على بن بلة مثّل منعرجا حاسما في تاريخ العلاقات الجزائرية المصرية ، فبعد أن كانت مصر تدعم الحركات الوطنية لدول المغرب العربي ، هذه الحركات التي كانت تمارس العمل السياسي ، والتي لم تكن تثير حماس قادة الحكومة المصرية لكن بعد التعرف على ابن بلة والاطلاع على توجهه الثوري هو وزملاؤه ، تغيرت نظرة القيادة المصرية إلى طريقة الكفاح ، فاقتنعت بوجهة نظر ابن بلة وزملائه ، ووعدت هؤلاء على لسان الرئيس عبد الناصر بتدعيمهم بكل الوسائل والإمكانيات ، وقد تجسّد ذلك على أرض الواقع فيما بعد ، وتوطّدت العلاقة أكثر بين جمال عبد الناصر و أحمد بن بلة حتى أصبح هذا الأخير في نظر عبد الناصر هو ممثّل الثورة عنده ، وكان يتناقش معه في كل صغيرة وكبيرة ممّا يخص الثورة الجزائرية .

يقول سهيل الخالدي في كتابه : " أعجبت حيوية هذا الشاب الضابط فتحي الديب رجل الاستخبارات المقرب جدا من عبد الناصر ، فطلب من محمد خيضر أن يرتّب له لقاء معه ، واستطاع مزياني مسعود ، وهو الاسم النضالي لأحمد بن بلة بسرعة أن يكسب ثقة فتحي الديب ، ففتحت مصر مستودعات أسلحتها وأجهزة إعلامها وحدودها ، وسخّرت رجالها ودبلوماسيتها للثورة الجزائرية " . ([1])

إذن علاقة ابن بلة بالرئيس المصري جمال عبد الناصر ، كان لها أثر كبير في تمتين العلاقات أكثر بين الجزائر ومصر ، فقد لقيت شخصية بن بلة اهتماما كبيرا من طرف القيادة المصرية ، وذلك راجع ربما لطبيعة شخصيته التي راقت للقيادة المصرية ، حيث كان يغلب عليها الطيبة والتلقائية ، مع وضوح الأهداف مما جعل التواصل معه سهلا دون تكليف من طرف الحكومة المصرية .

وكان من الطبيعي والمنطقي أن تساند مصر الثورة (ثورة يوليو) جبهة التحرير الوطني الجزائرية معنويا وماديا بالأسلحة وبالتمويل ، فكلا الزعيمين عبد الناصر وبن بلة لهما نفس الأهداف ، التحرّر الكامل ونصرة القومية العربية ، ولقد بلغت قمة الدراما في الثورة الجزائرية عندما قُبض على بن بلة في عام 1956 خلال عملية قرصنة جوية ، وكان بصحبته ثلاثة من قادة جبهة التحرير الوطني* والصحفي مصطفى الأشرف ، أعقب ذلك اقتياده إلى السجن ، وظلّ معتقلا إلى موعد الاستقلال في 1962 .([2])

---

1 – سهيل الخالدي : جيل قسما " الثورة الجزائرية وأثرها في الفكر العربي المعاصر " دار نورشاد ، الجزائر ، 2012 ، ص ،ص (45،46).

* - الثلاثة هم محمد بوضياف ، محمد خيضر ، حسين آيت احمد .

2 – د. هدى جمال عبد الناصر : " مسيرة نضال عبد الناصر وبن بلة .. رفاق كفاح " مجلة الأهرام الرقمي ، دراسات وبحوث سياسية ، نشرها مركز صبر للإعلام والدراسات ، القاهرة ، 2012 .

إذن بن بلة عند لجوئه إلى القاهرة سنة 1952 كان قد أقام شبكة علاقات قوية مع شخصيات مقربة من الرئيس جمال عبد الناصر ، من أبرزها رئيس المخابرات المصرية الأسبق فتحي الديب ، ممّا سهل التواصل بينه وبين عبد الناصر بعد اندلاع الثورة الجزائرية ، حيث انتدبت قيادة الثورة أحمد بن بلة لاستثمار تلك العلاقات لجعل القاهرة القاعدة الخلفية الأبرز للثورة الجزائرية ،ففيها تقيم القيادات المطرودة والمنفية ، وعبرها تمرّ المساعدات الخارجية والأسلحة ، ومنها تُبث تصريحات الثوار وبياناتهم الحماسية عبر إذاعة صوت العرب ، أسهمت الصلات الوثيقة التي ربطته آنذاك بالرئيس عبد الناصر في بروز بن بلة واشتهاره أكثر من بقية قادة الثورة الجزائرية . ([1])

وقد ارتبط بصداقة عميقة مع الزعيم المصري جمال عبد الناصر وساند أفكاره القومية حيث اعتبره رجلا عظيما ساهم في دعم الثورة الجزائرية أكثر من أي شخص آخر ، والجزائريون مدينون لهذا الرجل ، وأظن أن خروج الشعب الجزائري إلى الشارع يوم وفاته كان دليلا على وجوده في وجدانهم وضمائرهم .([2])

حتى عبد الناصر بقي وفيا لصديقه أحمد بن بلة هذا الأخير الذي حكم الجزائر مابين 29 سبتمبر 1962 و19 جوان 1965 ، وهو تاريخ الانقلاب عليه من طرف وزير دفاعه هواري بومدين .

وظلّ بن بلة منذ ذلك التاريخ في المعتقل تحت الإقامة الجبرية ، حتى أُطلق سراحه في الرابع من جويلية 1979 ، وقد أثار اعتقاله في ذلك الوقت ضجة عالمية كبيرة ، فعلى الصعيد العربي تدخّل الرئيس عبد الناصر شخصيا لدى بومدين إذ أرسل وفدا برئاسة عبد الحكيم عامر للمطالبة بالإفراج عنه ، لكنّ هواري بومدين رفض الطلب الذي تكرّر فيما بعد 12 مرة ، وتقول مادلين فيرون محامية بن بلة أنّ عبد الناصر شكّل فريقا مسلحا للإفراج عنه ، إلا أنّ أمره اكتشف في الساعات الأخيرة قبل بدء العملية .([3])

---

1 – نور الدين حاروش : رؤساء الجزائر ، دار الأمة ، الجزائر ، 2012 ، ص 133 .

2- نفس المرجع ، ص ص 147 ، 148 .

3 - ميرل روبير : المصدر السابق ،ص8.

من الأمور التي تدل على أنّ القيادة المصرية كانت تتعامل مع شخص أحمد بن بلة أكثر من بقية أعضاء الوفد الخارجي ومن ممثلي الأحزاب والجمعيات الأخرى هي أنّها كانت تتشاور معه في كل خطوة تتعلق بدعم الكفاح المسلح في الجزائر ،وقد تغيرت سياستها اتجاه بقية الوفد وممثلي الشعب الجزائري في القاهرة .

حيث أنّه لما اعتقل زعماء الثورة (أحمد بن بلة ، آيت أحمد ، محمد خيضر ، محمد بوضياف ،ومعهم مصطفى الأشرف) يوم 22 أكتوبر 1956 ، وبما أنّ السيد أحمد بن بلة كان رئيس الوفد ، فقد تغيرت سياسة الحكومة المصرية نحو بقية أعضائه ، إذ استولى رجل مخابراتها خلال الساعة الأولى بعد الاعتقال على كل الوثائق الموجودة بمكتب بن بلة بحجة أنّها تمثل أسرارا عسكرية يجب إخفاؤها كي لا يطّلع عليها أحد غير مسؤول ، وأخذوا مفتاح المكتب ، وخلال هذا الظرف تعرّض السيد توفيق المدني لبعض المضايقات من طرف السلطة المصرية التي اعتبرته دون غيره المسؤول الوحيد عن الوفد وعن قضية السلاح ، فحاولت جعله زعيما بوسائلها الخاصة . ([1])

يذكر محمد العربي الزبيري وفقا لمصدر هو السيد آيت أحمد : "... وفي القاهرة كانت مشاكل من نوع آخر تعترض مندوبية جبهة التحرير الوطني ،ويذكر نفس المصدر أن السيد آيت أحمد تصادم أكثر من مرة مع السيد فتحي الديب ... إنّ المصريين حسبه كانوا يعملون على تقسيم القيادة الخارجية ،وكانوا يفضلون التعامل مع السيد أحمد بن بلة الذي كان يحبّذ اللعبة ، في حين كان خيضر ،آيت أحمد ومحمد يزيد* ،يرفضون كل تدخل في شؤونهم ، لذلك فإن ميزانية الحرب خلال الأشهر الأولى للثورة والأسلحة لم تصل إلى المناطق حسب الوعود المضروبة."([2])

إذن يتضح من كل ما سبق أن أحمد بن بلة كان يعتبر همزة الوصل بين القيادة المصرية والثورة الجزائرية ، وذلك راجع لمكانته عند زعماء مصر وخاصة جمال عبد الناصر وضابط مخابراته فتحي الديب ، فقد كان هؤلاء يرتاحون لأحمد بن بلة أكثر من بقية أعضاء الوفد الخارجي الآخرين ، والدليل هو تلك الإجراءات التي قامت بها الحكومة المصرية بعد إلقاء القبض على بن بلة وزملائه في حادثة اختطاف الطائرة ، حيث قامت بمصادرة كل الوثائق التي كانت في مكتب أحمد بن بلة حتى لا تقع في أيدي أي شخص آخر وبالتالي تنكشف أسرار الثورة لأشخاص غير وطنيين ، وأصبحت تتعامل مع بقية الأعضاء بحذر .

1- سعيدي وهيبة : الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح (1954 – 1962) ، دار المعرفة ، الجزائر ، 1994 ، ص 98 .

* عضو اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية ومسؤول فيدرالية فرنسا لنفس الحركة قبل اندلاع الثورة ، وهو شخص مثقف وذو ذخيرة نضالية سياسية .

2 – د. محمد العربي الزبيري : الثورة الجزائرية في عامها الأول ، ط1 ،دار البعث ، الجزائر ، 1984 ، ص 139 .

وقد حاولت توجيه السيد أحمد توفيق المدني والتعامل معه حسب ما تراه هي من مصلحة الثورة ، فقد ورّطته في العديد من المرّات بأن نسبت إليه تصريحات ، وانتزعت منه بعض العبارات التي وتّرت العلاقة بينه وبين زملائه الآخرين الذين أصبحوا يرون أنه أصبح أداة في يد الحكومة المصرية يتوجه بأوامرها وليس بأوامر الثورة التحريرية .

لقد بقيت علاقة الوفاء بين الزعيمين الجزائري أحمد بن بلة والمصري جمال عبد الناصر طوال فترة حكم الرئيس أحمد بن بلة واستمرت حتى تاريخ الانقلاب* الذي قام به وزير الدفاع هواري بومدين حيث استولى على السلطة وقام بسجن أحمد بن بلة لمدة زمنية طويلة استمرت طوال فترة حكمه التي دامت حوالي 13 سنة وجزء من فترة الشاذلي بن جديد، أي من سنة 1965 إلى بداية سنة 1980 .

حتى إذا كان يوم 19 جوان 1965 اكتشف الرئيس الحقيقة المرة وتأكد بأنّه يقف في الهزيمة وحيدا لا حزبا يدعمه ولا مغامرا يضحّي من أجله ، إلا أن الرئيس والصديق الوفي عبد الناصر الذي أرسل على الفور مبعوثه الخاص زكريا محي الدين إلى الانقلابيين ، وطالبهم ألا يحاكموا ابن بلة أو يعدموه حفاظا على سمعة الثورة وعلى رموزها ، وعدم إعطاء فرصة لأعدائها فيطعنون فيها ويشوهون قدسيتها ، ويعرقلون رسالتها , فضلا عما كان بين عبد الناصر وابن بلة من صداقة شخصية تعود إلى السنوات الأولى من الخمسينيات وقد رفض الإنقلابيون تسليم ابن بلة إلى زكريا محي الدين ، لا نكاية في ابن بلة ولكن خوفا من عبد الناصر الذي كان شديد الميل إلى ابن بلة .

وهكذا وضعوه رهن الإقامة الجبرية طيلة حكم بومدين وبعض من حكم الشاذلي بن جديد ... وقد استفاد بومدين من تجربة عبد الناصر ودوره في مجموعة الضباط الأحرار ، فكما هو معروف تمكن عبد الناصر من أن يستعمل رفيقه محمد نجيب في بداية الثورة ، وأن يكون بوقا لزملائه وأول رئيس للثورة ، والحقيقة أن الرئيس الفعلي كان جمال عبد الناصر ... وقد رأى بحكمته وبعد نظره أن يستمر في التخطيط في الظل إلى أن تحين ساعة الحسم ، وهذا ما حصل في مصر وتكرر في الجزائر مع بومدين ضد رئيسه ابن بلة . ([1])

---

*- هناك من يسمي هذا الانقلاب باسم التصحيح الثوري وخاصة هواري بومدين والموالين له في مجلس الثورة .

1 – لخضر بورقعة : شاهد على اغتيال الثورة ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2000 ، ص 160 .

المبحث الثالث : الدعم المصري للثورة الجزائرية .

إن الحديث عن الدعم المصري للثورة الجزائرية ليس بالأمر السهل ، فهو موضوع ثري يحتاج إلى كتب وليس مبحث واحد ، لذلك سأحاول أن أعرّج على أهم مظاهر الدعم المصري للجزائر ، لأبيّن عمق العلاقة بين البلدين ، والدور الكبير الذي لعبته مصر في دعم الثورة سواء ماديا أو معنويا ، فعندما نتكلم عن الثورة الجزائرية لابد من الوقوف مطولا وبكل إجلال وتقدير وعرفان أمام السند الأول لها وهو مصر دولة المقر .

إذن إنّ المنطق والأمانة التاريخية تحتّم علينا أن نعترف بالدور العظيم الذي قامت به الثورة المصرية في تلبية نداء المجاهدين الجزائريين بالسلاح أولا وبالسلاح ثانيا وبالسلاح أخيرا في هذه المرحلة الدقيقة من اندلاع الثورة التحريرية الشعبية ، وهذا الإلحاح لمطلب السلاح تميز عن غيره من المطالب ، لأنّه كانت توجد أصوات غير جزائرية داخل مكتب المغرب العربي تطالب بالمال قبل السلاح ، وتيقن جمال عبد الناصر بحسه الثوري أنّ هؤلاء الجزائريين هم الصادقون في مطلبهم من غيرهم ، لأنّ المشكلة الأساسية هي السلاح وليس المال .([1])

بادرت جمهورية مصر العربية إلى تأييد الثورة الجزائرية منذ اندلاعها ، وذلك بالسماح للبعثة الخارجية لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة من إذاعة بيان أول نوفمبر عبر إذاعة صوت العرب ، والنشاط الدعائي لصالح القضية الجزائرية ، ثم تمكين السيدين حسين آيت أحمد ومحمد يزيد من السفر إلى أندونيسيا لتمثيل الجبهة بجوازات سفر مصرية ، كما سيبذل الرئيس جمال عبد الناصر كل ما في وسعه لمساعدة جبهة التحرير الوطني على تدويل القضية الجزائرية بطرحه القوي لها في اجتماع بريوني* في جويلية 1956 الذي جمعه بالرئيس اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو ، والهندي جواهرلال نهرو ، " حيث طالبوا بضرورة احترام الحقوق الطبيعية للشعب الجزائري ، كحقه في السيادة والسلم ." ([2])

يضاف إلى ذلك الدعم المادي والمتمثل خصوصا في وحدات جيش التحرير الوطني بالأسلحة والذخيرة ، والذي ظل نشيطا إلى غاية احتجاز البحرية الفرنسية للباخرة أتوس** في أكتوبر 1956 ، ثم سيتحول بعد ذلك طريق الإمدادات بالأسلحة برا عبر الحدود المصرية الليبية ، انطلاقا من ميناء مرسى مطروح المصري ، هذا الدعم المصري الفعال للثورة الجزائرية سيكلّفها مشاركة فرنسا في العدوان الثلاثي عليها في نوفمبر 1956 .([3])

---

1 – أحمد بشيري : الثورة الجزائرية والجامعة العربية ، ط2 ، منشورات تالة ، الجزائر ، 2009 ، ص 49 .

* جزيرة يوغسلافية واقعة في بحر الأدرياتيك ، انعقد بها الاجتماع يومي 18- 19 جويلية 1956 .

2- إبراهيم جمعة : العملاق الجديد ، دار الفكر العربي ، دمشق ، ط 3 ، 1959- 1960 ، ص 160 .

**- سفينة مصرية جُهزت بكمية معتبرة من الأسلحة والذخيرة لتدعيم الثورة الجزائرية ، لكنّها اكتُشفت من طرف فرنسا يوم 16 أكتوبر 1956 .

3 – عمر بوضربة : النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (سبتمبر 1958 – جانفي 1960) ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2010 ، ص ص (148 ، 149).

إذن حتى يتسنّى لنا أن نحيط ببعض جوانب الموضوع المتعلق بالدعم المصري للثورة الجزائري ، سنحاول أن نقسم هذا الدعم إلى مظاهر مختلفة ، من دعم لوجستيكي ودعم أدبي وسياسي ، ثم نحاول الإشارة إلى ردود الفعل الفرنسية اتجاه هذا الدعم المتزايد والضغوطات التي تعرضت لها مصر نتيجة ذلك .

الدعم اللوجستيكي : لا يمكننا أن نلّم بكل مظاهر الدعم المادي الذي تلقته الثورة الجزائرية من الحكومة المصرية لذا سنتكلم عن بعض المظاهر فقط .

يتكلم فتحي الديب عن بداية المساعدات المصرية للثورة الجزائرية حيث يقول : " ... وإمعانا في السرية طلبنا من أمين صالح (أحد أعضاء السفارة المصرية بليبيا) توفير حاجتنا من الأسلحة الخفيفة والذخيرة ، مخفين عنه وجهتها ، ووجدنا منه الاستعداد والتجاوب المطلوبين وقدرته على توفير أية كمية مطلوبة لنا من خلال استعانته بأصدقائه الليبيين الضالعين في هذا التخصص ، وسلمته فورا مبلغ 3 آلاف جنيه مصري تحت حساب هذه العملية ... وتمّ الاتفاق مع الأخ أحمد بن بلة للسفر فورا إلى ليبيا ، واستلام المبلغ المتبقي لدى أمين صالح ، وزودناه ب 5 آلاف جنيه إضافية لتوفير أكبر كمية من السلاح وإعدادها للتهريب إلى الجزائر . " ([1])

ويذكر فتحي الديب كذلك بأنّه :" قابل الرئيس جمال عبد الناصر في نهاية الأسبوع الثالث من نوفمبر 1954 وعرض عليه ظروف الكفاح الجزائري ... فقرّر بلا تردد استخدام إحدى قطع أسطولنا البحري لنقل الكمية اللازمة لدعم قدرات المكافحين ، واتصل فورا بالصاغ عبد الحكيم عامر لإصدار أوامره إلى قائد السلاح البحري ، اللواء سليمان عزت ليقوم بإعداد المطلوب وليتفق معي على أسلوب وطريقة التنفيذ ، ... وتمّ اختيار اليخت انتصار ... وتضمنت الشحنة الكميات التالية : 100 بندقية لي أنفليد – 10 رشاش برن – 25 بندقية رشاش تومي 45 ر – 5 كأس إطلاق – 80 ألف طلقة 303 ر – 18 ألف طلقة 303 ر للبرن – ألف طلقة 303 ر جارته – 24650 طلقة 45 ر للتومي – 120 قنبلة يدوية ميلز" . ([2])

وغادر اليخت ميناء طرابلس في صباح يوم 10 ديسمبر في طريقه إلى الإسكندرية ، وعلى هذا النحو النموذجي تمّت أولى مخاطراتنا لدعم الثورة الجزائرية في سرّية تامة وهدوء كامل . ([3])

---

1 - فتحي الديب : مصدر سابق ، ص 59 .

2 – نفس المصدر ، ص ص (62 ، 64) .

3 – نفس المصدر ، ص 67 .

نالت الثورة الجزائرية سنة 1955 دعما ماليا قدره 80 ألف جنيه كدفعة أولى ، وذلك عن طريق جامعة الدول العربية ، أعطى ابن بلة منه 30 ألف جنيه لبعثة القاهرة ، واشترى بباقي المبلغ كمية أخرى من أسلحة المقاومة التونسية في ليبيا ، وحينما التقى عبد الناصر وابن بلة ، ووعد الأول الثاني بدعم الثورة الجزائرية بحاجتها من السلاح ، وبالفعل شُحنت كميات من السلاح إلى الثوار الجزائريين ، كما وضعت مصر تحت تصرف جبهة التحرير الوطني عدة قواعد في : سيوة ، أنشاص ، مرسى مطروح ، لتدريب الثوار الجزائريين على عمليات القذف بالقنابل ، والهجمات الليلية وأعمال الإشارة بمدرسة الإشارة المصرية بمصر الجديدة . ([1])

من بين مظاهر الدعم اللوجستيكي من مصر للثورة الجزائرية تكلم فتحي الديب عن شحنة اليخت دينا ، وهو ملك للملكة السابقة دينا ، حيث تمّ تجهيزه ليصبح جاهزا للقيام برحلته في منتصف مارس 1955 ، ... أبحر اليخت من ميناء بور سعيد يوم 24 مارس 1955 ، على أن ينزل شحنته بمنطقة الناظور بالمغرب ، وكان على متن السفينة سبعة من الإخوة الجزائريين الذين أتمّوا تدريبهم ، ووقع عليهم الاختيار لتولي بعض أعمال القيادة بوهران ، وهم عرفاوي محمد صالح ، مجاري علي ، بوخروبة محمد (هواري بومدين) ، عبد العزيز مشري ، عبد الرحمان محمد ، حسين محمد ، شنوت محمد ، وشحنة اليخت تمثلت في : 204 بندقية 303 ر – 20 رشاش برن 303 ر – 240 خزنة للبرن – 34 كأس إطلاق – 68 بندقية رشاش تومي 45 ر – 33 ألف طلقة 303 ر – 166500 طلقة 303 ر للبرن – 356 قنبلة يدوية ميلز – 136 ألف طلقة 45 ر للتومي – 4 آلاف كبسول طرقي – 50 علبة كبريت هواء – 350 كيلو جلجنايت – 667 فتيل مأمون – 3 آلاف مماسك ذخيرة 303 ر . وكمية مماثلة للمغرب ، ... أبحر اليخت في طريقه إلى الناظور في الصباح المبكر ليوم 27 مارس 1955 ، ... وعدنا إلى القاهرة لنبرق إلى أحمد بن بلة بموعد الوصول منتصف ليلة 2 – 3 أفريل 1955،.... عشنا على أعصابنا الفترة من 27 مارس حتى مساء يوم 3 – 4 أفريل 1955، حين وصلتنا البرقية التالية من حسين خيري : " كُلّل العمل بالنجاح ، وإن كانت الباخرة قد أصيبت بخسائر كبيرة " .([2])

لقد بقي الدعم المصري للثورة الجزائرية مستمرا عبر البحر ، بحيث أرسلت العديد من المراكب تحمل شحنات هامة من الأسلحة ، منها ما هي شحنات مصرية ومنها شحنات اشتراها أحمد بن بلة وأعضاء الوفد الخارجي من أموال الثورة ، ومن مظاهر ذلك نذكر كذلك شحنة اليخت الأمل السعيد .

---

1 – أحمد نبيل بلاسي : الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1990 ، ص 190.

2 – فتحي الديب : المصدر السابق ، ص ،ص، ص (83 ، 84 ، 85).

حيث غادر مركب الأمل السعيد ميناء الإسكندرية بتاريخ 20 جانفي 1956 محملا بشحنة من الأسلحة والذخيرة ، ولم يصل إلا في تاريخ 21 فبراير من نفس السنة إلى ليبيا ، وتم تفريغ الشحنة بمعاونة القائم مقام " عبد الحميد درنة" ، وتمّ نقلها إلى مخزن التشويش بزواوة ،وأمام تطور الكفاح الجزائري تمّ الاتفاق مع بعض المسؤولين الإسبان (تجار أسلحة) ، على تهريب كميات من الذخيرة والأسلحة . ([1])

قامت مصر كذلك بإرسال الشحنتين السادسة والسابعة على متن المركب دفاكس الذي اشترته من اليونان ،هاتان الشحنتان من الأسلحة كانتا موجهتين لإمداد المنطقة الشرقية والغربية في الجزائر ، وقد غادر المركب ميناء الإسكندرية يوم 6 ماي 1956 ، لينجح في إنزال الشحنة الأولى يوم 13 ماي ، والثانية يوم 21 ماي 1956 .

بعد تأميم قناة السويس ، ذهب وفد جزائري لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر بهذا الحدث الهام ، وقد قال الرئيس المصري لهذا الوفد المتكون من أحمد بن بلة ، محمد خيضر ، أحمد توفيق المدني ، قال لهم : " أمّا قضية الجزائر المجاهدة فنحن منذ البداية معها ،وسنظل إلى النهاية المشرفة معها ، هي منّا ونحن منها ، ولا ريب أنّ الأخ ابن بلة قد أخبركم بما بذلناه من جهود في قضية السلاح ، ومابعثنا به وما نبعث به إلى الجزائريين ، وذلك سيزداد بفضل الجهود المشتركة ، فكونوا واثقين من النصر الذي لا ريب فيه ، وأما من حيث المال فأنا أقرر الآن أمامكم أنّ المداخيل الأولى من قناة السويس ستكون لكم خاصة ، إلى غاية ثلاثة ملايين جنيه – ثلاثة ملايين فرنك – وستوضع في حسابكم الخاص ." ([2])

كما ذكرنا آنفا فإنّ الدعم المادي عن طريق السفن البحرية امتد إلى غاية اكتشاف فرنسا للمركب آتوس بتاريخ 16 أكتوبر 1956 ، حيث منذ هذا التاريخ سيتحول طريق الإمداد الرئيسي بالسلاح من البحر إلى البر عبر الحدود التونسية والليبية .

ويورد المدني تفاصيل شحنة الأسلحة التي بعثت بها الثورة على الباخرة آتوس التي احتجزتها فرنسا عند شواطئ وهران ويقول : " لقد كانت شحنة عظيمة حقا ، وكان بعضها من مصر على شدة حاجتها يومئذ للسلاح ، وكان بعضها الآخر مما اشتريناه من الخارج وجمعناه في مخازننا بمصر." ([3])

---

1 – عمار بن سلطان : الدعم العربي للثورة الجزائرية (سلسلة المشاريع الوطنية للبحث) ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ، الجزائر ، 2007 ، ص 156 .

2- أحمد توفيق المدني: مصدر سابق ، ص184

3 – نفس المصدر ، ص 222.

وتعتبر شحنة السفينة آتوس أكبر شحنة كانت ستحظى بها الثورة الجزائرية لأن السفينة احتجزت يوم 16أكتوبر 1956 ناحية وهران بعد إقلاعها يوم 4 أكتوبر ليلا من ميناء الإسكندرية، وآتوس لم تكن السفينة الوحيدة التي احتجزتها القوات الفرنسية مستعملة أسلوب القرصنة ، وبعد السيّدين فتحي الديب وأحمد عزت ،رجلا المخابرات المصرية ، كلف الرئيس عبد الناصر السيد كمال الدين رفعت وزير الدولة بتولّي شؤون الثورة الجزائرية عن طريق اتصاله الدائم بالوفد الجزائري .([1])

وأمام تطور الثورة الجزائرية وتصعيد الكفاح في أواخر عام 1957 زاد الطلب على الأسلحة والذخيرة ... لذلك تمّ تجهيز شحنة من الأسلحة المتنوعة التي كانت موجودة بالمخازن المصرية بمرسى مطروح يوم 5 سبتمبر 1957 ، ونقلت بالسيارات عبر ليبيا وتونس إلى الجزائر .([2])

ويورد المدني مقدار الأسلحة التي تلقتها الثورة الجزائرية من خلال الوفد الجزائري في مصر في الفترة الممتدة بين نهاية شهر نوفمبر 1958 ونهاية شهر فيفري 1959 ، والتي كانت دون حجم الطلب والحاجة حسبه والمتمثلة في : 20 بازوكا و500 قذيفة – 12300 بنغالور – 23000 بادبي – 25504 كبسولة للقنابل اليدوية ميلس- 106210 متر فتيل أمان – 92000 متر فتيل متفجر – 15160مفجر – 1500 قالب ت.ن.ت – 30 مسدس إشارة مع 1200 طلقة – 625 كغ جليثايت – 300 قطعة ألغام ضد الدبابات – 500 قطعة ألغام ضد الأشخاص – 480 مقصات – 350 باحث في الألغام .([3])

إذن هذا الذي أوردناه من مظاهر الدعم المصري للثورة الجزائرية في الجانب المادي، ماهي إلا أمثلة بسيطة عن بعض مظاهر هذا الدعم لأنّنا لا نستطيع أن نُلّم بكل جوانب الموضوع في بضع صفحات فهذا الموضوع يحتاج إلى استرسال أكثر .

<u>الدعم السياسي والمعنوي</u> : إلى جانب الدعم المادي الذي تلقته الثورة الجزائرية من قبل الحكومة المصرية ، فهناك دعم آخر لا يقل أهمية عن الدعم اللوجستيكي ، وهو الدعم السياسي والدبلوماسي والمعنوي الذي أعطى دفعا قويا للثورة ، وزاد من معنويات جيش وجبهة التحرير الوطني وكذا الشعب الجزائري ، ذلك لأنّه عمّق إحساسهم بوجود سند قوي إلى جانبهم ، ورسخ لديهم قناعة أنّ القضية الجزائرية هي قضية كل العرب والمسلمين ، لذلك سنحاول أن نستعرض بعض مظاهر هذا الدعم .

1- سعيدي وهيبة : مرجع سابق ، ص.56

2- فتحي الديب : مصدر السابق ، ص .331

3 – أحمد توفيق المدني : مصدر السابق ، ص 379 .

على المستوى الإعلامي سخّرت أجهزة الإعلام المصرية نفسها لخدمة الثورة الجزائرية ، وعلى رأس هذه الأجهزة إذاعة صوت العرب ، وقد تخصصت هذه الإذاعة بنقل أخبار المجاهدين الجزائريين حتى أن أحد ضباط جيش التحرير سمي الكولونيل صوت العرب ، وهو الكولونيل صالح بوبنيدر . ([1])

فمن إذاعة صوت القاهرة – صوت العرب – سُمع نداء أول نوفمبر ، اعتبر الفرنسيون وحلفاؤهم وأتباعهم (العملاء والحركى) مصر المصدر الأساسي لتدعيم حرب التحرير الجزائرية " إنّ الشرّ كله جاء من إذاعة القاهرة " .

ومع اندلاع ثورة أول نوفمبر الجزائرية أصبحت الإذاعة مصدرا أساسيا للتحسيس والإعلام بمبادئ وأهداف جبهة التحرير الوطني والتذكير ببشاعة الجرائم الاستعمارية ، ومواجهة دعاية العدو ، لقد كان " صوت العرب " قوة موازية ومدعمة لإسماع العمل المسلح الجزائري ، ومحاربة الدعاية الفرنسية الإعلامية بفشل حرب التحرير الجزائرية .

نستطيع القول أيضا أنّ معظم النشاطات السياسية والدبلوماسية لجبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة انطلقت من القاهرة ، الرئيس جمال عبد الناصر نفسه أو عن طريق مستشاره الشخصي فتحي الديب ، كان يشرف على عملية التأييد المعنوي والمادي للثورة الجزائرية والتأكيد من تعميق قوة التضامن المصري مع الجزائر ، بما فيها حتى حضوره الأسابيع الخاصة للتضامن مع الشعب الجزائري ، والتي كانت تنظم دوريا عبر أنحاء التراب الوطني ،... وتحت إشراف القيادة المصرية كذلك كان الشعب المصري يحتفل بالذكرى السنوية لاندلاع ثورة نوفمبر دوريا ، مصحوبة بتعبئة جماهيرية وإعلامية لا تقل أهمية عن احتفال الشعب المصري بالثورة المصرية نفسها .([2])

على الصعيد السياسي كذلك كانت القاهرة مركز النشاط السياسي للثورة الجزائرية ، ففيها عُقدت محادثات استطلاعية بين ممثلين عن الجبهة وممثلين عن الحكومة الفرنسية خلال شهري مارس وأفريل 1956 لكنّها باءت بالفشل ، كما شهدت القاهرة في شهر أوت 1957 المؤتمر الثاني للمجلس الوطني للثورة ، وفي 19 سبتمبر أُعلن في القاهرة وتونس تشكيل أول حكومة مؤقتة للثورة الجزائرية ، وكان مقر هذه الحكومة بالقاهرة ، كما نالت الثورة الجزائرية التأييد المطلق من مصر سواء في البيانات الرسمية للحكومة ، أم في بيانات ممثلي مصر في الأمم المتحدة ، الذين طالبوا باستقلال الجزائر وعروبتها . ([3])

1- سهيل الخالدي : مرجع سابق ، ص52

2- اسماعيل دبش : مرجع سابق ، ص ص (69،70).

3-أحمد نبيل بلاسي: مرجع سابق ، ص191 .

بعد قيام فرنسا باختطاف قادة الثورة الخمسة في حادثة الطائرة الشهيرة أوما يُسمّى بحادثة القرصنة الجوية في 22 أكتوبر 1956 التي جاءت بعد حادثة اكتشاف السفينة المصرية آتوس ، قامت الحكومة المصرية بعدة إجراءات ردًّا على هذه العملية الجريئة والفريدة من نوعها في ذلك الوقت ، ومن بين الإجراءات التي اتّخذتها مصر أذكر : - مبادرة مصر إلى اتخاذ موقفها القومي بالوقوف السياسي إلى جانب الجزائر عندما أبلغت وزارة الخارجية كل السفارات العربية والأجنبية بخبايا وخلفيات الحادثة ورفعت القضية إلى الأمين العام للأمم المتحدة طالبة منه التدخل الفوري للإفراج عن القادة المختطفين .([1])

- قيام وزارة الخارجية بإرسال برقية رمزية وبصفة عاجلة لسفير مصر بتونس للاتصال شخصيا بالسلطان محمد الخامس وبورقيبة ، ومطالبتهما باسم الرئيس عبد الناصر باستخدام نفوذهما لدى السلطات الفرنسية للإفراج عن الزعماء المقبوض عليهم .

- تكليف صوت العرب بشن حملة دعائية قوية لتأكيد استمرارية الثورة والعمل بكل الوسائل للحفاظ على الروح المعنوية للمكافحين الجزائريين . ([2])

- محاولة رئيس الحكومة المصرية الرد على هذه العملية بتدبير هروبهم من السجن ، وكلّف في هذا السبيل عصام الدين خليل مدير مخابرات سلاح الطيران المصري الذي أخذ في دراسة عملية الهروب ...، لكن هذه العملية فشلت في الأخير . ([3])

من مظاهر الدعم السياسي للجزائر نذكر كذلك إضراب الثمانية أيام (28 جانفي – 4 فيفري 1957) ، حيث وقفت القاهرة متضامنة مع الشعب الجزائري في قضيته العادلة من خلال إذاعة صوت العرب ،إذ وجهت جبهة التحرير بلاغا إلى الشعب الجزائري تمجّد فيه الموقف الرائع في تنفيذ الإضراب التاريخي .

ومن مصر أيضا بعثت مشيخة الأزهر برقية تأييد لوفد جبهة التحرير في القاهرة باسم علماء الأزهر وطلبته ، كما أعلن في الأزهر عن إضراب يوم الخميس 31 جانفي 1957 .([4])

---

1 - محمد بلقاسم وآخرون : مرجع سابق ،ص .172

2 – فتحي الديب : المصدر السابق ، ص 271 .

3- أحمد نبيل بلاسي: مرجع سابق ، ص190 .

4- محمد بلقاسم وآخرون : المرجع السابق ، ص 172 .

كانت مصر كذلك هي المقر الأول للحكومة الجزائرية المؤقتة التي تأسست في 19 سبتمبر 1958 برئاسة فرحات عباس ، " حيث كان بالقاهرة القرار التاريخي لجبهة التحرير الوطني ، وهو تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة ، وحتى تحوّل النشاط الأساسي لهذه الحكومة من القاهرة إلى تونس ." ([1])

وكانت جمهورية مصر العربية أو الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) من الدول الأولى التي اعترفت بها ، رغم تحفظها من شخصية فرحات عباس لاعتبارات تاريخية وسياسية وثقافية . ([2])

ظهر تأييد مصر للجزائر شعبا وحكومة في مظاهرات 11 ديسمبر 1960 ، حيث بعث الرئيس جمال عبد الناصر برقية عبّر فيها عن مساندة مصر للشعب الجزائري ،حيث كتبت جريدة المجاهد في عددها رقم 25 : " بعث الرئيس جمال عبد الناصر برقية تأييد إلى الحكومة الجزائرية جاء فيها أنّ الجمهورية العربية المتحدة تساند بكل الوسائل كفاح الشعب الجزائري في سبيل الحرية والاستقلال ..."([3])

إذن مصر لعبت دورا بارزا في تدعيم القضية الجزائرية في العديد من المناسبات منذ اندلاعها سنة 1954 ، ومن بين مظاهر الدعم السياسي والمعنوي ، نذكر وقوف مصر إلى جانب الوفد الجزائري في المفاوضات .

- حيث مع الإعلان عن بدء المفاوضات أذاعت وزارة الخارجية المصرية بيانا في 18 ماي 1961 أكّدت فيه مساندتها للحكومة الجزائرية في محادثاتها مع فرنسا ، وقد جاء في البيان : " أنّ الجمهورية العربية المتحدة ترحّب باستجابة الحكومة المؤقتة لتراعي المفاوضات مع الحكومة الفرنسية ،... وتعلن من جديد عن مساندتها التامة للحكومة الجزائرية المؤقتة في المفاوضات التي ستجريها مع الحكومة الفرنسية ، والتي ترمي إلى الاعتراف للشعب الجزائري بحق تقرير المصير حتى يتحصّل على استقلاله التام وسيادته التامة ووحدة ترابه ، وتؤكد الجمهورية العربية المتحدة أنّها تعتبر الصحراء كجزء لا يتجزأ من الوطن الجزائري ، وتؤيّد تمام التأييد بجميع الوسائل الفعالة استمرار الكفاح الوطني حتى تحقق الجزائر حريتها واستقلالها ..."([4])

1- اسماعيل دبش : مرجع سابق ، ص 69 .

2- محمد بلقاسم وآخرون : مرجع سابق ، ص173.

3- المجاهد : " أداء المعركة في العالم " ،الإثنين 29 جمادي الثانية 1380 – 19 ديسمبر 1960، العدد 25 ، ص 22 .

4 – عمار بن سلطان :المرجع السابق ، ص 175.

وأثناء سير المفاوضات التقى عبد الناصر بوفد الحكومة الجزائرية واستعرض معه المفاوضات التي جرت في إيفيان ، وأكّد تأييده للوفد الجزائري في جميع الميادين ، وفور انتهاء المفاوضات صرّح عبد الناصر : " أنّ الاتفاق الذي توصل إليه الجانبان يفتح آمالا جديدة لإقرار سلام قائم على العدل في الشمال الغربي لإفريقيا ، وأنّ هذا الاتفاق – وقف إطلاق النار – والذي اعترفت فيه فرنسا باستقلال الجزائر ووحدة ترابها، يفتح باب التقارب بين الدول العربية وفرنسا ." ([1])

تكلّم كذلك فتحي الديب عن موقف مصر ودورها الكبير في المفاوضات الجزائرية الفرنسية ، وملخص ذلك أنّه : بهدف التقرب من أعضاء الوفد الجزائري المفاوض ، جاء تكليف الرئيس عبد الناصر للسيّد فتحي الديب للقيام بشؤون سفارة مصر بسويسرا طالبا منه الاتصال بأعضاء الوفد الجزائري المفاوض وعرض خدماته عليهم ، وأن يبرق له بأي مشكلة تعترض الوفد ليعطي رأيه بناءً على طلب سابق من وزير الخارجية الجزائرية كريم بلقاسم . ([2])

إلى جانب كل هذا أقيمت لجان شعبية لدعم الثورة الجزائرية بالمال والسلاح والقيام بمهام إعلامية ، وأقيمت أسابيع سنوية لدعم الثورة سميت أسابيع تسليح الجزائر، ومن هذه اللجان نذكر مصر حيث أعلنت قيام أسبوع الجزائر برعاية الرئيس جمال عبد الناصر في الفترة من 5 إلى 15 جويلية 1957 لغرض جمع التبرعات لدعم ومساندة الثورة الجزائرية ، وشُكّلت لجنة عليا مشرفة على هذا الأسبوع تتكون من كبار شخصيات الحكومة المصرية وهي : أنور السادات (سكرتير المؤتمر الإسلامي ورئيس مصر بعد ذلك) – حسين الشافعي (وزير الشؤون الاجتماعية ونائب الرئيس عبد الناصر لاحقا) – كمال الدين حسين (وزير التربية والتعليم ونائب الرئيس عبد الناصر لاحقا) – أحمد حسين الباقوري (وزير الأوقاف) . ([3])

كل هذا الذي أوردناه يمثل الموقف الرسمي للحكومة المصرية الذي ظل في صالح الثورة الجزائرية منذ اندلاعها بالرغم من كل الضغوطات التي تعرضت لها مصر سواء على المستوى الدولي أو من طرف فرنسا نفسها ، وبالإضافة إلى هذا الموقف المشرف من طرف الإدارة المصرية كان الشعب المصري بكل فئاته مساندا للقضية الجزائرية ويتتبع أخبارها بشغف من خلال وسائل الإعلام المصرية التي لعبت دورا هاما في دعم القضية الجزائرية ، ومن هذه الوسائل نجد الصحافة المكتوبة مثل جريدة الجمهورية .

1- عمار بن سلطان : مرجع سابق ، ص .175

2- فتحي الديب : المصدر السابق ، ص .494

3 – سهيل الخالدي :مرجع سابق ،ص158 .

أمّا من أجهزة الإعلام المسموعة فنجد إذاعة صوت العرب التي كان لها دور كبير في تعبئة المجتمع المصري والشعوب العربية مع الثورة الجزائرية ، حيث خصصت هذه الإذاعة ثلاث برامج أسبوعية تُبث باللغتين العربية والفرنسية لمدة ساعة تحت عنوان صوت الثورة الجزائرية .

يجب الإشارة كذلك إلى الدور الذي لعبته الطبقة المثقفة في المجتمع المصري والتي لم تبخل هي الأخرى بأقلامها التي جنّدتها في الدفاع عن الثورة الجزائرية ، حيث لعب شعراء وأدباء مصر دورا كبيرا في تدويل القضية الجزائرية وخاصة لدى الشعوب العربية ،ومن أمثلة هؤلاء الكتاب والأدباء والشعراء نذكر طه حسين .

حيث نشرت جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين في عددها 360 بتاريخ 20 مارس 1956 مقالا تحت عنوان " إرادة الشعب " تحدّث فيه طه حسين عن الثورة بصورة عامة في مختلف أنحاء الوطن العربي ، في المغرب وتونس والجزائر والسودان والأردن وفلسطين ، ولم يكن المقال الوحيد الذي تحدّث فيه الدكتور عن الثورة الجزائرية ، بل لقد خصصها بمقال قبل هذا تحت عنوان " اللاعبون بالنفوس " تحدث فيه عن الجزائر وسوريا .([1])

ولم يكن طه حسين وحده الذي كتب من أجل الثورة الجزائرية ، ولم يكن المسلمون وحدهم الذين يكتبون لصالحها ... فمن مصر نجد : لويس عوض ويوسف السباعي وأحمد بهاء الدين ورجاء النقاش وأنور عبد الملك وسلامة موسى ويوسف إدريس ومحمود أمين العالم وألفرد فرج ومرسي سعد الدين ورمسيس يونان وعبد العاطي جلال وإبراهيم غافر .([2])

كما تغنى شعراء مصر بالثورة الجزائرية ، وتأثّروا بها وعبّروا عنها ونقلوا صوتها إلى المواطن العربي ومعه إلى الناس أجمعين ، وكانت هناك قصائد لمعظم شعراء مصر مثل : الشرقاوي ، الخميسي ،الشناوي ، ... وترجع غزارة الشعر العربي المصري المستلهم من الثورة الجزائرية إلى الظروف التاريخية التي أحاطت بهذه الثورة وبسطت عليها ظلالها ، فأثّرت فيها كما تأثّرت بها .([3])

1- الطيب برغوث :" طه حسين والثورة الجزائرية " ، الثقافة ، أكتوبر– نوفمبر 1975 الموافق ل: رمضان – شوال 1395، العدد 29 .

2 – سهيل الخالدي : المرجع السابق ، ص 205 .

3 – نفس المرجع ، ص 235 .

هذا ويجب الإشارة في الأخير إلى الانعكاسات والنتائج التي ترتبت عن هذه المساندة المادية والمعنوية التي قدّمتها مصر للثورة الجزائرية ، حيث تعرّضت الجمهورية المصرية إلى العديد من المضايقات وخاصة من فرنسا التي اعتبرت مواقف مصر ووقوفها إلى جانب الثورة الجزائرية ،تدخلا في شؤونها لأنها كانت تعتبر الجزائر من ممتلكاتها .

فقد بدأ رد الفعل الفرنسي على الموقف المصري نحو الثورة الجزائرية منذ اندلاعها ، وفي التصريح الذي أدلى به الحاكم العام الفرنسي في الجزائر " ليونار " عقب أحداث أول نوفمبر 1954 ، اتهم فيه مصر صراحة معبرا عن اعتقاده بأن الثورة قد حيكت خيوطها في الخارج وأن الثوار قد تلقوا أوامرهم من القاهرة .([1])

ولم يقف الأمر عند الحملات الإعلامية الفرنسية على مصر بل وصل الأمر برئيس الحكومة الفرنسية " مانديس فرنس " إلى استدعاء سفير مصر في باريس " محمود صالح الفلكي " ، وطالبه بتخفيف الحصة الإعلامية التي تقوم إذاعة صوت العرب بتوجيهها ضد فرنسا .([2])

ومن أبرز مظاهر الضغط الفرنسي على مصر نذكر مشاركة فرنسا في العدوان الثلاثي على مصر في نوفمبر 1956 ... فقد كان المكلف بالإعداد لهذا العدوان في الكواليس الفرنسية الجنرال شال بالتنسيق مع الصهيوني شيمون بيراز ورئيس الوزراء البريطاني إيدن ، وقام مظليو الفرقة العاشرة بقيادة الجنرال ماسو بمواصلة حربهم ضد جمال عبد الناصر التي كانوا قد بدؤوها في جبال الأوراس .([3])

وقد أرادت فرنسا أن تضرب عصفورين بحجر واحد فتنتقم من عبد الناصر ، وتصفي حساباتها مع الثورة الجزائرية ، ووجدت في التأميم الفرصة ، ولكن هذا يؤكد في حد ذاته بأنّ مصالح مصر والجزائر العليا واحدة ، وهو ما سجلته فرنسا باختيارها الجنرال ماسو للهجوم على بور سعيد ... وهذا يثبت للأشقاء في مصر أنّ هيكل على حق وهو يقول أنّ حدود الأمن القومي يتجاوز الحدود الجغرافية للبلد المعني ، وهو ما أدركته القيادة الجزائرية دائما وعملت على ضوئه .([4])

1- فتحي الديب : المصدر السابق ، ص 493 .

2 – عمار بن سلطان وآخرون : المرجع السابق ، ص 162 .

3 – محمد بلقاسم وآخرون : المرجع السابق ، ص 171 .

4 – محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، دار هومة ، الجزائر ، 2010 ، ص228 .

إذن من الأمانة العلمية والتاريخية أن لا نُنكر الدّور الكبير الذي قامت به جمهورية مصر العربية في دعم الثورة الجزائرية منذ اندلاعها ، فقد كان موقف القيادة المصرية موقفا مشرفا في صالح الثورة الجزائرية ، وكذا موقف الشعب المصري الذي استقبل نبأ اندلاع الثورة الجزائرية بالفرح والاستبشار ، ولتوضيح الموقف المصري حول اندلاع الثورة يكفي أن نورد مثالا واحدا ، فقد كان لمصر الفضل في إذاعة أول بيان للثورة وهو بيان أول نوفمبر 1954 عبر إذاعة صوت العرب .

وقد كان للعلاقة المتينة التي تربط الرئيس جمال عبد الناصر بأحمد بن بلة منذ بداية الخمسينيات دور كبير في إيمان القيادة المصرية بوجهة نظر ومنهاج الثوار الجزائريين في الكفاح المسلّح ، ومن ثمّ رمت القيادة المصرية وعلى رأسها جمال عبد الناصر بكل ثقلها وراء الثورة الجزائرية فدعمتها ماديا ومعنويا وذلك من خلال إرسال دفعات من الأسلحة والذخيرة طوال فترة الثورة ، وكذا تدعيمها معنويا وسياسيا وذلك من خلال وسائل الإعلام ، وقد كلف الرئيس جمال عبد الناصر بهذا الدّور العديد من الشخصيات البارزة من بينهم رجلا المخابرات المصرية فتحي الديب وأحمد عزت ، ثمّ كلّف السيّد كمال الدين رفعت وزير الدّولة بتولي شؤون الثورة ، وغيرهم من الشخصيات البارزة .

كما دعمت مصر الثورة الجزائرية من خلال مساندتها في المؤتمرات الدولية والدفاع عنها في الهيئات والمنظمات الدولية كهيئة الأمم المتحدة ، ففي مصر انعقدت العديد من المؤتمرات الإفريقية والآسيوية المساندة للثورة ، كمؤتمر جميع شعوب إفريقيا الثالث بين 25 – 31 مارس 1961 ، والمؤتمر الأول للتضامن بين الشعوب الإفريقية والآسيوية من 26 ديسمبر 1957 إلى 1 جانفي 1958 ، وغيرها وكلّها دعّمت كفاح الشعب الجزائري .

وقد أدّى هذا الدّعم المتواصل للثورة الجزائرية إلى تعرض مصر للعديد من المضايقات الدولية والفرنسية ، كان أهمّها تعرضها للعدوان الثلاثي في أكتوبر 1956 والذي شاركت فيه فرنسا إلى جانب بريطانيا وإسرائيل.

الفصل الثاني : الوضع في الجزائر غداة الاستقلال

المبحث الأول : الأوضاع الاجتماعية في الجزائر غداة الاستقلال .

المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية في الجزائر غداة الاستقلال .

المبحث الثالث : الأوضاع الثقافية في الجزائرغداة الاستقلال.

المبحث الأول : الأوضاع الاجتماعية في الجزائر غداة الاستقلال

تعتبر الجزائر من الدول التي عانت ويلات الاستعمار الاستيطاني الأوربي الذي شنّ هجمة شرسة على شعوب إفريقيا وأسيا ، وقد كانت الجزائر من بين الدول الأوائل التي تعرضت للاستعمار الفرنسي سنة 1830 ، فبعد أن كانت سيّدة في حوض البحر الأبيض المتوسط أصبحت تابعة ومكمّلة لدولة استعمارية ، هذا الوضع الذي استمر 132 سنة ، وقد مارست خلاله فرنسا سياسة متعددة الأوجه كانت تهدف من خلالها إلى جعل الجزائر مستعمرة استيطانية تستأثر بخيراتها الاقتصادية ، وتعمل على تدجين شعبها بمختلف الأساليب والوسائل القمعية والإغرائية ، وقد ساهمت إلى حد كبير في زعزعة بنية المجتمع الجزائري ، حيث أثّرت على ديمغرافيته فبدل أن يتطور عدد سكان الجزائر تطورا طبيعيا فإنه شهد كبحا ديمغرافيا بسبب السياسة الفرنسية المطبقة ، فعدد سكان الجزائر مع بداية الاحتلال الفرنسي بالرغم من عدم وجود إحصاءات محددة حسب الدكتور أبو القاسم سعد الله ، إلا أنّ " حمدان خوجة الذي كان عارفا بشؤون بلاده من خلال اطلاعه على سجلات الضرائب للحكومة الجزائرية قدّر عدد سكان الجزائر عندئذ ب 10 ملايين نسمة ، وقدّر فرحات عباس بأنّ عدد السكان كان يتراوح بين 6 و 7 ملايين نسمة ، أمّا بيجو فقدّر العدد سنة 1845 ب 4 ملايين كانوا تحت سلطة فرنسا ...على أنّ الإحصاءات المتاخرة (1852) تقدّر عدد السكان ب 2.5 مليون نسمة . " ([1])

وفي سنة 1962 بلغ العدد 10.24 مليون نسمة ، أي أن عدد سكان الجزائر شهد نموا بطيئا خلال 132 سنة ، وإذا أردنا أن ندلّل على أنّ أسباب ذلك هو القمع الفرنسي فلنعقد مقارنة بين هذه المرحلة ومرحلة بعد الاستقلال ، فخلال أربع عشريات ونصف تقريبا تضاعف عدد سكان الجزائر ب 3 مرات ونصف ليبلغ العدد 35.1 مليون نسمة سنة 2009 ،وهذا دليل كاف على أن فرنسا ساهمت في كبح النمو الديمغرافي للشعب الجزائري وذلك من خلال سياسة القمع والتنكيل والتهجير التي كانت تمارسها طوال الفترة الاستعمارية ، ولكي نقف على نتائج هذه السياسة فإنّنا سوف نستعرض بعض مظاهر الوضع الاجتماعي للجزائر غداة الاستقلال.

جاء في ميثاق الجزائر لسنة 1964 مايلي : الجزائر هي واحدة من بين البلدان الإفريقية القليلة التي حصلت على استقلالها مع مثل هذه التغيرات العميقة في الهياكل الاجتماعية ، استمرار الحرب سبع سنوات ونصف وخاصة في المناطق الريفية أدّى إلى دمار مادي وبشري ، والذي يطرح مشاكل وتحديات من حيث إعادة الإعمار و التأهيل .

تحت تأثير العنف الشديد للقمع من قبل القوات الاستعمارية الضحايا وصلوا إلى عدد ضخم من خلال انفجار الإطار الاقتصادي والاجتماعي للشعب الجزائري ، وهذا كله أدّى إلى هجرة كبيرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الجزائر .([2])

1- أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الثاني ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ص 58 .

2- La charte d'Alger : ensemble des textes adoptés par le 1er congres du parti du front de libération nationale du 16 au 21 avril 1964 , annexe : la situation économique et sociale au lendemain de l'indépendance .

الاستعمار الفرنسي فشل في القضاء على الوحدات القتالية لجيش التحرير الوطني وذلك بسبب قدرتهم على الحركة والتنقل من جهة ، وأيضا بسبب الدعم النشيط من الجماهير ، وهذا جعل الاستعمار ينتقل إلى وسيلة أكثر راديكالية والتي تقوم على محاولة فصل المنظمة السياسية والعسكرية (جبهة وجيش التحرير الوطني) عن الشعب . ([1])

من هذا الشعب كان المجاهدون يأخذون ويتزودون بوسائلهم : التجنيد ، العمل ، التعليم ، المأوى ، وسائل التمويل ، النشر ووسائل الدعاية ، الاتصال ، بتعبير أخر الحركة الثورية غرست جذورها بعمق في أوساط الجزائريين ، وحتى يصل الجيش الفرنسي إلى هدفه ، كان يقوم بضربات لكل ما يشكل دعما لجيش التحرير الوطني ، هذه العمليات العسكرية والبوليسية الفرنسية أدّت إلى اضطراب البنية الديمغرافية للشعب الجزائري ، والعرض البسيط لهذه الاضطرابات يكون كافيا لتسجيل ضخامة وفداحة هذه الخسائر : - أكثر من مليون من الشهداء – 300 ألف مجاهد في الغابات – حوالي 3 ملايين من السكان أبعدوا من منازلهم وقراهم وتمّ وضعهم في مراكز وُضعت خصيصا لهذا الحدث على غرار معسكرات الاعتقال الحقيقي ، بالإضافة إلى تعرضهم إلى ظروف معيشية فظيعة في هذه المراكز – 400 ألف من المعتقلين والمحتجزين – 300 ألف لاجئ خاصة في تونس والمغرب – 700 ألف مهاجر من الأرياف إلى المدن ، هذا يعني أنّ الثورة التحريرية ضربت ومست مجموع الشعب الجزائري ، وبالتالي عدد قليل من العائلات التي لم يتم التوصل إليها ، وهذا يثبت أنّ الثورة الجزائرية هي أساسا ثورة شعبية ، هذه الاضطرابات غير المسبوقة أدّت إلى مشاكل هائلة ، هذا بالإضافة إلى أرامل وأيتام الحرب والمعطوبين ، إذن مئات الآلاف من الأشخاص يحتاجون إلى ضمان معيشتهم .([2])

قدرت الإحصائيات عدد الأيتام ب 300 ألف يتيم منهم 30 ألف من جهة الأبوين هذا بالإضافة إلى انتشار الأمية وقلة المُدرّسين ، وسوء الأوضاع الصحية .

1- La charte d’Alger : Op-cit .

2- Op-cit .

إذن كما لاحظنا فإنّ الحصيلة الاجتماعية والبشرية التي خلفتها ثورة التحرير فقط كانت حصيلة ثقيلة ، هذا بغض النظر عن الخسائر التي كانت خلال الفترة الاستعمارية ككل والتي دامت كما أسلفنا القول 132 سنة . فالحصيلة كانت أضخم من هذا ، حيث لو رجعنا إلى فترة ما قبل الثورة فإننا نورد مثالا واحدا كدليل على شناعة الجرائم الاستعمارية والتي خلفت آلاف القتلى والجرحى ، ونقصد بالذكر مجازر 8 ماي 1945 التي خلفت في أيام قلائل أكثر من 45 ألف شهيد ، وبالتالي فإنّ الحصيلة النهائية كانت أضخم وأنكى من هذه الإحصائيات التي حدّدتها الوثائق الرسمية .

اتّسمت الوضعية الصحية في المجتمع الجزائري أثناء الاستقلال بتدهور كبير نجم أساسا عن سوء التغذية وانعدام الرعاية الصحية وندرة الأطباء ، وعن سياسة التفقير والتجهيل التي كانت الإدارة الاستعمارية تمارسها ، وقد ورثت الجزائر عن العهد السابق 600 طبيب فقط ، نصفهم فرنسيون ، ثم بضعة مستشفيات ومراكز صحية تؤدي مهمتها المحددة لها في إطار خدمة الجالية الأوربية .([1])

إذن هذه الحصيلة الثقيلة طرحت مشاكل وعقبات كبيرة أمام الدولة الجزائرية حديثة الاستقلال من أجل إعادة التأهيل والتوطين العاجلة لكل هذه الفئات من الشعب .

كان هناك عدد كبير من الشباب الذين وُلدوا خلال الحرب قد تعرّضوا إلى حملات تسمم ، وكانوا في حاجة إلى إعادة التأهيل ، بالإضافة إلى ذلك الدراسة كانت متذبذبة تعرّضت للتأخر في جميع مستويات التعليم لدينا ، وأخيرا فإن تسارع وتيرة تنظيم السكان خلق وضعية مقلقة في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية هي في غاية الأهمية ، وتشير التقديرات إلى أن 731 ألفاً عدد من أُجبروا تحت ضغط الحرب على ترك الأرياف نحو المدن بين 1954 – 1960 ، وتفاقمت الحركة أكثر حيث بلغ عدد النازحين ما بين 1960 – 1963 حوالي 800 ألف شخص ، في حين 45 ألف فقط كانوا يهاجرون في الاتجاه المعاكس ، بالنسبة لمعظم هؤلاء الناس ليس لديهم دخل ، خلق طبقة دنيا في المدن وأصبح مشكل البطالة أكثر حدّة ، هذا أدى إلى زيادة النفقات الاجتماعية ، التجهيز والتوزيع على حساب التصنيع .([2])

أكثر الذين هاجروا من الأرياف إلى المدن غيّروا أنماط حياتهم ، وتطلّب ذلك زيادة النفقات الاجتماعية للتجهيز والحاجيات العامة للاستهلاك .

---

1 – مجلة الجيش : العدد 260 ، نوفمبر 1987 ، ص 7 .

2- La charte d’Alger : Op-cit .

أدّى رحيل الأوربيين إلى سيرورة امتلاك الفضاءات التي أصبحت شاغرة ، فندرة الوظائف قاد إلى نزوح واسع جدا ومفاجئ للسكان إلى المناطق الحضرية ، وقد تركت هذه التيارات المهاجرة بصمتها الدائمة على ملامح المدن (تشبع المدن القديمة ، توسع مخيف للسكن المؤقت وبناء مدن الصفيح بالقرب من المدن الجديدة)، ما بين 1960 – 1963 شهدت المدن الجزائرية وصول 800 ألف ساكن جديد (نصفهم إلى مدينة الجزائر) ، ومابين 1954 -1960 ارتفع عدد سكان مدينة الجزائر بنسبة 80 % ، كما ارتفع عدد سكان البلديات الحضرية من ثلاثة ملايين نسمة في عام 1959 إلى 4 ملايين نسمة في عام 1966 من مجموع عدد سكان الجزائر البالغ 10 ملايين نسمة ، ولم يؤدّ تملك الفضاء الحضري إلى محو التمييز بين الطبقات بل ساهم في خلقها ، وبخاصة بين الشرائح الوسطى والطبقة الفلاحية الفقيرة ، كما لم تؤد الهجرة الريفية إلاّ إلى البطالة ، أو في أفضل الأحوال إلى شغل الوظائف والمهن البسيطة التي توفرها الخدمات ، كما شهدت سنوات الاستقلال الأولى رسوخ الشرائح الحضرية من البرجوازية الصغيرة واتساعها : مستخدمين في الإدارة والجيش وصغار تجار وحرفيين .([1])

يذكر أحمد بن بلة في مذكراته " أنّه غداة الاستقلال كان الجيش الفرنسي مازال يحتل البلاد بفضل اتفاقيات إيفيان وفي أشياء كثيرة مازلنا خاضعين للحكومة الفرنسية ، ومن جهة أخرى فإنّ الهجرة الجماعية لتسعة أعشار السكان الفرنسيين بالجزائر صيف 1962 قد جرّ انهيار البنية الاقتصادية للبلاد ، وعلى عشرة ملايين من الجزائريين يوجد مليونان عاطلان عن الشغل ، منهم أكثر من ربع مليون في مدينة الجزائر وحدها ، وأصبحت البطالة في المدن أكثر هولا بتدفق القرويين الجياع " . ([2])

"عمّا كان الفلاح يبحث في مدينة الجزائر ووهران وقسنطينة خلال صيف 1962 ؟ عن الإغاثة الغذائية ، وعن المدرسة لأبنائه وعن المساعدة الطبية له ولعائلته ، وأيضا عن مسكن رخيص ... ، كان علينا إذن أن نقنعهم بالعودة إلى القرى وكان لابد لكي نعطي سواعدهم شغلا ونؤمّن للبلاد مصدرا للتموين ، أن نحي قبل كل شيء القطاع الزراعي كله " .([3])

1- Benjamin stora : Histoire de L'Algérie depuis l'indépendance 1962- 1988 , Paris , la découverte ,4 eme édition , 2004 , p 34 .

2 - ميرل روبير : مصدر سابق ، ص 159 .

3 – نفس المصدر : ص 160 .

يضاف إلى كل هذه المصاعب الموضوعية الموروثة عن حرب " الأرض المحروقة " ، التدمير بعيد المدى الذي أحدثته منظمة الجيش السري بعد إيقاف إطلاق النار وأزمة الصيف الشهيرة 1962 التي أخّرت تنصيب أول سلطة وطنية ثورية بعد الاستقلال إلى أواخر سبتمبر 1962 ، كانت الحكومة الوطنية ترى بوضوح أنّ البلاد مهددة بشتاء جائع وصعب ، إذ أنّ الفلاحين الجزائريين كانوا على حد تعبير عمر أوزقان وزير الإصلاح الزراعي وقتئذ يصارعون البغال على أكل الشعير.([1])

هذه الهجرة الداخلية من الأرياف نحو المدن زادت من تفاقم المشاكل الاجتماعية ، وزادت من أعباء الحكومة الجزائرية في التكفل بكل فئات المجتمع وهذا راجع ربما لسببين رئيسيين هما أولا عدم الخبرة في ممارسة الحكم وتسيير شؤون دولة بهذا الحجم لغياب نخب قادرة على ذلك نتيجة سياسة التجهيل التي مارستها فرنسا خلال 132 سنة ، هذا من جهة ، والسبب الثاني هو افتقار الدولة للموارد المالية الكافية للتكفل بكل المشاكل التي يعاني منها الشعب الجزائري ، وذلك راجع للنّهب والسلب الذي تعرضت له الخزينة الجزائرية من المعمرين الفرنسيين .

لو أنّنا أمعنا النظر في الخريطة العمرانية للجزائر غداة الاستقلال لوجدنا مدناً صغيرة في مجملها تضم بناءات حديثة وفيلات عصرية راقية كان يسكنها العنصر الأوربي ، ونجد هذه المدن محاطة بحزام كبير من البيوت القصديرية والترابية التي كانت تأوي المواطنين الجزائريين ، كما أنّنا نجد في الجانب الآخر قرى وأرياف ومجمعات لا تقل حالتها بؤسا عن أحياء الجزائريين بالمدن (أكواخ ، بيوت من الطوب والقصدير ..) .([2])

يقول أحمد بن بلة أنّه : " عندما تشكلت حكومتي كان يوجد مئات ومئات من الشيوخ والنساء الذين ينامون بالليل تحت حنايا العاصمة ، وفي هذه الآونة كنت أعمل حتى ساعة متأخرة من الليل ، وقبل أن أنام كان من عادتي أن أتجول حوالي الساعة الواحدة أو الثانية صباحا بالمدينة لشم الهواء ، وهناك كنت أرى من ساحة لأخرى أكواما بشرية جامدة ممدّدة في أسمالها ، يكاد الناظر إليها في ظلال الحنايا الباهتة يحسبها أمواتا سقطوا في معركة الحياة ، ومن أمسية لأخرى كان قلبي ينقبض لرؤيتهم يتكاثرون ، لقد كان يوما جميلا وسعيدا بالنسبة لي عندما أعطيت الأمر بجمع هؤلاء الفقراء وتوزيعهم على الملاجئ التي كونّاها والتي كانت في انتظارهم ، قد قمنا بهذه العمليات ونحن نعرف تماما أنّنا لم نضع بعد أيدينا على ما هو جوهري" .([3])

1- ميرل روبير : مصدر سابق ، ص 160 .

2 – الجيش : العدد 260 ، نوفمبر 1987 .

3 – ميرل روبير : المصدر السابق ، ص 170 .

في العهد الاستعماري كانت السلطات الفرنسية تخص بالاهتمام المناطق الآهلة بالسكان الفرنسيين كالجزائر العاصمة ووهران والبليدة وغيرها ، أما القرى النائية والأرياف فقد كانت محرومة من أبسط أساليب العيش الكريم كالكهرباء والماء والمستوصفات ، وما إلى ذلك من نقائص ، ووجدت الدولة الجزائرية الفتية صعوبات في إعادة تأهيل القرى والمناطق الريفية ، وبقي وضعها على ما هو عليه إلى أن تولى الرئيس هواري بومدين الحكم ، فأولى الفلاحين المحرومين بعضا من اهتمامه .([1])

في شهر جويلية 1962 كانت الجزائر تعاني من معيقات شديدة الوطأة ، فقد كانت الحرب قاتلة وطويلة الأمد ، وخلال عدة أشهر مابين جانفي وجوان 1962 نفذت المنظمة العسكرية السرية التي تضم أيضا الجزائر فرنسية سياسة الأرض المحروقة ، وعانى الاقتصاد منها معاناة خطيرة ، وقبل الاستقلال بفترة طويلة تراكمت أمارات التفكك الاجتماعي ، فالبطالة مهمّة وتتضاعف أعداد مدن الصفيح حول المراكز الحضرية ، ومنذ الخمسينيات كان الجزائريون يذهبون إلى فرنسا بحثا عن عمل لا يجدونه في بلدهم .([2])

في ميدان السكن ، السكنات المهجورة من طرف الأوربيين لم تكن كافية ، يجب توفير 7 ألاف سكن جديد في السنة بالنسبة للمدن ، وأكثر من 65 ألف في الأرياف ، كما تجدر الإشارة إلى أن الاستيلاء على السكنات الشاغرة أدّى إلى سحب استثمارات كبيرة وإدانة أكبر عدد من الشاغلين لهذه السكنات .

ملايين الجزائريين يعانون سوء التغذية ، تعرّضوا لسنوات طويلة لقصف دائم للقرى من نظام قائم ومرتكز على التعذيب ، هذه الأمور شكّلت نقائص خطيرة ، وممّا زاد من تفاقم هذه المظاهر هو المشكل الصحي خاصة في الأرياف أين الأطباء لم يتوقفوا عن الهجرة (الهروب) ، هذا دون الكلام عن الصدمات والاختلالات العقلية التي وحدها تتطلب ضرورة تعبئة الخدمات المتخصّصة أكثر بكثير من تلك التي تملكها ، أصبح الملايين من الجزائريين الجائعين الذين تعرّضوا سنوات طوال للقنابل والاحتشاد والتعذيب مشوبين بنقائص بدنية خطيرة ، مما أدى إلى ارتفاع نسبة الأمراض ارتفاعا أخطر ما كان عليه ، وهذا ما يشير إلى حدة المشكلة الصحية خاصة في الأرياف التي ما فتئ الأطباء يفرّون منها ، زد على ذلك الصدمات والأمراض النفسية التي تتطلب تجنيدا للمصالح المختصة .([3])

---

1 – يحي أبو زكريا : الجزائر من أحمد بن بلة إلى عبد العزيز بوتفليقة (أطروحة دكتوراه) ، نشر إلكتروني ، جويلية 2003 ، ص 14. موقع الناشري .

2- Benjamin stora : Op-cit , p11 .

3- La charte d’Alger : Op-cit .

ظاهرة اجتماعية أخرى ميّزت الجزائر المستقلة ، فبعد انتزاع الاستقلال في عام 1962 لم تتحقق توقعات " العودة" (عودة المهاجرين) ، بل كان الأمر على نقيض ذلك ، فمعاهدات عام 1962 التي اعتمدت استقلال الجزائر ، حدّدت من ثمّ واجبات وحقوق رعايا البلدين ، إذ خصصت 14 مادة لحقوق الفرنسيين في الجزائر ومادتين فقط لحقوق الجزائريين في فرنسا ، فبحسب المادتين 7 و 11 يتمتع الجزائريون وبخاصة العمال منهم بالحقوق نفسها التي يحظى بها الفرنسيون باستثناء الحقوق السياسية ، وبعض الحقوق النقابية وحرّية التجمع ، كما يتمتّعون بحرّية الانتقال بين البلدين ، لكنّ التاريخ سيقلب التكهنات والاتفاقات فقد غادر أوربيو الجزائر بكثافة وفي الاتجاه نفسه ازدادت حدة هجرة العمال الجزائريين .

إنّ سبع سنوات ونصف من الحرب المتّسمة بالدمار وانتقال السكان وضراوة المنظمة العسكرية السرية في تدمير البُنى التحتية وهجرة الأوربيين الكثيفة والسريعة واختلال الجزائر العميق الناتج عن ذلك كله ، والوصول المفاجئ لعشرات الآلاف من السجناء الجزائريين المحررين أو الجنود المسرحين إلى سوق العمل ، والصراع الداخلي من أجل الوصول إلى السلطة : هي عوامل تفسر استئناف الهجرة إلى فرنسا إبّان صيف عام 1962 ، مابين الأول من شهر سبتمبر 1962 إلى غاية 11 نوفمبر ، سُجّل دخول 91744 جزائري إلى فرنسا ، ووصول عائلات بأكملها فضلت الإقامة في محافظات في أوج ازدهارها الاقتصادي .([1])

... لم تمنع إجراءات نظام الحصص تضخم الهجرة ، ففي ربيع 1965 تجاوز عدد الجزائريين في فرنسا عتبة 450 ألف شخص ... وحسب ميثاق الجزائر أفريل 1964 فإنّ " أسباب الهجرة الجزائرية إلى أوربا وعلى وجه الخصوص إلى فرنسا مرتبطة بشكل وثيق بمستوى التنمية في الجزائر ، وقد يُمكن تخفيفها أو كبحها ، لكن لا مجال لإيقافها إلا باختفاء الأسباب الرئيسية لها ".([2])

1- Benjamin stora : Op-cit ,pp 19 , 20 .

2 - Op-cit , p 33 .

فالحالة الاجتماعية في الجزائر كانت جد مقلقة ، حيث أحصت الجزائر في عام 1963 حوالي مليوني بطال و 2.6 مليون شخص بدون موارد ومصادر للرزق ،إذن اضطرابات مختلفة انفجرت ،تولدت عن البؤس، غضب الفلاحين وخاصة في قسنطينة ،انتشار اللصوصية ، مظاهرات متواصلة للبطالين في المدن ...إلخ([1])

إذن إذا أردنا أن نلخص الوضع الاجتماعي في الجزائر غداة الاستقلال نقول : حسب الإحصائيات الرسمية التي حددها ميثاق الجزائر 1964 فإنّ عدد شهداء ثورة التحرير قُدر ب 1,5 مليون شهيد ، وعدد النازحين والمهجرين بحوالي 3 ملايين والمعتقلين لدى الاستعمار ب 400 ألف ، واللاجئين خارج الوطن ب300 ألف والأيتام ب 300 ألف منهم 30 ألف من جهة الأبوين ، زيادة على مئات الآلاف من المعطوبين والمشوهين والأرامل .

وانتشار الأمية وقلة المدرّسين وسوء الأوضاع الصحية وانخفاض مستويات المعيشة ، وانتشار البطالة التي مست حوالي 70 % من الفئات النشيطة وهذا راجع لضيق سوق العمل والنزوح الريفي وظاهرة الهجرة وخاصة إلى أوربا ، مع قلة السكن والموجودة عبارة عن أكواخ آيلة للزوال ، ناهيك عن انتشار الأمية في أوساط الجزائريين حيث بلغت نسبة 80 % نتيجة سياسة التجهيل ، وانفجار ديمغرافي لا يتماشى مع الاقتصاد ، وأخيرا على الحدود مناطق واسعة ملغّمة مازالت تشكل مناطق مميتة وتحتاج إلى الكثير من الوقت لإزالة الألغام ، إذن هذه باختصار بعض ملامح الأوضاع الاجتماعية للجزائر غداة الاستقلال .

1- Benjamin Stora : Algérie histoire contemporaine 1830 – 1988, casbah édition , Alger ,2009 , p245 .

المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية للجزائر غداة الاستقلال .

ورثت الجزائر غداة الاستقلال اقتصادا منهارا تابعا ومكملا للاقتصاد الفرنسي ، فقد بقي الاقتصاد الجزائري مرتبطا عضويا بالاقتصاد الفرنسي لمدة طويلة ، حتى استطاعت الجزائر أن تحقق استقلاليتها في هذا المجال بعد دخولها في سياسة التأميمات ، وتبنّيها سياسة تنموية شاملة تعتمد النظام الاشتراكي كأساس ، وكذا تنويعها لشركائها الاقتصاديين حتى تتحرر من تبعيتها للسوق الفرنسية ، وقد استطاعت في فترة زمنية قصيرة أن تبني اقتصادا مستقلا له مكانته على الساحة العالمية ، فهي حاليا (2008) تحتل المرتبة السابعة عالميا من احتياطي الغاز الطبيعي وتعتبر ثالث مصدر له بعد كل من روسيا وكندا ، كما تحتل المرتبة 14 عالميا من احتياطي النفط ، ولها شراكة تربطها مع العديد من دول العالم ، وخاصة الدول الرأسمالية وفي مقدمتها دول الاتحاد الأوربي ، والولايات المتحدة الأمريكية .

سنحاول في هذه السطور أن نستعرض بعض مظاهر الاقتصاد الجزائري غداة الاستقلال ، وفي السنوات الأولى التي تلت لاستقلال .

عانت الجزائر غداة الاستقلال مجموعتين من المشاكل ، مشاكل موروثة عن الاستعمار ومشاكل تولّدت عن الحرب والاستقلال ، وكان التحدي الرئيسي للجزائر هو تحقيق الاختيار الاشتراكي ، والمشكل الحقيقي هو استبدال وتعويض الهياكل الموروثة عن الاستعمار .

المشاكل الناتجة عن الاستعمار: الاقتصاد الجزائري كان يعتبر جزءا من الاقتصاد الفرنسي، بالإضافة إلى امتيازات الاستعمار ، وكذلك ترسانة من وسائل القمع السياسي والاقتصادي للشعب الجزائري ، هذا كلّه أدّى إلى التخلف العام ، وينعكس هذا التخلف في العديد من البيانات التالية : - أهمية الزراعة في الاقتصاد الوطني وانخفاض التصنيع والعمالة الناقصة ، والدخل الفردي المنخفض للسكان وخاصة في الأرياف ومحدودية التقنيات الحديثة .([1])

أ - الميدان الفلاحي : القطاع الزراعي كان يشغل ما بين 65 – 70 % من السكان العاملين في حين لا يُقدّم إلا 40 % من الإنتاج الوطني و 22 % من الدخل القومي ، وهذا ما يفسر ضعف الإنتاج في هذا القطاع .([2])

---

1 - La charte d'Alger : Op-cit .

2 – Op- cit .

لم يكن الإنتاج الفلاحي يتطور ويتماشى مع احتياجات الاستهلاك ، فمثلا متوسط إنتاج الحبوب لم يتجاوز (16 – 17 مليون قنطار) في حين أنّ احتياجات الاستهلاك ارتفعت إلى (24- 25 مليون قنطار) والزيادة الطبيعية للسكان ارتفعت إلى 3 % في السنة .([1])

ب - الميدان الصناعي : كانت الصناعة مشلولة والمعامل مغلقة أو مخرّبة ، وبالرغم من إمكانات الجزائر الطبيعية ظلّ تصنيع البلاد ضعيفا ، فقد كانت تملك قبل الاستقلال 200 ألف وظيفة في القطاع الصناعي لحوالي 11 مليون ساكن ، أي أقل من وظيفتين لكل 100 نسمة ، بينما معدل البلاد الصناعية الأوربية هو منصب صناعي واحد لكل 8 أو 9 أشخاص .

ج – انخفاض نصيب الفرد من الدخل القومي هو نتيجة مباشرة لنقص العمالة بشكل مستمر في الأرياف ، الفلاح في الريف لا يعطي للأرض أكثر من معدل 100 يوم في السنة ، في حين يمكن أن يقدم 250 يوم ، في المدن حجم البطالة المقدمة قبل الاستقلال 45 % وهذه الوضعية تظهر البطالة بأنّها المشكل الوطني الأكثر أهمية في ضرورة المعالجة .

د – التنمية الاقتصادية تتطلب الاستعمال السريع والأمثل للتقنيات الحديثة ، والعقبة أمام انتشار هذه التقنيات تعود خاصة إلى ضعف الدخل الفردي وانتشار الأمية ... إذن هي غير مستعدة لنشر التقنيات الحديثة ، فاستعمال هذه التقنيات يحتاج إلى تجهيز صناعي جيد ومستوى كاف من التعليم

- النتيجة البنيوية الأكثر شيوعا عن النظام الاستعماري هو وجود ثنائية قطاعية متميزة بتعايش نظامين اقتصاديين ، الأول متقدم والآخر متخلف وليس بينهما أي علاقة .

الصناعة والزراعة في الجزائر معزولتين عن بعضهما البعض كما هو موضح بالأرقام التالية : الصناعة في الجزائر تستهلك 25 % فقط من الإنتاج الزراعي (53 % في البلدان الصناعية الأوربية) ، وعلى العكس استهلاك السلع المصنعة من طرف الزراعة يمثل 8 % من قيمة الإنتاج الفلاحي (14% في البلدان الصناعية الأوربية) ، هذا الافتقار إلى التكامل يُفَسر بالوضعية الحالية للزراعة المتخلفة أين تكاليف الاستثمار والاستغلال ضعيفة جدا .([2])

1- Benjamin Stora : Algérie histoire contemporaine 1830 – 1988 , op- cit , p 245 .

2 - La charte d’Alger : Op-cit .

تبدو الثنائية القطاعية أكثر بروزا في الميدان الزراعي بسبب وجود قطاع حديث يقدم 60 % من الإنتاج الزراعي موجه نحو التصدير ، وقطاع متخلف موجه نحو اقتصاد الكفاف ، وينتج عن هذا أنّ الزراعة العصرية الواقعة في أكثر الأراضي خصوبة قادرة بفضل تراكم رؤوس الأموال ، على الاستثمار واستعمال التكنولوجيا الحديثة والانتفاع من الفائض ، في حين أنّ الزراعة التقليدية لا تساهم إلا مساهمة ضعيفة في الدخل القومي ويظل بذاته عاجزا عن الاستثمار .

تعاني الجزائر كذلك من ثنائية اقتصادية إقليمية تتميز خاصة بوجود مناطق اقتصادية متطورة والمتكونة من أقاليم متناقضة مع بقية المناطق الأقل تطورا التي لا تجد ما يكفي من الأسواق المحلية ، ... المناطق الموجودة في الشمال في الشروط الأكثر ملاءمة للزراعة الأوربية مفتوحة لفرنسا ، وتشكل قطب جذب للتركز السكاني وللثروات على حساب باقي البلاد .

نستطيع أن نميّز كذلك التباين في قيمة الدخل الفردي بين هذه المناطق ، فباتخاذ العدد 100 كأساس معدل الدخل الفردي للجزائري ، نجد أن الساكن بباتنة لا يملك سوى 30 ، وفي تلمسان 70 وفي وهران 200 ، وفي الجزائر 275 ، إذن بين باتنة والجزائر وجود تفاوت من 1 إلى 9 مرات .

الاستقلال السياسي لم يؤدّ في الواقع إلى اختفاء التبعية الاقتصادية التي تظهر في أشكال مختلفة ، وهي مبدئيا تبعية تجارية ، تقنية ، مالية وتبعية إنسانية ، والتبعية هذه هي أكثر وضوحا في الميدان التجاري ، فالتجارة الخارجية للجزائر تشكل سببا من أسباب الضعف الهامة لاقتصادها وهذا لأنها تمثل جزءا من الإنتاج الداخلي ، أمّا صادرات الجزائر فتتضمّن عددا محدودا من المنتوجات تُصدّر نحو السوق الفرنسية ، ويبقى القسم الأكبر من الواردات أيضا من السوق الفرنسية ،وهكذا تكون 80 % من التجارة الخارجية تتم مع فرنسا .([1])

وإذا فحصنا صادرات الجزائر نجدها تضم عدد محدود من المنتوجات (28 % نبيذ ، البترول 45 % ، الحمضيات 14 % ، خامات الحديد 3,3 %) ، وأكثر هذه المنتوجات أهمية موجهة للسوق الفرنسية .([2])

1- La charte d’Alger : Op-cit .

2- Op-cit .

إذن الواقع الاقتصادي في عام 1962 كان متدهورا وكانت الجزائر وريثة اقتصاد موجه كليا نحو الخارج مُصمّم للاستجابة إلى حاجات الوطن الأم فرنسا والأوربيين الذين يعيشون فيها ، ففي النصف الأول من القرن 20 م أدّى الاندماج التدريجي في الاقتصاد الفرنسي إلى انهيار الصناعات اليدوية المحلية التي عانت من منافسة المنتجات الفرنسية المصنعة ، وتكوّن اقتصاد ثنائي تسيطر عليه الزراعة ، إلى جانب حديث يمتلكه كبار المستثمرين من المستوطنين ، حاول قطاع تقليدي ضعيف الإنتاج تلبية معيشة السكان المحليين ، ... في عام 1962 كانت الجزائر لا تزال مجتمعا فلاحيا بدرجة كبيرة ، ... فالقطاع الصناعي كان لا يمثل سوى 27 % من الإنتاج الكلي ونصف القطاع الصناعي ليس إلا تحويلا بسيطا للمنتجات الزراعية .([1])

إنّ هجر العمال للزراعة لم يُعوّض عنه بما فيه الكفاية بتعبئتهم في الصناعة ، إذ فاق النمو السكاني قدرات التشغيل المحلية ، واتسمت سنتا 1961 و 1962 بنوع من الفراغ الاقتصادي ، فقد غادر الجزائر نحو 900 ألف عامل منهم 300 ألف من الناشطين اقتصاديا الذين يؤمّنون التأطير الإداري والاقتصادي في الجزائر ، يزوّد هؤلاء الأوربيون الجزائر بنصف إيراداتها الضريبية ، ويستهلكون ما يقرب من 60 % من وارداتها و40 % من إنتاجها المحلي .

منذ عام 1959 لوحظ بالتزامن مع احتدام النزاع بين الجيش الفرنسي والوطنيين الجزائريين تهريب رؤوس الأموال ، وتواصل تهريبها على نطاق واسع حتى عام 1964 وزاد من حدتها اختلال الجهاز الإنتاجي ، وأدّت الحرب إلى مزيد من تدهور النظام الاقتصادي وبخاصة أن الخسارة في الرأسمال البشري كانت مهمة ... ، في جويلية 1962 هُجرت المزارع الكبيرة ،وأُغلقت المصانع ،ودُمّر العديد من المؤسسات العامة .([2])

من مظاهر التبعية الاقتصادية الذي غالبا ما يتمّ تجاهله وهو التبعية التقنية ، فالمعدّات التي كانت تملكها الجزائر كانت معدات فرنسية وبالتالي قطع الغيار بالضرورة تأتي من السوق الفرنسية في كل الميادين . التبعية المالية للجزائر تنتج بالتوازي لتبعيتها التجارية ، ... لا يوجد سوق مالي في الجزائر ، البنوك والخواص يضعون إمكاناتهم في السوق الفرنسية أين يجدون وسائل التمويل التي يحتاجون إليها ، هذه التبعية تشكّلت بروابط مالية ضيقة التي تربط المؤسسات البنكية الجزائرية بالفرنسية .([3])

1- Benjamin stora : Histoire de L'Algérie depuis l'indépendance 1962- 1988 , Op-cit , p 12 .

2 - Op-cit , p 13 .

3- - La charte d'Alger : Op-cit .

وتتميز التبعية الجزائرية أخيرا بالتبعية الإنسانية ، غياب الإطارات الضرورية لبناء دولة حديثة واقتصاد مصنّع طرح مشكل حضور التقنيات الأجنبية .

ضعف الاقتصاد الجزائري ظهر كذلك في التقسيم الإقليمي ، الإطار الإقليمي الجزائري يتميز منذ فترة طويلة بتقسيم (شمال ، جنوب) إلى 3 نطاقات في تقسيم عمودي ، المناطق الشمالية أصبحت جاذبة للسكان وهي ظاهرة خطيرة على الجزائر لأنّ أي هجرة للسكان يساويه أيضا تحويل المناطق المهجورة إلى صحاري .

هناك مشاكل أخرى عانى منها الاقتصاد الجزائري غداة الاستقلال جراء الدمار المادي الذي تعرّض له الاقتصاد الجزائري ، فقد تمّ تدمير 8 ألاف قرية والتي يتوجب إعادة تعميرها ، ألاف الهكتارات من الغابات تمّ حرقها ، إذن بلدنا كان بحاجة إلى إعادة تشجير مساحات واسعة خاصة في المناطق الجبلية .

لسنوات عديدة تُركت أراضي بور وأشجار فاكهة بدون الصيانة اللازمة التي من شأنها حمايتها ومنعها من الهلاك ، أضف إلى ذلك مستلزمات الحرب الثورية أدّت إلى تدمير مساحات واسعة من المحاصيل الشجرية ، انتقل عدد رؤوس الماشية من 7 ملايين رأس إلى أقل من 3 ملايين وهذا راجع لعمليات النهب التي تعرّضت لها ، من هنا طُرح مشكل إعادة إنتاج رؤوس الأغنام كواحدة من الانشغالات الهامة للمصالح الفلاحية ، كذلك الطرق دُمّرت وتدهورت لعدم وجود صيانة ، فضلا عن العديد من الأعمال الفنية ، كان هذا التخريب والدمار ضخما حيث أنّها كانت تحتاج إلى أعمال استعجالية ، وقد استهلكت الجسور والطرقات أكبر جزء من الميزانية خلال سنة 1963 .

بالإضافة إلى تلك الجرائم التي قامت بها منظمة الجيش السري بالمدن ، ومن بين تلك الجرائم إحراق المكتبة الوطنية (الجامعية) وتدمير بعض المنشآت الهامة بالجزائر ، هذه التفجيرات أضرت بمئات المباني بما فيها عدد من المدارس .([1])

1- La charte d’Alger : Op-cit .

من بين المشاكل التي عانى منها الاقتصاد الجزائري غداة الاستقلال هي تلك الأزمة الخطيرة للصادرات بسبب محدودية الأسواق بالنسبة للإنتاج المحلي (انخفاض بمقدار الثلث والربع والثلثين للكرمة والخضار والزراعات الصناعية على التوالي) ، ... سعت الجزائر إلى تطوير علاقاتها الاقتصادية مع دول أخرى ، فقد قدّم الاتحاد السوفييتي قروضا وعونا تقنيا ، لكن قليلا ما يتاجر مع الجزائر ، وأصبح جوهر تجارة الجزائر مع بلدان السوق الأوربية المشتركة ، نحو 70 % من التجارة الكلية ، نصفها مع فرنسا ، وبقيت حصة البلدان الاشتراكية بسيطة (أقل من 5 %) ، وحصة الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربية حصة جيدة (نحو 10 %) . ([1])

كان القطاع الزراعي الذي يقوم على التسيير الذاتي يستأثر بالقسم الأعظم من الأموال الجاهزة ، ويعاني نشاطه من عجز ثقيل الوطأة ، ولا يحقق الإنتاج الزراعي تقدما ، في حين أنّ حاجات الاستهلاك لا تتوقف عن التزايد ، فمتوسط إنتاج الحبوب لا يزيد عن 16 إلى 17 مليون قنطار بينما الحاجة إليها تصل إلى 24 – 25 مليون قنطار ويرتفع عدد السكان بنسبة 3 % سنويا.

بالنسبة لقطاع البناء والأشغال العمومية مثلا لوحظ انخفاض الإنتاج بنسبة 55% ما بين عامي 1962 – 1963 ، فقد اختفت 1400 منشأة أشغال عامة من أصل 2000 منشأة ، بينما يشهد قطاع التعدين وصناعة الصلب انخفاض الإنتاج بنسبة 20 و 25 % ، وكان سوء استخدام الإنتاجية مثيرا جدا للقلق : 58 % في المنسوجات و 14% في صناعة تعليب الأسماك ، و40 % بالنسبة للفواكه ، وتوقف شبه كامل لإنتاج السكر ، وكان انخفاض الاستثمارات أكثر حدة من انخفاض الإنتاج : فما بين 1961 – 1963 انخفضت الاستثمارات (بما فيها قطاع النفط) من 1464 مليار إلى 84 مليار بالأسعار الجارية ومن 333 مليار إلى69 مليار (باستثناء الاستثمارات في قطاع النفط) .([2])

---

1 - Benjamin stora : Histoire de L'Algérie depuis l'indépendance 1962- 1988 , Op-cit ,p30 .

2 - Op-cit , p 31 .

في الوقت نفسه ازدادت النفقات غير الإنتاجية مع التضخم الهائل في الدوائر العامة فما بين 1954 – 1963 ارتفع عدد العاملين في الجزائر من 30 ألف حتى 180 ألف شخص ، ويمثل الجيش عبئا ثقيلا في ميزانية التسيير ، ففي بداية عام 1962 كان عدد أفراد جيش التحرير الوطني 80 ألف جندي على الحدود و6 ألاف مقاوم ، وفي عام 1963 ارتفع عددهم حتى 120 ألف جندي ويستهلكون 10 % من الناتج المحلي الإجمالي .

في عام 1963 وصل العجز إلى درجة أنّ الجزائر دُفعت إلى الحصول على قرض من فرنسا مقداره 1,3 مليار فرنك ،وكانت تنتظر من فرنسا اتخاذ سلسلة قرارات لتشجيع اقتصادها : إنجاز أعمال المنشآت العامة ، وإرسال تقنيين ومتطوعين في التعليم الوطني واتفاقيات تصدير خاصة بالخمر ، وكانت الهجرة الجزائرية آنذاك تحظى بالتشجيع . ([1])

بعد خروج فرنسا من الجزائر ورثت الدولة الجزائرية الفتية معضلات أثرت إلى أبعد الحدود في مسارها وأدائها السياسي والاقتصادي ، فلقد تركت فرنسا الخزينة الجزائرية خالية وخاوية بعد أن قامت بسلب كل ما فيها ، وسحبت معها كل الودائع والأموال والسيولة التي كانت موجودة في البنوك ، كما أنّ المحتلّين الفرنسيين ونكاية بالثورة الجزائرية والجزائريين حطّموا معظم الجرّارات والآلات الزراعية ، الأمر الذي ألحق أكبر الأضرار بالزراعة الجزائرية وأبقى الجزائر تابعة زراعيا لفرنسا .(2)

من بين المشاكل التي عانى منها الاقتصاد الجزائري غداة الاستقلال هو غياب الإطارات التي تُسيّر دواليب الاقتصاد الوطني والمصالح الإدارية في الجزائر ، وذلك راجع أساسا إلى فرار الإطارات الأوربية التي كانت تحتكر كل السلطات السياسية والاقتصادية والإدارية في الجزائر هذا من جهة ومن جهة أخرى قلة الإطارات الوطنية والذي يرجع أساسا إلى سياسة التجهيل التي كان يمارسها الاستعمار الفرنسي ، ومن بين المشاكل التي تولدت عن هجرة الأقليات الأوربية نذكر ما يلي :

أ – غياب الإطارات : حيث كانت اليد العاملة الأوربية النشيطة في الجزائر تُقدر بحوالي 300 ألف منهم حوالي 33 ألف رئيس استغلال ، 15 ألف من الإطارات العليا وممتهني الوظائف الحرة ، 100 ألف إطار متوسط وعامل .

1-- Benjamin stora : Histoire de L'Algérie depuis l'indépendance 1962- 1988 , Op-cit ,p33.

2- يحي أبو زكريا : المرجع السابق ، ص 11 .

بالإضافة إلى 35 ألف عامل مؤهل (إطار) ، إذن حوالي 200 ألف يشغلون مناصب أو وظائف هامة ، هجرة وهروب هذه الإطارات شكلت مشاكل كبيرة على الاقتصاد الجزائري وخاصة التكوين المهني والحضور التقني والتسيير الاقتصادي ، كما أدّى غياب الإطارات إلى انخفاض في المداخيل (الإيرادات) على المستوى الاقتصادي ، وزادت من مشاكل الصحة العمومية والتعليم .

ب – اضطراب السوق الداخلية : كانت الأقلية الأوربية تستهلك حوالي 40 % من الإنتاج المحلي و60 % من المواد الاستهلاكية ، هجرة هذه الأقلية الأوربية حرّرت حوالي 36 % من الإنتاج المحلي وخاصة في ميدان الخدمات ، و54 % من المواد الاستهلاكية المستوردة (مصنّعة ، غذائية ، خياطة ، صناعات حديدية وتقنية).

ج – ضياع رؤوس الأموال : ضياع رؤوس الأموال رافق هجرة الأوربيين ، أدّى إلى ضعف الضرائب ، حوالي 110 مليار فرنك هُرّبت من طرف المستوطنين ، وحوالي 20 مليار فرنك عبارة عن ديون غير مسدّدة .

د – الهجرة الشاملة للمقاولين الفرنسيين الذي أدّى إلى ترك أكثر من 40 % من الأراضي المستوطنة ، إضافة إلى اختفاء شبه إجمالي لصغار المؤسسات الصناعية والحرفية في الداخل ، اختفاء مئات الآلاف من المستهلكين ذوي مستوى معيشي عالي ، وضياع رؤوس الأموال تسبب في عرقلة الاقتصاد الجزائري غداة الاستقلال . ([1])

كانت السلطة السياسية غداة الاستقلال بأيدي الجزائريين ، ولكنّ السلطة الاقتصادية (الأرض نفسها) كانت مازالت بأيدي الأوربيين ، كان هؤلاء مازالوا محتفظين بمزارعهم العظيمة يواصلون كما كانوا في الماضي استغلال الفلاح الجزائري ، لقد كان واضحا أنّ ابسط مبادئ العدل لا تُقرّ بمثل هذا الوضع وأنّ كلمتي (الاستقلال والثورة) لن يكون لهما أي مضمون ، وأنّ منهاج طرابلس المرحلي يبقى حبرا على ورق إذا ظلت الأرض الجزائرية ملكا لكبار المُلّاك العقاريين فرنسيين أو جزائريين .([2])

1- La charte d’Alger : Op-cit .

2- ميرل روبير : المصدر السابق ، ص 176 .

وفي مارس 1963 أصدرت حكومة أحمد بن بلة قرارات مارس التي أمّمت الجزء الأعظم من الملكيات العقارية ، " كنّا نخشى أن تكون هذه الملكيات هدفا لتخريب المُلّاك المجرّدين منها ، إذ عند إبرام اتفاقيات إيفيان عمد بعض الكولون قبل رحيلهم إلى حرق محاصيلهم ، وإبادة مدخراتهم وتخريب آلاتهم ، ولهذا قررنا أن نستولي على الأرض قبل إصدار القانون ... كانت هناك ردود فعل من طرف الحكومة الفرنسية وكانت جدّ عنيفة ، ولكنّها لم تصل إلى حد اندلاع أزمة حقيقية بين الدولتين ".([1])

وفي الأشهر التالية لقرارات مارس اضطرّت حكومة ابن بلة لا فقط إلى تأميم المزارع ، بل أيضا الفنادق والمطاعم والمقاهي والدُّور التجارية التي انتقلت ملكيتها حديثا للجزائريين ، " هذه الاستثمارات والمؤسسات الاقتصادية التي أمّمناها ، لم نفكر في لحظة ما أن نوكل للدولة أمر تسييرها كما لو كانت أملاك دولة ، بل إنّ العمال أنفسهم هم الذين يجب أن ينتخبوا كوادرهم ويسيّروها بأنفسهم ،.... وفي نهاية عام من ممارسة التسيير الذاتي ، ورغم جدل الصحافة الغربية التي كانت تتابع تجربتنا بقصد مبيّت هو المناداة بإفلاسها عند لقاء أول صعوبة ، لكنّ الحصيلة كانت إيجابية ".([2])

إذن في بداية عهده أحمد بن بلة أولى القطاع الاقتصادي والتربوي أهمية خاصة ، فعلى المستوى الاقتصادي نهجت الجزائر نهج الاقتصاد الموجه والمُسيّر ، وكانت الحكومة الجزائرية تستعين في هذا المجال بالمساعدات القادمة من الصين ويوغسلافيا السابقة ومصر وباقي الدول التي ناصرت الثورة الجزائرية ، وكانت هناك معضلة تواجه الاقتصاد الجزائري تمثلت في سيطرة فرنسا على قطاع الطاقة ، واستفردت لسنوات عديدة في الاستفادة من الثروات الطبيعية الجزائرية ، وكانت الشركات الفرنسية تتولى التنقيب على النفط وتسويقه ، وبدل أن يكون النفط الجزائري في خدمة الشعب الجزائري الذي أنهكته الحقبة الاستعمارية ، فقد واصلت فرنسا عملية السلب والنهب ، إلى أن قام الرئيس الجزائري هواري بومدين بتأميم النفط ،وقد وجدت الدولة الفتية صعوبة بالغة في إعادة البُنى التحتية وإعادة الروح إلى القطاع الزراعي والاقتصادي ، ورغم أنّ عدد الشعب الجزائري لم يتجاوز في ذلك الوقت 12 مليون نسمة ، إلا أنّ الحكومة الفتية وجدت صعوبات في إيجاد حلول للمشاكل العالقة .([3])

---

1 – ميرل روبير : المصدر السابق ، ص 176 .

2 – نفس المصدر : ص ، ص (179 ، 180) .

3 – يحي أبو زكريا : المرجع السابق ، ص 14 .

المبحث الثالث : الأوضاع الثقافية للجزائر غداة الاستقلال .

حاولت فرنسا منذ دخولها إلى الجزائر مسخ المجتمع الجزائري وتنصيله من كل مقوماته ، وذلك حتى يسهل إذابته في المجتمع الفرنسي وقد مارست من أجل ذلك سياسة الإبادة الروحية التي تقوم على محاربة كل ما يُمتّ بصلة إلى اللغة العربية أو الدين الإسلامي أو الثقافة العربية الإسلامية ، فقامت بغلق المدارس التي تُعلم اللغة العربية وشجعت مكانها تدريس اللغة الفرنسية لفئة معينة من الشعب الجزائري وهم عمال الإدارة الفرنسية أو أبناء القياد والباشاغوات ، وشجعت كذلك اللهجات المحلية لضرب وحدة وتماسك المجتمع الجزائري لأن اللغة العربية تمثل وسيلة تلاحم بين أفراد المجتمع ، كما قامت بتشويه التاريخ الإسلامي وتلميع صورة التاريخ الأوربي في الجزائر (الروماني والبيزنطي) للإيحاء بفكرة الانتماء والتواصل ، كما قامت كذلك بتضييق الخناق على الدين الإسلامي وحاربته بكل الوسائل وشجعت مكانه الديانة المسيحية ، وقد مارست فرنسا هذه السياسة كما أسلفنا من أجل فصل المجتمع الجزائري عن مقوماته وبالتالي حتى يسهل تدجينه وإخضاعه للسلطة الفرنسية دون أدنى مقاومة منه ، وقد نجحت في سياستها هذه إلى أبعد الحدود وخاصة فيما يخص تجهيل المجتمع الجزائري ، حيث بلغت نسبة الأمية عند خروج فرنسا من الجزائر حوالي 80 % من المجتمع الجزائري ، وسنحاول في هذه السطور أن نبين بعض ملامح الأوضاع الثقافية للجزائر غداة الاستقلال وسنركز في ذلك على التعليم في الجزائر بمختلف مستوياته .

حين تأكّد الفرنسيون أنّ أيامهم في الجزائر قد دنت وأنّ استقلال الجزائر أمر لا يمكن تجنّبه ، ضبطوا إستراتيجية جديدة بديلة عن مشروعهم الاستعماري الأول الذي أخفق إلى حد بعيد ، وهي التفكير والعمل على إنجاح استمرارية مصالح فرنسا الثقافية بالجزائر .([1])

لقد وجدت فرنسا في " اتفاقيات إيفيان " فرصة للاحتفاظ بامتيازاتها كون هذه الاتفاقيات تضمّنت فصولا تُجسّد التعاون الثنائي بين الطرفين في شتّى الميادين لاسيما الميدان الثقافي الذي عُدّ الأخطر ، لأنّه يشكّل بؤرة الصراع بين الإيديولوجيتين الوطنية والفرنسية من جديد ، وسط تضارب في المواقف الجزائرية حول نصوصها في قراءتها وتحليلها .([2])

1- مالك بن نبي : من أجل التغيير ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، 1995 ، ص ، ص 56 ، 57 .

2- بن يوسف بن خدة : اتفاقيات إيفيان ، تعريب لحسن زغدار ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1987، ص، ص 116 ، 117 .

وبالنظر إلى المبادئ الواردة في اتفاقيات إيفيان نجد أنّها تكرّس التبعية الثقافية عن طريق :

الإشراف الفرنسي المباشر على إعداد البرامج التربوية ، والتعاون في ميدان تكوين الإطارات التي تشرف على البحث العلمي ، والتزام الجانب الجزائري على تنفيذ الاتفاق .
حق فرنسا في الاحتفاظ بعدد من المنشآت التربوية تكون لها مباشرة .

تقديم العون المادي والبشري لتطوير التعليم في الجزائر ، وتشجيع تدريس لغة فرنسا وتاريخها ، وهي نافذة لترسيخها على حساب اللغة العربية . ([1])

بعد خروج فرنسا من الجزائر ورثت الدولة الجزائرية الفتية معضلات أثّرت إلى أبعد الحدود في مسار الدولة الجزائرية وأدائها السياسي والاقتصادي ...، كما أدّى خروج الأساتذة الفرنسيين من الجزائر إلى شغور فظيع في القطاع التربوي والتعليمي ، وفوق هذا وذاك فقد خلّفت فرنسا في الجزائر مرضا ظل وما زال يفتك بالجزائر وهو مرض الأمية.([2])

إذن حتى يتسنّى لنا فهم الواقع الثقافي للجزائر غداة الاستقلال ، فإنّه يجب علينا أن نستعرض أوضاع المدرسة الجزائرية وأوضاع التعليم بمختلف أطواره .

1- بن يوسف بن خدة : المصدر السابق ، ص،ص 116 ، 117 .

2 – يحي أبو زكريا : المرجع السابق ، ص 11 .

معلوم أنّ التعليم الابتدائي كان في سنة 1962 في حالة يُرثى لها على غرار الميادين الأخرى ، والجدير بالذكر أنّ نسبة الانتساب إليه كانت اقل من 20 % من مجموع التلاميذ الذين صادف بلوغهم سن الدراسة الدخول المدرسي الأول بعد الاستقلال ، وكانت المدرسة المفتوحة لهؤلاء الأطفال تتلخص مهمتها في تكوين ما يحتاج إليه الاستعمار من مساعدين ، وماعدا (بعض المحظوظين) الذين كانوا يواصلون دراستهم في مؤسسات مطابقة للنموذج الأصلي الفرنسي ، كانت الأغلبية الساحقة من أبناء الجزائريين تعاني من سياسة التجهيل ، إلا أنّه بفضل التعبئة الشعبية حافظت البلاد على شكل من التربية يتفق وقيمها العربية الإسلامية.([1])

كان في المدرسة الجزائرية التي أقامتها فرنسا في المرحلة الابتدائية والثانوية حوالي 20 ألف معلم وأستاذ ، بمجرد حصول الاستقلال غادر 17 ألف منهم المدرسة الجزائرية ، وبقي 3 آلاف كل الرصيد للتعليم في الجزائر أغلبهم معلمي ابتدائي ، لم تمر سنة حتى التحق 50 % منهم بوظائف أخرى في الدولة (وزارة الداخلية ، الصحة ...) ، النصف المتبقي كذلك نصفهم ذهبوا للتفتيش ، الإدارة ، مدير متوسطة ... ، إذن الدولة واجهت فراغا رهيبا فأنشأت سلك مُمرّن لكل من له معرفة بسيطة باللغة العربية يدخل امتحان شكلي ويصبح معلما ، وهو واقع مر .([2])

---

1 – الطاهر زرهوني : التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، دار موفم للنشر ، الجزائر ، 1993، ص 39 .

2 – علي بن محمد : معركة المصير والهوية في المنظومة التعليمية ، دار الأمة ، الجزائر ، 2001 ، ص 105.

وجدت الدولة في البداية صعوبة في تسيير نوعين من التعليم الحر والنظامي ، في إدارتهما وبرامجهما وأهداف كل نوع من التعليم والغايات التربوية منهما ، وهنا ستلجأ الدولة إلى توحيدهما أملا في تحقيق مرجعية ثقافية موحدة ، أمّا النّوع الثالث فهو تابع للسفارة الفرنسية والبعثات الدينية ، وما كان يزيد من تعقيد الوضع أكثر هو الفراغ الرهيب الذي خلّفه المعلمون الفرنسيون والأوربيون ، الذين غادروا بشكل يكاد يكون جماعيا ، وذلك لظروف سياسية وأمنية ([1]).

في أول دخول مدرسي تمّ في أكتوبر 1962 في الجزائر المستقلة ، اتّخذت وزارة التربية آنذاك قرارا يقضي بإدخال اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية بنسبة 7 ساعات في الأسبوع ، وقد تمّ توظيف 3452 معلما بالعربية و16450 للّغة الأجنبية منهم عدد كبير من الممرنين قصد سد الفراغ المدهش الذي أحدثه عمدا أكثر من 10 آلاف معلم فرنسي غادروا البلاد بصفة جماعية ، زيادة على 425 معلم جزائري من مجموع 2600 انقطعوا عن التعليم ([2]).

وخلال موسم 1963 – 1964 تقرّر تعميم إجراء الموسم الماضي في المناطق التي لم يشملها ، فارتفع مجمل معلمي العربية إلى 4303 من أصل 26582 .([3])

1- Paul balta :L'Algérie des algériens vingt ans après , les éditions ouvrières , paris ,1981 , p 104

2 – الطاهر زرهوني : المرجع السابق ، ص 42 .

3 - Mahfoud Bennoune : Education culture et développement en Algérie ,E.N.A.G ,marinoor , Alger , 2000, p 229 .

كان التعليم بالنسبة للفرنسيين عام وشامل ، وعلى العكس بالنسبة للمجتمع الجزائري ، هذا التمدرس متاح من أجل 40% فقط ، يعني أنّه من 2 مليون طفل جزائري في سن التمدرس (6 – 14 سنة) فقط 800 ألف يدرسون ، وهذا التفاوت يظهر أكثر في التعليم الثانوي والعالي ، أين التلاميذ الأوربيون يفوقون بكثير من حيث العدد التلاميذ الجزائريين ، في حين أنّ المجتمع الأوربي لا يشكل سوى العشر ، إضافة إلى أنّه كان يوجد في الجزائر غداة الاستقلال 3800 مدرسة ابتدائية تحتوي 22500 قسم ، وتُشغّل 25 ألف معلم ومربي ، وفيهم أقل من 20 % جزائريين (أقل من 5 آلاف جزائري وأكثر من 20 ألف أوربي) ، 50 ثانوية وجامعة تُشغّل 1500 أستاذ منهم حوالي 200 جزائري ، ومن ناحية أخرى فيما يخص المخطط المالي ، المبلغ المخصص للتعليم في الجزائر هو حوالي 60 مليار فرنك فرنسي قديم في السنة منه 40 مليار من أجل التوظيف و20 مليار للتجهيز ، كما يوجد في فرنسا عدد هام من الطلبة الجزائريين (1200 تقريبا) الذين غادروا جامعة الجزائر بسبب السياسة الاستعمارية ...، كل هؤلاء الإطارات الذين كانوا يدرسون في الخارج بعد الاستقلال وُجِّهوا إلى تكوين الإطارات العلمية والتقنية الضرورية للجزائر المستقلة .([1])

لا يمكن للإنسان أن يندهش حين يعلم بأنّ نسبة الطلاب الأوربيين في جامعة الجزائر قبل الاستقلال كانت تمثل طالبا واحدا لكل 227 من السكان الأوربيين في الجزائر الذين كان يبلغ عددهم قبل الاستقلال حوالي مليون نسمة ، بينما كان هناك طالب جزائري واحد في الجامعة بالنسبة لكل 15342 من السكان الجزائريين الذين كانوا يبلغون 10 مليون نسمة أو أكثر ، وذلك باعتبار أنّ عدد طلبة الجامعة الأوربيين كان يبلغ 4589 ، في حين أنّ عدد الطلبة الجزائريين كان لا يتجاوز 557 طالبا في آخر عام دراسي قبل الاستقلال .([2])

حاولت فرنسا بعد رضوخها للأمر الواقع واعترافها باستقلال الجزائر أن تحافظ على بعض امتيازاتها ، وذلك من خلال اتفاقيات إيفيان ، حيث اتّخذت إستراتيجية ديغول طابعا مُنظّما ومدروسا تجلت بوضوح في اتفاقيات إيفيان ([3]) فقد ورد في فصل التعاون الثقافي " يُشجّع كل بلد في أرضه دراسة اللغة والحضارة والتاريخ الخاص بالبلد الآخر " . ([4])

---

1 – El Moudjahid :" L'organisation de l'enseignement National et la lutte contre l'analphabétisme " ,N 95 , 7 aout 1962 , p 6 .

2 – الشعب : " التعليم والتعريب "، العدد 885 ، السبت 23 أكتوبر 1965 ، ص 4 .

3- سفيان لوصيف : " السجال اللغوي وتطور التعريب في الجزائر بعد الاستقلال " ، مجلة العلوم الإنسانية الإلكترونية ، العدد 41 ، جامعة محمد خيضر ببسكرة ، 5 أفريل 2009 ، أو موقع مكتبتنا العربية 16 أفريل 2009 .

4- بن يوسف بن خدة : مصدر سابق ، ص 118 .

ورثت الجزائر المستقلة أكثر من 170 مدرسة عربية حرة تنتشر في سائر أنحاء القطر ،تضم ما يقرب من 40 ألف تلميذ وتلميذة ، كما ورثت 3 معاهد ثانوية ، اثنان في قسنطينة وواحد في وادي ميزاب ، وحصل العشرات من خِرّيجي هذه المعاهد على شهادات جامعية في المشرق العربي ، وكانت معظم هذه المدارس غير صحّية لا تتوفر فيها الشروط التي تتوفر في المدرسة الفرنسية الموروثة عن العهد الاستعماري ، وبدل أن يُحوِّل المسؤولون على وزارة التربية في 1962 بعض المدارس الابتدائية الفرنسية إلى مدارس عربية ، ويُحوِّلوا بعض المتوسطات والثانويات الفرنسية لاستيعاب الآلاف من تلميذات وتلاميذ المدارس الحرة الابتدائية ، اكتفوا بترك المدارس الحرة كما هي وسُدّت الأبواب أمام خريجي المدارس الحرة الذين لم يتمكنوا من إتمام دراستهم المتوسطة والثانوية ، بل إنّ بعض المدارس التي لم تكن ضمن المدارس الحرة حُوِّلت بعد الاستقلال إلى مدارس عربية لا تتوفر فيها شروط المدرسة المعمارية والصحية ، كالمدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة ، هكذا بدأ الشعب يُروَّض في عهد الاستقلال على أن يعتاد على رؤية لغته تُدرّس في مدارس رديئة وغير صحية ، بينما يرى الفرنسية تُدّرس في مدارس عصرية .([1])

إذن من كل ما تمّ إيراده نستطيع القول أنّ الواقع الثقافي في الجزائر كان في وضعية يُرثى لها وهذا ما عكسته ظروف المنظومة المدرسية في بلادنا غداة الاستقلال ، حيث عانت من العديد من المشاكل يُمكن أن نجملها في الآتي : - ارتفاع نسبة الأمية في أوساط الشعب الجزائري والتي بلغت نسبة 80 % - قلّة المرافق التربوية التي خلّفتها السلطات الاستعمارية وبالتالي صعوبة استيعاب كل التلاميذ الذين كانوا في سن التّمدرس – قلّة الإطارات من أساتذة ومربين وذلك راجع لسببين هما أولا نقص الإطارات الوطنية بسبب سياسة التجهيل التي مارستها فرنسا طوال 132 سنة ، والسبب الثاني هو فرار الإطارات الأوربية التي كانت تُسيّر المدرسة والجامعة الجزائرية وبالتالي حدوث شغور كبير – ازدواجية التعليم أو بالأحرى سيطرة اللغة الفرنسية بسبب التعاون الفرنسي الجزائري المفروض علينا من خلال اتفاقيات إيفيان من جهة ، ومن جهة أخرى تأثُّر بعض المسؤولين في ذلك الوقت باللغة والثقافة الفرنسية وبالتالي السعي لتغليبها في المنظومة التربوية ، فحدث نوع من التناقض بين التصريحات السياسية للمسؤولين الجزائريين التي تنادي بتشجيع اللغة العربية والعمل على إعادة المكانة التي سلبها الاستعمار لهذه اللغة التي تمثل رمزا للهوية والانتماء وبين الممارسات الفعلية لهؤلاء المسؤولين والتي تصب كلها في صالح اللغة والثقافة الفرنسية .

---

1 – عثمان سعدي : التعريب في الجزائر ، كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية ، دار الأمة ، الجزائر ، 1993 ، ص52.

كانت الدولة الجزائرية تنتظرها العديد من التحديات في القطاع التعليمي من أجل إصلاح ما أفسدته الإدارة الاستعمارية فقامت بتجنيد كل طاقاتها المادية والبشرية من أجل إنجاح المواسم الدراسية التي أعقبت فترة الاستقلال ،وأولت الحكومة الجزائرية القطاع التعليمي في الجزائر اهتماما كبيرا ، وهذا ما يشير إليه الرئيس أحمد بن بلة حين يقول : " لكي نُحيِّي على رؤوس الأشهاد مشاهير الأساتذة الفرنسيين الذين يُدّرسون عندنا ، ولكي نشير إلى الأهمية القصوى التي نُنيطها بالتعليم ، قرّرنا أن نُقيم احتفالا مشهودا للسنة الجامعية بالجامعة الجزائرية ، وقررتُ أن أحضره بنفسي ، وفيه ألقيت خطابا عرضت فيه بعض الأفكار التي أعتزّ بها ، وفي الواقع كانت فرصة سانحة لنُؤكد في نفس الوقت احترامنا للثقافة الفرنسية ، وأيضا ضرورة البحث في أعماقنا للعثور من جديد على البعد الأخلاقي والثقافي الذي ضاع منّا بضياع لغة أجدادنا الرائعة " ، بدون مبالغة اعتبر هذا الخطاب – غرة نوفمبر 1962 - ثورة أخرى لتحرير اللسان الجزائري من الاستعمار اللغوي ، وتاريخئذ كان الخطاب تدشينا رائعا مثيرا لضرورة التعريب المُلحة في الجزائر .([1])

للوقوف على حجم التحدّيات التي كانت تواجه الجزائر في هذا الميدان ، نحاول استعراض بعض المؤشرات التي تبين عظم المسؤولية وضآلة الإمكانيات المتوفرة .

ففي العام الدراسي 1962 – 1963 كان عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية الرسمية لجميع أنحاء الوطن الجزائري 777636 تلميذ ، هذا وقد فاق عدد الذكور عدد الإناث ب 211952 مقعدا ، بحيث كان عدد الذكور 494794 تلميذ ، في حين عدد الإناث 282842 تلميذة ، وهذا يعني أن نسبة الإناث إلى المجموع قد تمثلت في 36,3 % .

عدد المعلمين باللغة الفرنسية في العام الدراسي 1962 – 1963 قد تجاوز عدد المعلمين باللغة العربية بشكل ملحوظ ، حيث كان عدد معلمي اللغة العربية 3452 معلما فقط ، في مقابل 16456 معلما باللغة الفرنسية ، أي بفارق يُقدَّر ب 13004 لصالح التعليم باللغة الفرنسية ، هذا في حين كان مجموع عدد المعلمين في تلك الفترة يُقدر ب 19908 ، ومعنى هذا أنّ نسبة 82,66 % كانوا يُدّرسون باللغة الفرنسية ، في حين أنّ نسبة 17,33 % فقط كانوا يُدرِّسون بالعربية .(2)

---

1 – ميرل روبير : المصدر السابق ، ص 165 .

2- مصطفى زايد : التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر (1962- 1980) ، مدخل سوسيولوجي جديد لدراسة التعليم والتنمية في المجتمعات السائرة في طريق النمو ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1986 ، ص188.

كان عدد معلمي التعليم الابتدائي من الأجانب يقدر ب 7212 معلما في العام الدراسي 1962 – 1963 ، في حين أنّ عدد المعلمين من أبناء الوطن كان يُقدر ب 12696 معلم ، وهذا يعني أن نسبة الأجانب إلى المجموع العام كانت تُقدر ب 36,22 % ، في حين أنّ نسبة عدد المعلمين من الجزائريين إلى المجموع العام كانت تُقدر ب 63,77 % .([1])

بالنسبة للتعليم المتوسط والثانوي : كان عدد تلامذة التعليم المتوسط والثانوي العام في العام الدراسي 1962 – 1963 وهو عام الاستقلال 31923 تلميذا ، وكان عدد الذكور 23027 ، بينما عدد الإناث 8896 ، بفارق قُدِّر ب 14131 مقعدا للذكور ، وهذا يعني أنّ نسبة الذكور إلى المجموع العام كانت تُقدر ب 72,13 % ونسبة الإناث 27,86 % .

وفي العام الدراسي 1962 – 1963 كان مجموع طلاب المدارس المتوسطة والثانوية التقنية 18568 طالبا وكان حجم الذكور 13475 وحجم الإناث 5093 طالبة ،وهذا يعني أنّ نسبة الذكور كانت تُقدر ب 72,57 % في حين نسبة الإناث قُدرت ب 27,42 % . ([2])

كانت المدارس الجزائرية مُسيَّرة من طرف أكثر من 10 آلاف مدرِّس أجنبي ، عجّلوا بقصد مغادرتهم بلادنا بصفة جماعية لأنّهم لم يرضهم أن تستقل بلادنا ، ولا أن يرفرف علمنا ولا أن يسود الإسلام وتعلو كلمة العروبة فيه ،... وفي انتظار وضع منظومة تربوية جزائرية أُدخلت على التعليم الثانوي ابتداء من الموسم الدراسي لسنة 1962 تغييرات أولية شُرع في تطبيقها ، فهكذا استرجعت اللغة الوطنية مكانتها ، كما تمّ تغيير البرامج وإنجاز الكتب الضرورية وتدريس مادة تاريخ الجزائر وتاريخ إفريقيا .([3])

---

1 – مصطفى زايد : المرجع السابق ، ص 189 .

2 – نفس المرجع : ص ، ص (192 ، 194).

3- الطاهر زرهوني : المرجع السابق ، ص ، ص (70 ، 71).

كان عدد الأساتذة في مراحل التعليم المتوسط والثانوي يُقدر في العام الدراسي 1963 – 1964 ب 3704 أستاذا ، من بينهم 1749 من الجزائريين و1935 من الأجانب ، أي نسبة عدد الجزائريين كانت تُقدر ب 47,75 % في العام الأول للاستقلال ، في حين أنّ نسبة الأجانب إلى المجموع العام كانت تُقدر ب 52,24 % وهذا يعني تفوق كم الأساتذة من الأجانب على الجزائريين .

بالنسبة للتعليم الجامعي كان مجموع طلاب الجامعات في العام الدراسي 1962 – 1963 وهو عام الاستقلال 2725 طالبا وطالبة ، ليصبح العدد 7478 في السنة الدراسية 1966 – 1967 ، أي بزيادة بالمقارنة بالفترة السابقة تقدر ب 4753 طالب ، أي بزيادة تُقدر نسبتها ب 174,42 % .([1])

إذن من خلال كل هذه الإحصائيات يتبيّن لنا حجم التحدّيات التي كانت تنتظر الدولة الجزائرية الفتية غداة الاستقلال ، حيث أنّ عدد التلاميذ في كل الأطوار الدراسية كان يفوق بكثير إمكانيات الدولة الجزائرية سواء المادية أو البشرية ، ممّا أدى إلى التشمير على سواعد الجد لاحتواء هذا الكم الكبير من التلاميذ ، وذلك بدخولها في ثورة ثقافية بمعنى الكلمة التي كان من ملامحها سن قوانين إجبارية ومجانية وديمقراطية التعليم لكل الأطفال الجزائريين ، وكذا السعي لتوفير الهياكل التعليمية وتوفير المعلمين والأساتذة سواء من الإطارات المحلية أو بالاستعانة بالدول الشقيقة والصديقة التي كانت تؤيد الثورة الجزائرية ، وقد استطاعت الدولة الجزائرية بالتدرج التقليل من نسبة الأمية شيئا فشيئا .

إذن إذا أردنا أن نلخص ما قلناه عن الوضع الثقافي في الجزائر غداة الاستقلال نقول أنّ نسبة الأمية وصلت إلى أقصى حدّها حيث قُدِّرت بحوالي 80 % من مجموع السكان الذين قُدر عددهم سنة الاستقلال ب 10,24 مليون نسمة ، وهذا يعني أنّ فرنسا نجحت إلى حد كبير في تجهيل الشعب الجزائري .

---

1 – مصطفى زايد : المرجع السابق ، ص 199 .

وقد كان التعليم قبيل الاستقلال يتمّ باللغة الفرنسية وهو متاح لفئة قليلة من الجزائريين والذين أرادت فرنسا تكوينهم لاستخدامهم كموظفين في الإدارة الاستعمارية ، أمّا باقي الشعب الجزائري فقد حُرموا من أدنى وسائل التعليم وهذا ما يفسر ارتفاع نسبة الأمية ، وقد كانت فرنسا تهدف من خلال سياسة التجهيل هذه التي مارستها اتجاه الشعب الجزائري إلى خلق جيل لا يفقه هويته ولا قضيته وبالتالي يسهل تدجينه وإخضاعه ، لكنّها فشلت في ذلك ، حيث أنّ الشعب الجزائري بقي متمسكا بهويته وبقضيته الوطنية ، واستطاع أن يُثبت للاستعمار الفرنسي أنّ الانتصار على الظلم والاستعباد حتمية تاريخية أمام إرادة الشعوب التوّاقة للحرية والسيادة ، واستطاعت كذلك الدولة الجزائرية الفتية في فترة وجيزة التخلص من الإرث الاستعماري الثقيل ، وخاصة في الميدان الثقافي ، كما عملت الجزائر على تثبيت بعد الأصالة والهوية الوطنية وذلك بربط أواصر الأخوة مع كل دول العالم العربي والإسلامي للعودة إلى معالم الثقافة العربية والإسلامية التي حُرمت منها لعشرات السنين من طرف الاستعمار الفرنسي .

إذن ورثت الجزائر المستقلة بعد كفاح طويل في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية من مظاهر الصراع الحاد على السلطة ، وضعف الاقتصاد المسيطر عليه ، والخاضع للتبعية ، وتردي الوضع المعيشي حيث انتشر الثالوث الأسود ، الفقر الذي أنهك السواد الأعظم من الشعب ، تعكسه انتشار البطالة وازدياد الحاجيات الغذائية ، والجهل الذي انتشر واستفحل بين عامة الشعب ، والمرض الناتج عن العاهات الجسدية والعقلية التي ارتكبها الاستعمار في حقهم .([1])

1- Djamel labidi : science et pouvoir en Algérie , o .p.u , Alger , 1992 , p 2 .

إذن خلاصة القول أنه عندما أعلن المجلس الوطني التأسيسي عن ميلاد الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية في اليوم الخامس والعشرين من شهر سبتمبر سنة 1962 كان الوضع في الجزائر يتميز بعدة خصائص أهمها : 1- نسبة مرتفعة من الأمية ، أمّا الخمس الباقي فمن أنصاف المتعلمين الذين صنعهم الاستعمار على عجل ليكونوا امتداده الطبيعي الذي يعتمد عليه في مواصلة عملية المسخ والتشويه والتزييف .

2- إسلام مشوّه غلبت عليه الخرافة والدروشة ، ولم يبق منه سوى جانب العبادات الذي تعرض بدوره إلى كثير من التحريف .

3- تقاليد وعادات ونمط سلوكيات يومية لا علاقة لها بشخصيتنا الوطنية .

4- لغة وطنية مهملة ، ممقوتة ومطاردة على الرغم من حيويتها وقدرتها على التكيّف وتمكنها من استيعاب العلوم بأنواعها والتقنيات المختلفة .

5- إدارة معظم إطاراتها متأثرين بالاستعمار الجديد الذي بدأ يستعد للمرحلة التالية من السيطرة ، وتعلّموا أنّ فنون التسيير التي قد تأتي من غير الوطن الأم لا يمكن أن تكون في المستوى الحضاري الذي استولى على عقليتهم ، وأمّا الإدارة التي كوّنتها جبهة التحرير الوطني خلال فترة الكفاح واستطاعت أن تقدّم الدليل على نجاعتها في الميدان ،فإنّها استبعدت وعُوضت بعناصر فرانكفونية .

6- اقتصاد تابع للاقتصاد في فرنسا ،مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة التي كانت قبل الاحتلال تنتج أجود أنواع الأرز وكميات هائلة من الحبوب التي كانت تُصدّر لبلدان كثيرة مثل أوربا وإفريقيا والوطن العربي ، وتحولت إلى مزارع كروم تعطي الخمور الممتازة التي يُخصص جزء كبير منها لتحسين الخمور الفرنسية أو لتزويد السوق العالمية ، وكانت الصناعة التقليدية فقط فروعا مكملة لبعض المصانع المتناثرة في مختلف أنحاء فرنسا .

لم تكن في الجزائر غداة استرجاع السيادة الوطنية هياكل اقتصادية ثابتة ، ولم تكن فيها نواة صالحة للتنمية الدائمة التي تأخذ في عين الاعتبار تطور الزمان وتطور السكان ، وزيادة على ذلك فإنّ الإمكانيات القليلة – وهي بالمقارنة مع حاجيات الكولون – قد تعرضت لتخريب مهول بسبب الغلاة عندما اقترب أجل الاستعمار.

7- تصاعد ديمغرافي مخيف ، زاد من حدّته عشية استرجاع السيادة الوطنية رجوع حوالي 300 ألف من الجزائريين الذين لجأوا إلى تونس والمغرب الأقصى أثناء فترة الكفاح المسلح ، وكذلك تسريح حوالي مليونين من المواطنين الذين كانوا يقيمون بالمعسكرات والمحتشدات .

8- انتشار البطالة الناتجة عن قلة التنظيم والإهمال الاقتصادي الذي فُرض على الجزائريين بسبب الخوف وعمليات التخريب .

9- تزايد أعداد المغتربين في أوربا وفرنسا على وجه الخصوص، ولقد ازداد هذا المشكل خطورة عندما بدأت الأسر الجزائرية لأسباب مختلفة ترحل للإقامة هناك .

هذه بعض ملامح أوضاع الجزائر غداة الاستقلال ، والتي كانت بمثابة تحديات أمام أول حكومة جزائرية مستقلة برئاسة أحمد بن بلة .

الفصل الثالث : التعاون المصري الجزائري عشية الاستقلال

المبحث الأول : التعاون في الميدان السياسي.

المبحث الثاني : التعاون في الميدان الاقتصادي .

المبحث الثالث : التعاون في الميادين الأخرى .

المبحث الأول : التعاون في الميدان السياسي .

لقد شهدت الجزائر ظروفا سياسية صعبة عشية الاستقلال نلخصها فيما يلي :

- التوقيع على اتفاقيات إيفيان في 18 مارس 1962 والتي نصت على وقف إطلاق النار يوم 19 مارس 1962 وإنشاء هيئة مؤقتة لتسيير الفترة الانتقالية ،وتحضير استفتاء تقرير المصير .

انعقاد مؤتمر طرابلس خلال الفترة الممتدة من 27 ماي إلى 4 جوان 1962 حيث كان من المفترض أنّ الاجتماع يهدف إلى وضع الخطوط العريضة لبرنامج طرابلس المزمع تطبيقه في الجزائر المستقلة .

البرنامج السياسي الذي عُرف فيما بعد ببرنامج طرابلس تمّت المصادقة عليه بالإجماع دون أية مناقشة ، بدليل أنه لم يُغيّر منه حرف واحد ، وأرجع كافي هذا التسرع في الاتفاق على وثيقة ذات أهمية قصوى في مستقبل البلاد السياسي ،الاقتصادي ، الاجتماعي والثقافي إلى عدم توفر أي عنصر إيجابي موضوعي حول الاختيارات السياسية والتوجهات الاقتصادية والثقافية في المجلس الوطني للثورة ، ذلك أنّ المؤتمر كان يضم جميع أنواع التيارات والمدارس السياسية ، هذا إلى جانب انشغال كل أعضاء المجلس بقضية انتخاب المكتب السياسي . ([1])

وقد حدث نزاع وصراع داخل هذا المؤتمر ، وقد أدّى انسحاب المجموعة المُؤثّرة في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وعلى رأسها الرئيس بن خدة من مؤتمر طرابلس دون إيجاد حلول فعلية ، إلى أزمة مفتوحة بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .([2])

---

1 – علي كافي : مذكرات علي كافي ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1999، ص ،ص 288 – 289 .

2 – محمد عباس : الإندماجيون الجدد ، منشورات دحلب ، الجزائر ، 1993 ، ص 146 .

حيث انقسموا إلى جماعتين جماعة بن بلة وهيئة الأركان تضم الولايات الأولى بقيادة الطاهر الزبيري ، الولاية الخامسة بقيادة العقيد عثمان ، والولاية السادسة بقيادة شعباني ، وجماعة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تضم الولاية الثالثة بقيادة محند أولحاج والولاية الثانية بقيادة صالح بوبنيدر والرائد عز الدين قائد منطقة الجزائر ، أمّا اتحادية فرنسا والولاية الرابعة بقيادة العقيد الحسن فالتزمت الحياد .([1])

من بين الظروف التي عاشتها الجزائر كذلك ، تزايد النشاط الإرهابي لمنظمة الجيش السري لإجهاض اتفاقيات إيفيان ، ومن بين الجرائم التي قامت بها هو إحراق المكتبة الوطنية في 7 جوان 1962 والتي أدّت إلى إتلاف أكثر من 600 ألف كتاب و مخطوط .

إجراء استفتاء حول تقرير المصير في 1 جويلية 1962 والذي جاءت نتيجته نعم للاستقلال ب 96,5 % .

تكوين جمعية تأسيسية برئاسة فرحات عباس أو انتخاب المجلس الوطني التأسيسي في 20 سبتمبر 1962 ، الذي أسندت إليه ثلاث مهام وهي تعيين حكومة تُشرِّع باسم الشعب ، وسن دستور للبلاد ، وعلى إثر ذلك تمّ تعيين أول حكومة جزائرية برئاسة أحمد بن بلة الذي نال ثقة المجلس بالأغلبية .([2])، وفي 29 سبتمبر قدّم أحمد بن بلة أعضاء حكومته التي تتكوّن من 19 وزيرًا .

القيود التي فرضتها اتفاقيات إيفيان كبقاء القوات العسكرية الفرنسية ببعض القواعد العسكرية مثل قاعدة رقان والمرسى الكبير .

أما التحدّي الآخر الذي واجهته الدولة الجزائرية الفتية ، هو قلّة الخبراء الأكفاء الذين لهم القدرة على تسيير دفة الحكم ، لذلك وبدافع سدّ النقص عملت الدولة الجزائرية على الاستعانة بدعاة الثقافة الفرانكفونية .([3])

---

1 – محمد صايكي : مذكرات النقيب محمد صايكي ، شهادة ثائر من قلب الجزائر ،تحرير محفوظ اليزيدي ، ط2 ، دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر ، (د .ت) ، ص ، ص 306 – 307 .

2 – سعيد بوشعير : النظام السياسي الجزائري ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،(د .ت) ، ص 152 .

3 – لطفي الخولي : عن الثورة ،في الثورة ، التجمع الديمقراطي البومديني ، الجزائر ، 1975، ص 55 .

وإذا أردنا استعراض مظاهر التعاون الجزائري المصري غداة الاستقلال فإنّنا ينبغي أن نتكلم عن بعض المحطات التي تبين الدعم الكامل الذي كانت توليه القيادة المصرية وعلى رأسها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لصديقه ابن بلة منذ صعوده إلى السلطة إلى غاية الإطاحة به من طرف وزير دفاعه هواري بومدين، لكن نظرا لقصر المدة الزمنية التي سنتناولها بالدراسة وكذا شح المصادر التي تتكلم على هذه المرحلة فإنّنا سنُعرّج على بعض المحطات التي تعتبر بمثابة مظاهر للتعاون بين البلدين .

فالمحطة الأولى هي الدعم الذي قّدمه جمال عبد الناصر لصديقه أحمد بن بلة من أجل الوصول إلى السلطة ، وفي هذا الإطار يشير على كافي في مذكراته بأنّ ابن بلة سبق أن قابل عبد الناصر دون حضور رئيس البعثة علي كافي ، وهذا مخالف لتقاليد بروتوكول وزارة الخارجية ، وبالتالي فإنّ كافي لم يكن على علم بما دار بينهما ، ولكن تسرب إليه أنّ عبد الناصر رغم إلحاحه على ابن بلة بالدخول إلى الجزائر، وعده بمساعدة عسكرية ولكن كانت المفاجأة ، كان للثورة الجزائرية في إطار تكوين إطارات المستقبل طلبة عسكريون يدرسون في القاهرة منهم جماعة في الإسكندرية في كلية الشرطة وكلية البحرية وأطلعوا علي كافي على أنّ هناك باخرة تُشحن بالأسلحة ومتوجهة إلى وهران ، فما كان من علي إلّا أن عاد إلى القاهرة وطلب مقابلة عبد الناصر ، ... وعندما شرح له علي أن مثل هذا التصرف يمثل انحيازا ويساهم – ولو بغير قصد – في إضرام الحرب الأهلية التي يُخطّط لها جماعة تلمسان والزاحفون على العاصمة ، ويساهم في إفساد العلاقات بين الثورتين الجزائرية والمصرية ، عندها تراجع عبد الناصر وقال لعلي : إذا حددوا لنا المكان الذي تختارونه ، فقال علي : أرى الوقت غير مناسب نظرا للوضعية التي تعيشها الجزائر ، وإن كان لا بد من ذلك فابعثوا الباخرة إلى أي ميناء بوهران حتى لا يُفسَّر انحيازا منكم أو تكون هديّةً مسمومة إلى الشعب الجزائري ، فكان التوفيق ([1]).

وقد أُرسلت باخرة إلى وهران – في عز الأزمة – وأخرى إلى عنابة بعد استتباب الأمر (بن بلة رئيسا للجمهورية وبومدين وزيرا للدفاع) ، ولكن انفجرت في ميناء عنابة . ([2])

هذه السفينة التي انفجرت في ميناء عنابة هي " نجمة الإسكندرية" التي تمّ تفجيرها بتاريخ 23 جويلية 1964 من أجل نسف العلاقات بين البلدين ،خاصة وأنّها تزامنت مع تاريخ اندلاع الثورة المصرية ، وهو ما سنشير إليه لاحقا في فصل آخر من الموضوع .

---

1 – علي كافي : المصدر السابق ، ص 294 .
2 – نفس المصدر : ص 296 .

من بين مظاهر العلاقات السياسية بين البلدين التي تُجسّد أواصر التعاون نذكر الزيارات التي كانت تتم على مستوى القيادة ، ولعلّ أهم هذه الزيارات هي تلك التي قام بها الرئيس جمال عبد الناصر إلى الجزائر في 4 ماي 1963 .

فيذكر محي الدين عميمور " أنّ شهر ماي 1963 شهد حدثا بارزا في العلاقات الجزائرية المصرية ، إذ قام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة تاريخية إلى الجزائر استُقبل فيها استقبالا هائلا لم يعرفه خارج بلاده إلّا مرتين ، الأولى في دمشق عام 1958 والثانية في الخرطوم عام 1967 ، واضطرت السلطات الجزائرية إلى تغيير السيارة الرسمية ثلاث مرات لعجزها عن الحركة أمام حماس الجماهير ،بحيث تمّ اللجوء في نهاية الأمر إلى استعمال سيارة مطافئ ". ([1])

وبالرغم من الفوضى والصراخ والزغاريد استطاع أحمد بن بلة أن يُقدِّم جمال عبد الناصر لعدد من أفراد المكتب السياسي من الحكومة ومن الجهاز الدبلوماسي ، في الوقت الذي قامت فيه زمرة من الجيش بالتشريفات ... ، يجب تنقُّل الوفد إلى ميدان بريسون لإعادة تسميته ب " ميدان بور سعيد " تمجيدا لهذه المدينة المصرية البطولية .([2])

وقد قيل إنّ الرئيس المصري رفض أن يُطلق اسمه على الميدان (بريسون)،وفضل أن يُسمّى " بور سعيد "

"ولا أعرف مدى صحة ذلك ، ولكنه إن صح فهو دليل على ذكاء مزدوج من قبل الرئيس المصري ".([3])

---

1 – محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مصدر سابق ، ص 56 .

2- El Moudjahid :" De LEgypte nouvelle à LA REPUBLIOUE ARABE UNIE ou le chemin de la révolution" , n 126 , Samedi 4 mai 1963 .

3- محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري وذكريات أخرى ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1995 ، ص 155.

وقد تكلّمت جريدة المجاهد عن تفاصيل هذه الزيارة ، حيث ذكرت أنه بعد الظهيرة تجمّع الكل في الملعب البلدي أين أدلى الرئيسان بكلمة للجمهور المتواجد أشادا فيها بالتعاون بين البلدين وبالوحدة العربية والاشتراكية ، أمّا اليوم الثاني من الزيارة فقد انقطع بتراجيديا جديدة بوفاة الأخ محمد خميستي ، والمشاركة الهامة للرئيس المصري رفقة الرئيس أحمد بن بلة في الوفد الذي حمل جثة الأخ محمد خميستي من مستشفى مصطفى باشا إلى مثواه الأخير في مقبرة سيدي امحمد .

كما ذكرت كذلك زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للمقر السابق لماسحي الأحذية في " دار الأمل " بسيدي فرج ، وهناك استُقبل الضيوف من طرف الأخ بشير بومعزة وزير العمل والشؤون الاجتماعية ، ثمّ توجه الوفد إلى مركز فاطمة نسومر أين يتم تربية فتيات صغيرات (بنات الشهداء) . ([1])

من بين الزيارات الهامة لقادة ومسؤولي البلدين تلك الزيارة التي قام بها المشير عبد الحكيم عامر إلى الجزائر في شهر نوفمبر 1964 ، حيث حلّ هذا الأخير على رأس وفد عربي هام يضم كبار القادة العسكريين والمسؤولين السياسيين ، وقد كان في استقبال سيادة المشير بالمطار العقيد هواري بومدين نائب رئيس الحكومة ووزير الدفاع الوطني ، وكبار ضباط الجيش الشعبي الوطني وعدد من الوزراء ، وقد أتيحت الفرصة للوفد العربي أثناء إقامته بالجزائر زيارة عدّة منشآت ومؤسسات بالجزائر وضواحيها ، كما قام الوفد العربي صحبة الأخ بن بلة رئيس الجمهورية والأخ بومدين وزير الدفاع الوطني بزيارة الكلية العسكرية لمختلف الأسلحة بشرشال ، ومدرسة أبناء الثورة بالقليعة ، وقد استقبلت جماهير الشعب بمدينة شرشال الموكب الرئاسي بهتافات حارة عند حلوله بها منادية بحياة العرب والوحدة العربية ... ، وعند وصول الموكب إلى الكلية وجد في استقباله مدير الكلية العقيد عباس وعدد من الضباط الذين رحّبوا بالضيف العربي الكبير ، وبعد إلقاء كلمة من قائد الكلية تقدم المشير عامر وألقى كلمة ، ثم تلاه الرئيس أحمد بن بلة ، وبعد انتهاء الزيارة توجه الموكب إلى مدينة القليعة حيث توجد مدرسة أبناء الثورة التي تُشرف عليها وزارة الدفاع الوطني والتي تأوي أكثر من 500 طالب ،....وقد أجرى المشير عامر أثناء إقامته بالجزائر محادثات مثمرة مع المسؤولين الجزائريين . ([2])

1- Journal El Moudjahid : n 126 , Samedi 4 mai 1963 , Op-cit .

2 – الجيش :"زيارة المشير عبد الحكيم عامر إلى الجزائر " ،السنة الأولى ،العدد التاسع ،نوفمبر1964 ،ص،ص28،29.

" استقبل كذلك الرئيس جمال عبد الناصر هواري بومدين نائب رئيس الحكومة ووزير الدفاع الوطني وقد حضر هذه المقابلة المشير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وقد تبادل الرئيس جمال عبد الناصر و بومدين وجهات النظر حول القضايا التي تهم البلدين بصفة خاصة وقضايا الوطن العربي بصفة عامة ، ومن جهة أخرى أفادت وكالة الأنباء الجزائرية بأنّ الرئيس جمال عبد الناصر سيقوم بزيارة للجزائر بعد انتهاء المؤتمر الأفروآسيوي المقرر عقده بالعاصمة في مارس القادم ، وستكون هذه الزيارة الثانية التي سيقوم بها الرئيس جمال عبد الناصر لبلادنا ، حيث أن الزيارة الأولى كانت في ماي 1963 ، هذا وقد أقام أمس المشير عبد الحكيم عامر حفلة تكريم للأخ هواري بومدين وأعضاء الوفد المرافق له في مؤتمر رؤساء الحكومات العربية وأعضاء سفارتنا بالقاهرة ".([1])

من بين مظاهر العلاقات السياسية كذلك نشير إلى الاحتفالات التي كانت تُقام في البلدين الجزائر ومصر في ذكرى الثورتين الجزائرية والمصرية بعد الاستقلال ، فقد كتبت جريدة المجاهد بتاريخ 7 أوت 1962 تقول : " العالم بأكمله يحتفل باستقلال الجزائر" ، وذكرت أنّ الحكومة المؤقتة تلقت التهاني الرسمية من 33 دولة ، وهي دول لم تبخل بدعمها المادي للثورة الجزائرية ، ... ويجب الإشارة إلى أهم الدول الصديقة التي أسرعت للقيام بمهام دبلوماسية في الجزائر لتؤكد مواصلة العلاقات المقامة مع حكومتنا منذ الإعلان عن الجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 : الجمهورية العربية المتحدة ، تونس ، المغرب ، ... ([2])

كانت الجزائر كذلك في إطار الصداقة والتعاون مع الدولة الشقيقة مصر تقوم منذ الاستقلال سنويا بالاحتفال بذكرى الثورة المصرية ومن مظاهر ذلك ما كانت تكتبه الصحف والمجلات الجزائرية من مقالات ومواضيع في ذكرى اندلاع الثورة المصرية ، فقد كتبت مجلة الجيش في جويلية 1964 مقالا بعنوان " ثورة جويلية 1952 " ممّا جاء فيه : " ...وثورة 23 يوليو تزحف فتعطي للدول المجاورة المثل في الثورة على الظلم ، والمثل في السير بالبلاد نحو إعادة التخطيط الاقتصادي لها وخلق صناعة وطنية قوية تحمي حرية الشعب من أعدائه ، وتثور الجزائر فتساندها الثورة المصرية ، وتثور العراق فتتجاوب أصداؤها في أرض الكنانة ، فتقف إلى جانبها في أول لحظة ..." ([3])

وأوردت نفس المجلة في العام المقبل مقالا تكلمت فيه عن مشاركة وفد جزائري برئاسة الرائد محمد الصالح يحياوي في المهرجانات التي أقيمت بمناسبة الذكرى 13 للثورة المصرية .

1- الشعب : " الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الأخ بومدين " ، السنة الثالثة ، العدد 645، الخميس 14 جانفي 1965 ، ص، ص 2-3 .

2- El Moudjahid : " Le monde entier salue l'indépendance de L'Algérie " , n 95, 7 aout 1962 , p 2 .

3- الجيش : " ذكرى ثورة 23 يوليو", العدد 17 , السنة 2، جويلية 1965 .

ممّا يدلّ كذلك على العلاقات السياسية بين البلدين الرسائل والبرقيات المرسلة بين زعماء البلدين ، ومن مظاهر ذلك البرقية التي بعثها الرئيس أحمد بن بلة إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر يهنئه فيها بمناسبة ترشيحه لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة هذا نصها : " سيادة الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة إعادة ترشيحكم من طرف الشعب العربي ومجلس الأمة لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة يسعدنا أن نعبّر لسيادتكم باسم الشعب الجزائري والحزب والحكومة ، وباسمي الخاص عن ترحيبنا العميق بالثقة التي أولاها لكم شعب الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة ومسؤوليها ، وإنّنا نعتقد بأنّ هذا التشريف لسيادتكم يعتبر تتويجا للنضال الذي عاصر مدة رئاستكم ، والإنجازات الهائلة التي اقترن بها اسمكم ، وفي الوقت الذي نرفع فيه تهانينا الحارة لسيادتكم نبارك لشعب الجمهورية العربية المتحدة هذا الاختيار الموفق" . ([1])

وقد تلقى الأخ أحمد بن بلة برقية تعزية من الرئيس جمال عبد الناصر إثر حوادث الزلازل التي أصابت المسيلة والفيضانات التي حلّت بالأوراس هذا نصها :" لقد تلقيت بمزيد الأسى نبأ الزلازل التي وقعت في مدينة المسيلة والفيضانات التي حلّت بالأوراس ، وإنّي أقدم لكم تعازيَّ لضحايا هذه الكوارث ، وأعلمكم بأنّ شعب الجمهورية العربية المتحدة الذي يشارك شعب الجزائر مشاعره ، لعلى أتمّ الاستعداد لتقديم كل عون يواسي المصابين ويخفف عنهم وقع هذه الأحداث ".([2])

كذلك ما أوردته جريدة الشعب في مقال بعنوان الأخ أحمد بن بلة يُعزّي المشير عامر بتاريخ 12 فيفري 1965 ، جاء فيه : " بعث الأخ أحمد بن بلة رئيس الجمهورية والأمين العام للحزب برقية تعزية للمشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة وفاة عمه هذا نصها : لقد بلغتنا أخبار وفاة المغفور له عمكم الشيخ بكر عامر بمزيد من الأسى والحسرة ، وإنّنا إذ نشاطركم في هذا المصاب الأليم الذي ألمّ بكم نرجو الله أن يغمر روح الفقيد بالرحمة والرضوان وأن يمنحكم وجميع أفراد أسرتكم الكريمة الصبر والسلوان " . ([3])

1- الشعب : " الأخ أحمد بن بلة يهنئ الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة ترشيحه لرئاسة الجمهورية" ، السنة الثالثة ، العدد 657 ، 28 جانفي 1965 ، ص 1 .

2 – نفس المصدر : السنة الثالثة ، العدد 640 ، 8 جانفي 1965 ، ص 2 .

3 - نفس المصدر : السنة الثالثة ، العدد 669 ، 12 فيفري 1965 ، ص 2 .

الحدث الهام الذي تجسدت فيه العلاقات الأخوية بين الجزائر ومصر هو تلك المواجهة العسكرية الحدودية التي وقعت بين الدولة الجزائرية الفتية والمملكة المغربية ، والتي سُميّت بحرب الرمال في 19 أكتوبر- 2 نوفمبر 1963 ، حيث وقفت مصر إلى جانب الجزائر ودعّمتها سياسيا وعسكريا .

يقول العقيد الطاهر زبيري :" وتجاوز صدى صرخة ابن بلة حدود الوطن ليصل إلى عدة عواصم عالمية كالقاهرة وهافانا اللّتين أعلنتا وقوفهما إلى جانب الجزائر دبلوماسيا وعسكريا ،...فأمّا مصر جمال عبد الناصر فأرسلت إلينا كتيبة من الرجال ، وزودتنا بسرب مشكل من ست طائرات مقاتلة ، ولكنّنا لم نستعملها خلال الحرب ، وهدّدت مصر وكوبا المغرب بالتدخل العسكري في الحرب إذا واصل اعتداءاته على الجزائر ..." ([1])

إنّ السياسة الخارجية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية التي أصبحت عضوا في منظمة الأمم المتحدة في 8 أكتوبر 1962 تُستلهم رسميا من موقفها الجغرافي وبخاصة من خيارات قادتها الإيديولوجية " الجزائر جزء كامل من المغرب العربي والعالم العربي وإفريقيا " ، وهي تُمارس سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز (المادة 2 من الدستور).([2])

فعلى الرغم من أنّ الدولة الجزائرية الفتية قررت إقامة علاقات حسنة ومميزة مع كل الذين وقفوا إلى جانب الثورة الجزائرية ، إلا أنّ حكومة بن بلة وجدت نفسها في مهب العاصفة مع المغرب بسبب خلافات حدودية بين الجزائر والمغرب ، وفي سنة 1963 نشبت مناوشات على الحدود بين البلدين ، وقد شكلت هذه المناوشات لبنة الصراع السياسي الحاد بين الرباط والجزائر الذي ما فتئ يتفاقم ويتفاعل على امتداد ثلاثة عقود . ([3])

إذن عرف النصف الأول من الستينيات أحداثا يجب ألّا يتجاهلها من يرصد خلفيات العلاقات بين الجزائر ومصر وتطوراتها ومشاكلها ، وكان الحدث الأول هو ما جرى في أكتوبر 1963 ، عندما قامت قوات من الجيش الملكي المغربي بغزو سافر للأراضي الجزائرية بحجة أنّ الرئيس أحمد بن بلة لم يستجب لمطالب الملك الحسن الثاني التي حملها له الوزير المغربي عبد اللطيف الفيلالي حول أراضي تدّعي المغرب تبعيتها لها ، وقيل يومها أنّ رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة وعد ببحث أمرها بعد استرجاع الاستقلال ، وقال الفيلالي للملك إثر عودته بأنّه لا حل مع الجزائر إلا الحرب ، وهكذا اتخذ القرار بغزو الجزائر بموافقة زعماء الأحزاب في المغرب ،وصُدم الرئيس الجزائري من هذا الغدر وصرخ صرخته الشهيرة " حقرونا ".

1- الطاهر زبيري : نصف قرن من الكفاح ، مذكرات قائد أركان جزائري ،الشروق أون لاين ،5 أكتوبر 2011، ص 4.

2- Benjamin stora : Op-cit , p 28 .

3- يحي أبوزكريا : مرجع سابق ، ص 15 .

وكان جمال عبد الناصر هو أول من لبّى النداء ، فوضع ثقله السياسي والعسكري بجانب الجزائر وهي تفاصيل ما زالت في الوجدان ، وتقدّم معطياتها في التعامل مع الغزو وصورة عن أسلوب الكفاح الجزائري في مواجهة الطرف الآخر بأسلوب عض الإصبع الشهير ، كان هذا قمة التضامن بين الجزائر ومصر ولكنّه كان أيضا بداية التوتر بينه وبين المملكة المغربية . ([1])

وقد قال بن بلة لحسين آيت أحمد* : "... وأعلمك أنّ الجنود المغاربة قد احتلوا " حاسي البيضاء " وهم في طريقهم إلى منطقة " كلوم بشار " لمحاصرتنا ومنع كل الإمدادات التي تصل برّيا إلى جيشنا ، ورغم كل ما نحن فيه من تآمر وضائقة لم يُقدّم لنا أحد يد المساعدة إلا جمال عبد الناصر وفيدال كاسترو ،... وكان الأولى بك أن تفكر معي كيف تجيب على تساؤلات الأصدقاء الذين يستفسرون عن موقفك منّي ومن واقع العدوان " .([2])

من مظاهر العلاقات أيضا المشاركة في المؤتمرات العربية ، حيث احتضنت القاهرة أول قمة تعرفها المنطقة العربية منذ قمة أنشاص التي قادت إلى إنشاء الجامعة العربية ،وعرفت هذه القمة التي ترأس الوفد الجزائري فيها الرئيس الأسبق أحمد بن بلة نشاطا جزائريا معتبرا ، كما تميّزت بوضوح التقارب الشديد بين الرئيس الجزائري والرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر ، والتي وصلت طبقا لما قاله لي الأخ بن عودة :" أنّ بن بلة أجاب عن سؤال حول الحجم الذي ستكون عليه مساهمة الجزائر ، فقال بأنّ تحديد حجم المساهمة هو بيد الرئيس عبد الناصر ، وهو تعبير ربما رأى فيه خصوم بن بلة وضعا لقرار جزائري في يد الرئيس المصري ، ورأى فيه أنصار بن بلة عملية ذكية تخفف عن الجزائر بعض الأعباء ، انطلاقا من أنّ الرئيس المصري كان سيراعي الوضعية التي تجتازها الجزائر ". ([3])

الحدث المهم الآخر الذي طرأ على الساحة الجزائرية وتمحّصت فيه العلاقات بين البلدين هو الانقلاب الذي قاده وزير الدفاع هواري بومدين ضد الرئيس أحمد بن بلة والذي أطلق عليه اسم التصحيح الثوري .

1- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مصدر سابق ، ص،ص 69 ، 70 .

*- حسين آيت أحمد كان في تمرّد على الحكومة الجزائرية (حكومة أحمد بن بلة)، وقد أسّس حزب جبهة القوى الاشتراكية سنة 1963 .

2 – لخضر بورقعة : مصدر سابق ، ص 146 .

3 – محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى ، مصدر سابق ، ص،ص 160 ،161 .

في تلك الفترة شعر أحمد بن بلة أنّ الجيش أفلت من يده لصالح بومدين ، "وشكا ذلك لجمال عبد الناصر خلال زيارته للجزائر معتبرا أنّ بومدين يُسيّر الجيش وكأنّه ملك له ، فردّ عليه عبد الناصر مازحا ، أنت لديك بومدين وأنا لديّ عبد الحكيم عامر ، وكان هذا الأخير قائدا للجيش المصري برتبة مشير (ماريشال)." ([1])

في 19 جوان 1965 ، وفي أثناء التحضير لمؤتمر القمة الأفروأسيوية بالعاصمة الجزائرية وقع انقلاب عسكري على بن بلة بقيادة هواري بومدين وزير الدفاع الذي كان يعتبر أنّ بن بلة خرج على خط الثورة الجزائرية واستأثر بالسلطة ، وغداة الانقلاب نُقل بن بلة إلى فيلا معزولة في الجزائر . ([2])

وتلقّت مصر الصدمة بدهشة هائلة وبحجم كبير من الغضب والاستياء كان موجّها أولا إلى السفارة المصرية في الجزائر التي لم تكن تتابع الأمور في الجزائر كما يجب ، (ولقد اختفى السفير علي خشبة من الحياة الدبلوماسية المصرية نهائيا بعد ذلك)، وقع النظام المصري في ورطة كبيرة فتحالُفه مع الرئيس بن بلة لم يكن سرا من الأسرار ، حيث أنّ الشارع المصري لم يكن يعرف من الشخصيات الجزائرية إلا اسمي أحمد بن بلة وجميلة بوحيرد .([3])

كان على القيادة المصرية أن تفعل شيئا ما يستجيب لتساؤلات الشعب في مصر ، وربما على الساحة العربية كلّها ، خصوصا والجميع يعرفون تحالفها القوي مع الرئيس الجزائري ، الذي بدأ يُجسّد بالنسبة للساحة العربية الطرف المقابل للرئيس المصري على ساحة المغرب العربي ،... واختفاء قيادة بن بلة من المنطقة هو هزيمة لعبد الناصر أو هكذا صُوِّر له ، وارتكبت القيادة المصرية خطأ إرسال المشير عبد الحكيم عامر إلى الجزائر مرفوقا بالأستاذ محمد حسنين هيكل ، بهدف قيل أنّه الاطمئنان على الرئيس السابق ، وكان المقصود أن يعود المشير عامر إلى مصر ومعه بن بلة ليكون كما قيل ضيفا على القاهرة ، ورفضت الجزائر مجرد السماح للوفد المصري بلقاء الرئيس السابق ، وقيل للمشير بحزم لا يحتمل المراجعة بأنّ القضية قضية جزائرية داخلية ولا مجال لأي تدخل فيها من أي طرف كان ، ويعود الوفد إلى القاهرة بخُفَّي حنين .([4])

1- الطاهر زبيري : مرجع سابق ، ص 11 .

2- د. هدى عبد الناصر : مقال سابق .

3- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مصدر سابق ، ص 77 .

4 – نفس المصدر ، ص 87 .

المبحث الثاني : التعاون في الميدان الاقتصادي .

بعد تخلص الجزائر من الاستعمار الفرنسي الذي بقي جاثما عليها مدة طويلة ناهزت 132 سنة ، وجدت نفسها في ظروف اقتصادية يُرثى لها ، وقد كنّا تكلمنا عن هذه الظروف في الفصل الثاني.

وخلال المرحلة الانتقالية التي عاشتها الجزائر ما بين وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962 واستفتاء تقرير المصير ، انعقد مؤتمر وطني بطرابلس في الفترة ما بين 27 ماي – 4 جوان 1962 وُضعت فيه الاختيارات الأساسية لبناء الدولة الجزائرية في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

وقد كان على الحكومة الجزائرية أن تختار إحدى الطريقتين إما الرأسمالية أو الاشتراكية ، لذلك اختارت الاشتراكية ، وكان برنامج طرابلس قد كشف عن أسباب هذا الاختيار بشعار " ممارسة الثورة الديمقراطية الشعبية " ، وفي الجلسة الافتتاحية التي عقدها المجلس الوطني التأسيسي في 28 سبتمبر 1962 قدّمت الحكومة بيانها الأول وركزت فيه على أنّ تنمية الجزائر لكي تكون سريعة وموجهة نحو سد احتياجات الشعب الاقتصادية الضرورية يجب أن تتم في إطار النظرة الاشتراكية ، وفي إطار الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج والتخطيط العلمي .([1])

إذن في بداية عهده أولى أحمد بن بلة القطاع الاقتصادي والتربوي أهمية خاصة ، فعلى المستوى الاقتصادي نهجت الجزائر نهج الاقتصاد الموجه والمُسيّر ، وكانت الحكومة الجزائرية تستعين في هذا المجال بالمساعدات القادمة من الصين ويوغسلافيا السابقة ومصر وباقي الدول التي ناصرت الثورة الجزائرية .([2])

ويظهر لنا تجسيد حكومة بن بلة للاختيار الاشتراكي من خلال التأميم الشامل بعد انسحاب الاستعمار ، وفي هذا الصدد يذكر أحمد بن بلة أنّه كان بالجزائر بعد انسحاب القوات الفرنسية مليونان ونصف هكتار من المزارع ، وعندما أصبحت المزارع ملكا للدولة فكرت في إدارتها بأسلوب يكون فيه فكر جديد مفيد للنّاس والدولة ، ولذلك كان أنسب نظام لضمان النجاح هو التسيير الذاتي للمزارع .([3])

1- لطفي الخولي : مصدر سابق ، ص ، ص 45 ، 47 .

2- يحي أبو زكريا : مرجع سابق ، ص، ص 13 ، 14 .

3- ميرل روبير : مصدر سابق ، ص 176 .

أمّا فتحي الديب فذكر أنّه كان له لقاء مع محمد خيضر الذي كان على خلاف مع أحمد بن بلة حول قضية التسيير الذاتي ، وقد وصف الوضع في الجزائر داخليا وخارجيا بالتدهور ، وأعاب على بن بلة تركيزه في سياسته على مشروع الإصلاح الزراعي وتجاهله للقطاع الصناعي ، وهو ما أدّى في نظره إلى ارتفاع درجة البطالة بشكل مخيف نتج عنه انتشار السلب والنهب والفوضى ، كما أعاب عليه اندفاعه في سياسة التأميم في ظل عدم توفر الجهاز الصالح للقيام بالتزامات التأميم .([1])

قام أحمد بن بلة بإدخال التسيير الذاتي في بلد لم يكن مؤهلا له سياسيا وماديا ، كان الوضع الاجتماعي مثيرا للقلق ، ففي عام 1963 بلغ عدد العاطلين عن العمل في الجزائر 2 ملين عاطل ، و 2,6 مليون نسمة بلا موارد مالية ، واندلعت عدة اضطرابات نتيجة البؤس حركات ثورية فلاحية ، لاسيما في قسنطينة ، وانتشار اللّصوصية ، ومظاهرات متفرقة لكن مستمرة للعاطلين عن العمل .

كما سعت الجزائر إلى تطوير علاقاتها الاقتصادية مع دول أخرى ، فقد قدّم الاتحاد السوفييتي قروضا وعونا تقنيا ، لكن قليلا ما يتاجر مع الجزائر ، وأصبح جوهر تجارة هذه الأخيرة مع بلدان السوق الأوربية المشتركة نحو 70 % من التجارة الكلية ، نصفها مع فرنسا ، وبقيت حصة البلدان الاشتراكية بسيطة (أقل من 5 %) ، وحصة الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربية أخرى حصة جيدة (نحو 10 %) .([2])

بالنسبة للعلاقات الاقتصادية بين الجزائر ومصر في عهد الرئيس أحمد بن بلة كانت مازالت في بدايتها نظرا للاستقلال المبكر للدولة الجزائرية ، وكذلك قصر المدة التي حكم فيها الرئيس أحمد بن بلة ، لذلك سوف نتناول بعض هذه المظاهر التي تسنّى لنا جمعها من بعض المصادر المعاصرة لتلك الفترة وكذا بعض المراجع الأخرى .

1- فتحي الديب : مصدر سابق ، ص 215 .

2- Benjamin stora : Op-cit , p ,p 30, 31 .

قرّرت الجزائر خلال مؤتمر طرابلس تبنّي الإيديولوجية الاشتراكية ، لأنّ النخبة السياسية في ذلك الوقت كانت ترى أن النظام الاشتراكي هو الكفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية والقضاء على الطبقية التي فرضها النظام الاستعماري ، وكان شعارهم في ذلك أنّ الثورة شارك فيها الجميع ، إذن الثروة يجب أن تُقسَّم على الجميع .

وقد تلقت الدّعم والمساعدة من العديد من الدول وخاصة بعض دول العالم الثالث التي كانت تتقاسم مع الجزائر معاناة الاستعمار التقليدي والتي رأت من واجبها تقديم الدعم التقني والمادي للجزائر ، وفي مقدمة هذه الدول مصر .

مصر كذلك كانت من بلدان العالم الثالث التي تبنّت الإيديولوجية الاشتراكية ، وخاصة بعد نجاح الثورة المصرية في 23 جويلية 1952 وتولي جمال عبد الناصر مقاليد الحكم في 1954 ، حيث قامت بتأميم الأراضي ووزّعتها على الفلاحين ، وقضت على الإقطاع ، كما قامت ببناء صناعة وطنية ثقيلة مثل مصنع حلوان للحديد والصلب ، وتأميم ممتلكاتها كقناة السويس التي أصبحت تحت إدارة الحكومة المصرية ، وقد رأت أنّه من واجبها الدفاع عن الاشتراكية لأنهّا هي الأسلوب الأنجع والكفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية .

ويظهر ذلك في العديد من خطب الرئيس جمال عبد الناصر ، فخلال الزيارة التي قام بها جمال عبد الناصر إلى الجزائر في 4 ماي 1963 ، وفي الملعب البلدي تناول الكلمة بعد كلمة الرئيس أحمد بن بلة كان ممّا جاء فيها " أنّ الاشتراكية يجب أن تجمع كل الشعوب العربية ،..." ([1]).

هذه الاشتراكية التي كانت تخشاها فئة معينة من الشعب الجزائري ، وخاصة أولئك الذين حلّوا محل الكولون واستأثروا ببعض ممتلكاتهم ، وفي هذا الإطار يشير محي الدين عميمور فيقول : " لعلّي لكي أصف تلك المرحلة بدقّة ، لا أجد خيرا ممّا كنت كتبته في الستينيات ، وخصوصا وضعية التعليم ومسيرة التعريب ، وهي من أهم عناصر التنافر بين المصريين والجزائريين ، بالإضافة إلى خشية الكثيرين من فيروس الاشتراكية الذي كان يحمله الرئيس المصري ويخيف طلقاء كانوا يريدون أن يحلّوا محل الكولون الفارين ". ([2])

1- El Moudjahid : n 126 , Samedi 4 mai 1963, Op-cit .

2- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص 57 .

من بين مظاهر العلاقات الاقتصادية نجد تلك المحادثات والمشاورات التي كانت تتم بين قادة وحكومات البلدين ، وقد أوردت في ذلك جريدة الشعب مقالا بتاريخ 16 مارس 1965 عنوانه " تواصل المباحثات التجارية بين الجزائر والعربية المتحدة " ، جاء فيه : استؤنفت المباحثات التجارية بين الجزائر والجمهورية العربية المتحدة لبحث قواعد البروتوكول التجاري لعام 1965 ، وذلك على ضوء ما تمّ الاتفاق بشأنه بين الأخ نور الدين دلسي وزير التجارة والدكتور لبيب شقير ، بشأن تجديد قوائم السلع التي تتبادلها البلدان .

هذا وقد أدلى الأخ نور الدين دلسي بتصريح إلى مندوب وكالة الأنباء الوطنية حول هذه المباحثات فقال : " إنّ المباحثات الجارية تتم وفقا للاتفاق التجاري الذي تمّ توقيعه في شهر أفريل 1963 بين البلدين في الجزائر ، والذي قضى بتشكيل لجنة مشتركة تتكلّف بتحديد التبادل التجاري لكل عام " ، وأضاف الأخ دلسي أنّه قد سبق أن اجتمعت اللجنة في اجتماعاتها بالقاهرة في أوائل العام الماضي ، واتفقت على أن يكون حجم التبادل التجاري بين البلدين بما قيمته سبعة ملايين جنيه "، وقد قال الأخ دلسي " أنّ الحكومة الجزائرية قررت هذه السنة زيادة قيمة التبادل التجاري لتصبح عشرة ملايين جنيه ، ويتم حاليا بحث السلع التي يمكن تبادلها بين البلدين ، وأنّ السلع التي ستصدرها الجزائر إلى الجمهورية العربية المتحدة ستكون من المنتجات الصناعية ، من بينها الإسمنت والورق وأنابيب البترول والمياه والدقيق ، وستُصدّر الجمهورية العربية المتحدة إلى الجزائر حاجتها من الأقطان المختلفة والفول السوداني والبصل ، والكتب والمجلات والمطبوعات والاسطوانات والأفلام ، كما اتفق الجانبان على تبادل السيارات ، وستصدر الجزائر للجمهورية العربية المتحدة سيارات من نوع رونو "، ومضى الأخ دلسي يقول : " إنّ المحادثات تناولت أيضا الاتفاق على الجزء الثاني من القرض الذي قدمته الجمهورية العربية المتحدة في سنة 1963 ، والخاص بتمويل المصاريف المحلية والاستهلاك ، وسيُسَدّد هذا القرض في فترة عشر سنوات ، وقال بأنّنا نقوم حاليا بوضع انسجام بين اقتصاديات بلدينا في نطاق الاتفاق الطويل الأجل الذي تمّ بيننا "، هذا وتستمر المباحثات بين الجانبين اليوم ، وينتظر يوم الأربعاء أو الخميس توقيع البروتوكول التجاري بين البلدين ، حيث يغادر وفدنا القاهرة يوم الجمعة القادم في طريقه إلى موسكو لإبرام اتفاق تجاري بين بلدنا والاتحاد السوفييتي حول زيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين ، وتنويع المنتجات والسلع المتبادلة ، ثم يعود الوفد بعد ذلك إلى أرض الوطن.([1])

1- الشعب : " تواصل المباحثات التجارية بين الجزائر والعربية المتحدة " ، السنة الثالثة ، العدد 696 ، 16 مارس 1965 ، ص2 .

في نفس الإطار كتبت جريدة الشعب مقالا بتاريخ 19 جانفي 1965 تحت عنوان الأخ بوديسة يُجري اتصالات هامة بمسؤولي النقابات في الجمهورية العربية المتحدة جاء فيه :

أقام أمس الأخ الصافي بوديسة وزير العمل الذي يُقيم حاليا بالقاهرة مأدبة إفطار بمقر سفارتنا في القاهرة ، حضرها السيد أحمد فهيم ، والسيد أنور سلامة وزير العمل بالجمهورية العربية المتحدة وأعضاء المكتب التنفيذي لاتحاد النقابات العربية ، وعدد من كبار النقابيين العرب .

هذا وكان الأخ بوديسة قد أجرى أول أمس عدة اتصالات بالمسؤولين العرب في القاهرة ، حيث اجتمع بالسيد أحمد فهيم الأمين العام لاتحاد النقابات العربية ، وقال الأخ بوديسة أنه تّم خلال هذا الاجتماع بحث طرق التعاون المهني بين البلدين وتنسيق العمل من أجل تكوين المناضلين العماليين ، وتنسيق برامج العمل النقابي اتجاه المكتب الدولي ، والاتحاد النقابي الإفريقي واتحاد النقابات العربية .

وأعلن الوزير أنّ الجزائر دُعيت للاشتراك في مختلف الدورات الخاصة بالتكوين النقابي للإطارات ، ويشترك فيها طلبة البلاد العربية والإفريقية والآسيوية ، كما أنّ الجزائر ستبعث بطلبة جزائريين من ذوي المستويات الثقافية العالية لاستكمال تكوينهم .

وقد زار الأخ بوديسة المعهد الوطني للتخطيط في الجمهورية العربية المتحدة وقرّر إرسال جزائريين للدراسة به ، وفي المساء أقام السيد أحمد فهيم مأدبة عشاء على شرفه . ([1])

في مجال التعاون الاقتصادي بين الجزائر ومصر عشية الاستقلال ، نجد أنّ هذه الأخيرة أقامت العديد من المنشآت الاقتصادية والمباني التي مازال بعضها قائما لحد الساعة .

وقد أصبح في ذلك الوقت مصنع النسيج بذراع بن خدة على أهبة الاستعداد لتزويد السوق الجزائرية بالمنتجات بصفة تدريجية ، وكان المهندس المعماري المصري مصطفى موسى يستعد مع عدد من معاونيه ، لافتتاح عدة ورشات هائلة سيكون من بينها مبنى قصر الأمم ، ومنشآت نادي الصنوبر ،وكذلك مبنى فندق الأوراسي ، ثُم مبنى مسجد الأمير عبد القادر بقسنطينة ، ومؤسسة صناعة الأثاث التقليدي .([2])

1- الشعب : " الأخ بوديسة يُجري اتصالات هامة بمسؤولي النقابات في الجمهورية العربية المتحدة " ، السنة الثالثة ، العدد 649 ، ص 2 .

2- محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى، مرجع سابق ، ص 155 .

كانت الجزائر المستقلة سنة 1965 تحضّر نفسها لاستقبال المؤتمر الأفروأسيوي المزمع عقده بالجزائر العاصمة شهر جويلية من هذه السنة ، وكانت بحاجة إلى بعض المنشآت لتنظيم المؤتمر .

وقد ظهرت بعض إرهاصات التعاون بين البلدين حيث قامت مصر بتقديم بعض الدعم التقني والمادي للجزائر تحضيرا لهذا المؤتمر .

- وقد كان هذا المؤتمر فرصة التقت فيها الإرادة الجزائرية بالإرادة المصرية ، حيث وضع جمال عبد الناصر ثقله وراء أحمد بن بلة لإنجاز مركب معماري كبير في منطقة نادي الصنوبر غرب الجزائر العاصمة يُخصّص لاستضافة المؤتمر ، ويُكلَّف فيما بعد بإنجازات أخرى .

وعهد عبد الناصر بالأمر إلى واحد من أشهر المهندسين في مصر وهو السيّد مصطفى موسى ، وتمّ تكوين شركة كان على رأسها الأخ الأمين بشيشي ، واصطحب المهندس المصري عشرات من المهندسين المعماريين وخبراء الإسمنت المسلح ، والتقنيين المصريين في شبكات الكهرباء والفنيين في الصناعات الخشبية وأعمال الطلاء وغيرها للقيام بالعمل المطلوب ، وبوجه خاص للاستجابة لإرادة القيادة الجزائرية في تكوين مجموعات جزائرية تستطيع فيما بعد تحقيق إنجازات مماثلة .

ولضمان البعد عن الإجراءات البيروقراطية التي كانت أهم ما ورثته الجزائر عن الإدارة الفرنسية أُلحقت الشركة المعمارية في مرحلة تالية بأول شركة وطنية أُقيمت في الجزائر بعد استرجاع السيادة الوطنية والاستقلال ، وهي شركة " سوناطراك" .

وللتذكير فقد كانت تلك الشركة المعمارية ومن قامت بتكوينهم من الجزائريين هي التي أنشأت مسجد وجامعة الأمير عبد القادر في قسنطينة ، والتي تولّت توسعة رئاسة الجمهورية ، وإقامة مبنى قصر الثقافة في الثمانينات ، وقبل ذلك كانت قد قامت ببناء فندق الأوراسي ، قبل أن ينتهي بها الأمر إلى الاندثار تحقيقا لإرادة من كان يُزعجهم وجود كفاءات مصرية في ميدان المعمار الجزائري .([1])

---

1 – محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص 78 .

هذه بعض مظاهر التعاون الاقتصادي بين البلدين في هذه الفترة القصيرة والحرجة من تاريخ الجزائر ، هذه الأخيرة التي كانت في أمسّ الحاجة إلى كل مساعدة تُقدَّم لها وفي كل المجالات ، لذا قامت بربط علاقات مع العديد من الدول وخاصة تلك التي ساهمت في تدعيم الثورة الجزائرية ، أو الدول الشقيقة التي تربطنا بها علاقات حضارية من لغة مشتركة ودين ، وفي مقدمة هذه البلدان نجد مصر ، لكن يبدو أنّ التعاون بين الطرفين الجزائري والمصري لم يَرُق للكثيرين ، سواء في الداخل أو الخارج وأصبحت تُحاك المؤامرات لإفساد ذات البين بين الدولتين الشقيقتين ، ولتوضيح المسألة أكثر سأورد هنا مثالين عن تلك المؤامرات .

- المؤامرة الأولى هي حادثة تفجير الباخرة المصرية " نجمة الإسكندرية " في ميناء عنابة في يوم 23 جويلية 1964 ، وهو اليوم الذي كانت الثورة الناصرية تحتفل فيه بعيدها الثاني عشر.

يقول محي الدين عميمور : " ... والمعلومات والاستنتاجات التي وصلتُ إليها تؤكّد صحة نظرية المؤامرة التي تستهدف تخريب العلاقات الجزائرية المصرية ، ويعطيها بعدا جديدا ، وهي تُذكّرني بأنّ نفس الفترة عرفت انفجار مخزن الذخيرة في سيدي فرج ، وانفجارا آخر في منطقة نادي الصنوبر ، وربما أضيف إلى ذلك أيضا انفجار مركز الطرود بميناء الجزائر " . ([1])

أمّا المؤامرة الثانية فهي أنّ بعض من ورثتهم الجزائر المستقلة من المعماريين الجزائريين الذين تمّ تكوينهم خلال مرحلة الاستعمار وفي مدارسه وقفوا بكل قواهم ضد مصطفى موسى ومجموعته ، وركّزوا هجماتهم على أمرين ، الأول التشكيك في إمكانية إقامة القبة الضخمة في مبنى قصر الأمم بدون أعمدة تحملها ، وتوقعوا لها الانهيار بمجرد نزع الأخشاب من تحتها ، والأمر الثاني التشكيك في إمكانية إقامة فندق الأوراسي على أرض منطقة قالوا أنّها تُعرف بانزلاق تربتها ، ولن تتحمّل بالتالي الفندق الضخم المُزمع إنشاؤه في واجهة البحر ، وعلى أعلى مرتفعات العاصمة .

... لكن مؤامراتهم هذه فشلت وقد وجه الرئيس أحمد بن بلة التحيّة لمصطفى موسى بعد نزع الأخشاب من تحت القبة ، هذا جانب من قصة تشييد أول وأهم بناء عرفته جزائر الاستقلال الذي كانت قبته التي لا تحملها أعمدة ومازالت متعة الأنظار ثابتة الأركان ، ومكّن القصر الجزائر من احتضان كل المؤتمرات التي عُقدت فيها منذ الستينيات ، وعلى رأسها أهم مؤتمرات عدم الانحياز (المؤتمر الرابع) . ([2])

1- محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى ، مرجع سابق ، ص،ص 170 ، 171 .

2- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ،مرجع سابق ، ص،ص 78 ، 79 .

المبحث الثالث : التعاون في الميادين الأخرى .

إنّ العلاقة الطيبة التي كانت تربط بين الرئيسين المصري جمال عبد الناصر والجزائري أحمد بن بلة ، والتي ترجع إلى بداية الخمسينيات ، عندما هرب هذا الأخير من سجن البليدة وانتقل إلى مصر وأصبح ضمن أعضاء الوفد الخارجي .

هذه العلاقة الطيبة بين الرئيسين انعكست إيجابيا على الروابط التي تجمع بين البلدين ، حيث بقيت جمهورية مصر الناصرية تُدعِّم نظام أحمد بن بلة في كل المجالات ، لأنّها رأت أنّ أمنها القومي لا يتحقق إلاّ بالحفاظ على سيادة الدول الشقيقة التي تساير سياستها ، وفي مقدمة هذه الدول الجزائر ، لذلك قامت بربط علاقات مع الجمهورية الجزائرية الناشئة في جميع الميادين ، وسنحاول في هذا المبحث أن نعرِّج على بعض مظاهر هذه العلاقات .

إلى جانب الدعم السياسي والاقتصادي الذي كانت تقدمه مصر للجزائر ، كان هناك الدعم العسكري والوقوف إلى جانب الجزائر عسكريا سواء بتدعيمها بالأسلحة أو مساندتها في بعض الظروف الصعبة التي عاشتها غداة الاستقلال ،وخاصة خلال حرب الرمال مع المملكة المغربية.

بالإضافة إلى هذا نجد أنّ الجزائر كذلك وقفت موقفا إيجابيا مع مصر في كل الحروب والأزمات التي عاشتها سواء خلال الثورة أو بعدها ، ومن مظاهر ذلك وقوفها إلى جانب مصر خلال أزمة العدوان الثلاثي ، ثمّ وقوفها إلى جانبها في ما اصطلح على تسميته بحرب النكسة أو حرب الستة أيام ، ثمّ مساهمة الجزائر الفعالة والمتميزة خلال حرب أكتوبر أو حرب رمضان سنة 1973 ، كل هذا كان تعبيرا من الجزائر بحسّها القومي العربي من جهة ومن جهة أخرى كان ردا للجميل الذي أسدته مصر الناصرية للثورة الجزائرية .

إذن سنحاول في البداية أن نتكلم عن بعض مظاهر التعاون العسكري بين البلدين ، ونركز خاصة على الدعم العسكري الذي قدّمته مصر للجزائر غداة فترة الرئيس أحمد بن بلة ، ومن أمثلة ذلك نجد أنّ مصر قامت بتزويد الجزائر ببعض الأسلحة لتدعيم القوات الجزائرية وكانت أولى المساعدات التي قدمتها مصر للجزائر تلك الباخرة التي أرسل بها الرئيس جمال عبد الناصر إلى الجزائر في عز الأزمة التي كانت قائمة بين الحكومة المؤقتة ، وبين جماعة تلمسان أو جيش الحدود ، حيث أنّ الرئيس جمال عبد الناصر بعد تدخل السيد علي كافي رئيس البعثة الدبلوماسية الجزائرية إلى القاهرة قرّر إرسالها إلى وهران .

فقد قال له علي كافي : أرى الوقت غير مناسب نظرا للوضعية التي تعيشها الجزائر ، وإن كان لابد من ذلك فابعثوا الباخرة إلى ميناء وهران حتى لا يُفسَّر انحياز منكم أو تكون هدية مسمومة إلى الشعب الجزائري ، فكان التوفيق .

أرسلت باخرة إلى وهران – في عز الأزمة – وأخرى إلى عنابة بعد استتباب الأمر(بن بلة رئيسا للجمهورية ، وبومدين وزير الدفاع)، ولكن انفجرت في ميناء عنابة . ([1])

كانت مصر كذلك في إطار المساعدات العسكرية ، قد أهدت الجزائر باخرتين حربيتين صغيرتين من طراز كاسحات الألغام كان يقودها بحارة جزائريون تلقوا تكوينهم في الإسكندرية ، وكان أساس الأسطول الجزائري بجانب خمسة زوارق طوربيد ، كانوا أيضا هدية من مصر .

وحدث أنّ إحدى الباخرتين وتحمل اسم (سيدي فرج) غرقت أثناء مناورة بحرية في خليج الجزائر خلال الزيارة ، وعلى الفور كتبت بعض الصحف الفرنسية مقالا تناول الأمر بسخرية سوداء عكسها عنوان يقول : " الجزائر تفقد نصف أسطولها البحري " ، وتحوّل العنوان إلى نكتة ترددت على الألسنة في الشارع الجزائري ، ونُسب ظلما للرئيس المصري ، الذي لم يكن يُخفي منهجه الاشتراكي مقولة تدّعي بأنّه قال للرئيس الجزائري خلال حديث له عن الجزائر قائلا : " الجزائر تكفينا وتكفيكم " .([2])

من بين مظاهر التعاون العسكري كذلك نجد ذلك الدعم العسكري الذي قدّمته مصر للجزائر خلال المناوشات الحدودية التي وقعت بين الجزائر والمملكة المغربية ، فيما اصطلح عليه آنذاك بحرب الرمال التي حدثت في أكتوبر 1963 .

1- علي كافي : المصدر السابق ، ص ،ص 294 ، 296 .

2- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مرجع سابق، ص 65 .

سبق وأن أشرنا في مبحث سابق أنّ الرئيس المصري جمال عبد الناصر كان أول من لبّى النداء بعد صرخة بن بلة الشهيرة (حقرونا) ، فوضع ثقله السياسي والعسكري بجانب الجزائر .

فقد أرسلت مصر جمال عبد الناصر إلينا كتيبة من الرجال ، وزودتنا بسرب مُشكل من ست طائرات مقاتلة ، ولكنّنا لم نستعملها خلال الحرب ، وهدّدت مصر وكوبا المغرب بالتدخل العسكري في الحرب إذا واصل المغرب اعتداءاته على الجزائر ، ... وتدخل العديد من الزعماء في العالم للضغط على الملك المغربي الحسن الثاني لوقف عدوانه على الجزائر ، على غرار (موديبو كايتا) رئيس مالي ، وتيتو رئيس يوغسلافيا ، ونيكروما رئيس غانا ، فضلا عن جمال عبد الناصر وفيدال كاسترو ، اللّذين كان دعمهما للجزائر غير مشروط ، كما أبدى الاتحاد السوفييتي تضامنا معنا . ([1])

في فترة لاحقة كذلك قامت مصر بتقديم بعض الإمدادات العسكرية ، مجسدة في تلك السفينة التي أرسلتها إلى الجزائر منتصف عام 1964 .

حيث أبحرت من الإسكندرية في الأسبوع الثاني من شهر جويلية 1964 باخرة مدنية مصرية تحمل كمية من الأسلحة الجزائرية التي كانت مخزونة في أماكن خاصة في كل من مرسى مطروح والسلّوم ، غرب الإسكندرية وذلك بناءً على قرار اتُخذ في الجزائر ، يهدف إلى تزويد عدد من حركات التحرر الإفريقية بالأسلحة المناسبة . ([2])

لكنّ هذه الباخرة انفجرت ، حيث اهتزّت مدينة عنابة الحالمة على ضفاف البحر على صوت انفجار الباخرة العربية " نجمة الإسكندرية " ، عندما كانت تُفرغ شحنتها في الميناء ، وتمزقت إلى أجزاء متناثرة ، وتهدّمت المساكن وأُضيف إلى الشهداء شهداء آخرون . ([3])

1- الطاهر زبيري : مصدر سابق ، " عبد الناصر وكاسترو يُدعمان الجزائر عسكريا في حرب الرمال " .

2- محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى " ، مرجع سابق ، ص 165 .

3- الجيش : " ماذا وراء حادث عنابة "، السنة الأولى ، ع 6 ، أوت 1964 ، ص 8 .

حدث هذا الانفجار يوم 23 جويلية 1964 في ميناء عنابة .

يقول عميمور : "غير أنّ ما لم يكن ممكنا أن أتجاهله هو التاريخ الذي حدث فيه الانفجار ، ... وهو اليوم الذي كانت الثورة الناصرية تحتفل فيه بعيدها الثاني عشر ،... فالهدف هو تفجير الموقف بين الجزائر ومصر ".([1])

كانت مصر في إطار التعاون العسكري مع الجزائر تقوم باستقبال العديد من الطلبة والضباط الجزائريين لتكوينهم عسكريا في كلياتها الحربية ، ومن مظاهر ذلك نجد أنّ الكلية الحربية المصرية استقبلت حوالي أربعمائة ضابط جزائري من أبناء جيش التحرير لحضور دورات تدريبية ، تُعدُّهم لفنون القيادة التي تتطلبها الجيوش العصرية ، والتفاصيل عند الأخ عمار بن عودة الذي كان آنذاك ملحقا عسكريا بالقاهرة . ([2])

كما أشارت جريدة الشعب في مقال بتاريخ 14 جانفي 1965 تحت عنوان " الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الأخ بومدين " إلى ذلك ، حيث جاء في المقال ما يلي : "قام الأخ بومدين والوفد المرافق له بزيارة إلى الكلية الحربية بالقاهرة حيث كان في استقبالهم بمقر الكلية الفريق أول محمد فوزي رئيس أركان حرب القوات المسلحة العربية ، واللواء محمود زكي عبد اللطيف مدير الكلية الحربية ، وبعد استراحة قصيرة توجه الأخ بومدين والوفد المرافق له إلى الجناح الذي يوجد به الطلبة الجزائريون الذين يواصلون دراستهم بالكلية الحربية ". ([3])

1- محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى ،مرجع سابق سابق ، ص.170

2 – نفس المرجع ، ص 159 .

3- الشعب : " الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الأخ بومدين " ، السنة الثالثة ، العدد 645، 14 جانفي 1965 ، ص،ص 2،3 .

كانت المنظمات الطلابية الجزائرية كذلك ترتبط بعلاقات حسنة مع جمهورية مصر العربية وتساند الحكومة المصرية في مواقفها السياسية وسياستها الخارجية ، حيث كتبت جريدة الشعب بتاريخ 5 مارس 1965 مقالا بعنوان الرئيس عبد الناصر يشكر الطلبة الجزائريين جاء فيه " بعث الرئيس جمال عبد الناصر ببرقية للّجنة التنفيذية للاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين ردًّا على برقية المساندة والتهنئة التي بعث بها الاتحاد إلى الرئيس عبد الناصر على إثر توتر العلاقات العربية الألمانية الغربية ، شكرهم فيها على موقفهم البطولي ، ويقول الرئيس عبد الناصر في برقيته : إنّني أشكركم على عواطفكم وعلى وطنيتكم وأرجو من الله أن يحقق النصر للعرب ، وأعبّر للجميع عن أفضل التمنيات وأتمنّى لكم النجاح " . ([1])

تجسدت علاقات التعاون بين البلدين في ميادين أخرى منها ميدان العدل ، فقد كتبت نفس الجريدة بتاريخ 18 فيفري 1965 مقالا بعنوان " وزير العدل يواصل إقامته بالجمهورية العربية المتحدة "، جاء فيه : " يواصل الأخ محمد البجاوي وزير العدل إقامته بالقاهرة ، وقد أجرى أول أمس محادثات مع زميله العربي تناولت تطبيق اتفاقية التعاون القضائي بين البلدين ، هذا وقد استفيد أنّ الاتفاق الذي تمّ بين الأخ البجاوي و وزير العدل العربي على أن توجه الجمهورية العربية المتحدة إلى الجزائر سبعة مستشارين وعشرة قضاة ، ووكيلين للنيابة ومحاميين ، وقد زار الأخ البجاوي والوفد المرافق له صحبة وزير العدل العربي دار القضاء العالي ، واجتمعوا برئيس محكمة النقض والنائب العام " . ([2])

من بين مظاهر التعاون بين البلدين كذلك نذكر التعاون في الميدان الثقافي ، وسنشير إليه بنوع من الاختصار لأنّه سيأتي الكلام عليه في الفصل الرابع ، حيث نجد أنّ مصر كانت من بين الدول العربية الأولى التي بادرت إلى مساعدة الدولة الجزائرية حديثة الاستقلال ، من أجل استعادة مقومات الشعب الجزائري وهويته العربية المسلمة ، والقضاء على براثن الاستعمار ومخلفاته في الميدان الثقافي ، خاصة وأنّ اتفاقيات إيفيان فرضت شروطا على الوفد الجزائري في جميع الميادين الاقتصادية والعسكرية والثقافية .

1- الشعب : " الرئيس عبد الناصر يشكر الطلبة الجزائريين "، السنة الثالثة ،العدد 687، 5 مارس 1965 ،ص1.

2- نفس المصدر : " وزير العدل يواصل إقامته بالجمهورية العربية المتحدة "،السنة الثالثة، العدد 674،18 فيفري 1965، ص1.

حيث أكّدت على التعاون بين البلدين الجزائر وفرنسا في الميدان الثقافي خاصة ، مما جعل الجزائر تكافح من أجل التخلص تدريجيا من الثقافة الفرنسية ، ولأجل ذلك قامت بالاستعانة ببعض الدول العربية في مقدمتها كما أسلفنا مصر ، هذه الأخيرة التي قامت بإرسال الآلاف من المعلمين والأساتذة ، وكذا أساتذة الجامعات وبعض علماء الدين كالشيخ محمد الغزالي والشيخ متولي الشعراوي ، وذلك من أجل بعث الثقافة العربية والإسلامية من جديد ، وسنتكلم عن ذلك بالتفصيل خلال الفصل الرابع .

قامت مصر بتقديم بعض الدعم الفنّي والتقني للجزائر وخاصة في الميدان المعماري ، كما أشرنا إلى ذلك سابقا ، حيث ساهمت مصر بمهندسيها وتقنييها في إنشاء العديد من المنشآت الضخمة التي أصبحت الجزائر فيما بعد تفتخر بها ، وتستعملها في استقبال المؤتمرات الدولية ووفود الدول الأجنبية ، ومن بين هذه المنشآت نجد فندق الأوراسي ، وجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ، وقصر الثقافة وقصر الأمم بنادي الصنوبر ...،

كما كانت مدارس الجزائر تحتضن مئات المعلمين والمعلمات العرب الذين تحمّلوا مسؤولية تكوين الجيل الجزائري الجديد ، بجانب الجزائريين من خرّيجي المعاهد المُعرّبة ، والذين كانوا يعملون خلال الفترة الاستعمارية في مدارس جزائرية أهلية يُموّلها المواطن في حدود إمكانياته الهزيلة .([1])

نجد أنّ مصر رمت بثقلها السياسي والدبلوماسي وراء الجزائر ودعمتها من أجل الانضمام إلى المنظمات الدولية والإقليمية كهيئة الأمم المتحدة ، وجامعة الدول العربية وحركة عدم الانحياز ، كما كانت تُحضِّر مع الجزائر لاستضافة هذه الأخيرة المؤتمر الأفروأسيوي المزمع عقده بالجزائر العاصمة منتصف 1965 .

والواقع أنّ المؤتمر الأسيوي كان فرصة التقت فيها الإرادة الجزائرية بالإرادة المصرية ، حيث وضع جمال عبد الناصر ثقله وراء أحمد بن بلة لإنجاز مركب معماري كبير في منطقة نادي الصنوبر غرب الجزائر العاصمة يُخصَّص لاستضافة المؤتمر .(2)

1- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ،مرجع سابق ، ص 81 .

2- نفس المرجع ، ص 78 .

وكان مقررا أن يقوم جمال عبد الناصر بزيارة أخرى إلى الجزائر بعد الزيارة الرسمية الأولى التي قام بها في ماي 1963 ، لكن كانت هناك أحداث غيّرت مجريات الأمور وخاصة وقوع ما يُسمّى بالتصحيح الثوري في 19 جوان 1965 .

هذا ما استطعت جمعه عن مظاهر التعاون بين البلدين ، وذلك نظرا أولا لشحّ المادة وقلة المصادر التي تتكلم عن هذا الموضوع من جهة ونظرا لقصر المدة الزمنية محل الدراسة من جهة أخرى والتي لم تتجاوز الثلاث سنوات ، حيث أنّ التعاون كان في بدايته وسيتدّعم أكثر فيما بعد وخاصة في فترة الرئيس هواري بومدين .

إذن سأكتفي بهذا الذي جمعته ، وأحاول التوسع أكثر في الفصل الرابع عندما أتناول الدعم المصري للجزائر ثقافيا في فترة الرئيس أحمد بن بلة .

الفصل الرابع : الدعم المصري للجزائر في الميدان الثقافي في عهد الرئيس أحمد بن بلة .

المبحث الأول : الدّعم المصري للجزائر في ميدان التعليم .

المبحث الثاني : الدّعم في الميادين الأخرى .

المبحث الأول : الصعوبات والعراقيل التي واجهت هذا التعاون.

المبحث الأول : الدعم المصري للجزائر في ميدان التعليم .

وجدت الجزائر نفسها غداة الاستقلال في وضعية ثقافية يُرثى لها ، حيث بلغت نسبة الأمية حسب تقدير الكثير من المصادر حوالي 80 % *، وهذا راجع للإستراتيجية المنتهجة من طرف الاستعمار الفرنسي ، والتي ركز فيها على القضاء عن مقومات الشعب الجزائري ، وفي مقدمتها اللغة والدين ، وقد نجحت في ذلك إلى حد كبير ، حيث عانت الجزائر بعد الاستقلال من براثن الاستعمار لعدة سنوات ، وقد اجتهدت للتخلص من هذه المخلفات السلبية وفي مقدمتها الأمية ، فقامت بتوجيه كل جهودها للقضاء على هذا الوباء المستشري في أغلب فئات الشعب الجزائري ، وقد حاولت إشاعة التعليم وتوفيره لكل الأطفال الذين هم في سنّ الدراسة ، لكنّها عانت من نقص الهياكل التربوية وكذا نقص المُؤطّرين (المعلمين والأساتذة) ، لذلك استعانت بالعديد من الدول الأجنبية وخاصة الدول العربية الشقيقة ، وقد أعطت الحكومة أولوية كبيرة للّغة الوطنية وهي العربية في إطار القضاء على الثقافة الفرانكفونية وتعريب المدرسة الجزائرية .

في سنة 1962 ، أي السنة التي استقلت فيها الجزائر كانت الأغلبية الساحقة من الشعب الجزائري تتحرّق شوقا إلى لغتها وتتمنّى أن تراها تحُلّ محل الفرنسية ، وكانت تنظر إلى اللغة الفرنسية على أنّها لغةٌ وجودها غير شرعي بالجزائر لأنّها لغة المحتل فرضها على الجزائريين بقوة الحديد والنار ، وذلك لتحل محل لغتهم القومية ، والضغط الشعبي بالجزائر هو الذي دفع المسؤولين على التعليم إلى إدخال تعليم العربية في المدارس الجزائرية ، وتدريس العربية بضع ساعات في الأسبوع يُعتبر في حد ذاته مكسبا .([1])

لقد كان التحدي الأول الذي واجه حكومة الرئيس أحمد بن بلة هو افتتاح الموسم الدراسي بعد أقل من ثلاثة أشهر على الاحتفال باسترجاع الاستقلال ، وذلك في ظروف كانت فيها البلاد أنقاضا في كل المجالات ، وجاء العون من عدد من الدول العربية وعلى رأسها مصر ، بينما رفضت فرنسا أن تساهم بمعلميها ، وأرسلت فيما بعد معلمين من عناصر الخدمة الإجبارية العسكرية . ([2])

---

*- من بين المصادر التي تذكر ذلك محمد العربي الزبيري في كتابه : تاريخ الجزائر المعاصر ، ص 210 .

1- عثمان سعدي : " التعريب مطلب شعبي وقومي " ، الجيش ،السنة الثالثة ، العدد 33، ديسمبر 1966، ص،ص 2،3 .

2- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص 56.

كان في المدرسة الجزائرية التي أقامتها فرنسا في المرحلة الابتدائية والثانوية 20 ألف معلم وأستاذ ، بمجرد حصول الاستقلال غادر 17 ألف منهم المدرسة الجزائرية وبقي 3 آلاف ، هم الرصيد للتعليم في الجزائر أغلبهم معلمي ابتدائي ،... " كان قرار بن بلة بإدخال اللغة العربية إلى التعليم الابتدائي (7 إلى 10 ساعات) في السنة الأولى للاستقلال ، وهذا فكر الجزائريين وليس فكر عبد الناصر لأنّنا حاربنا من أجل اللغة العربية ، وهذا القرار كان نظري لأنّنا كنا نفتقد إلى معلمين باللغة العربية ، ... كانت حاجتنا ماسة لهؤلاء المعلمين ، وهؤلاء لم يقترحهم علينا أحد ، ففي كل سنة كانت الدولة الجزائرية تبعث بعثات إلى هذه الدول المشرقية : مصر ، سوريا ، العراق ، الأردن ، فلسطين ، كنّا نتسول أمام وزارات التربية لنأتي بالمعلمين " .([1])

وحسب ما أشارت إليه جريدة الشعب فإن قضية التعريب كانت تشغل الحكومة الجزائرية بعد الحصول على الاستقلال ولكنّها أدركت منذ البداية صعوبة تلك القضية ، ففي سنة 1962 وهي سنة إعلان الاستقلال كان يوجد بالجزائر عد هام من المعلمين الفرنسيين كما أشرنا آنفا ، فعاد كثير منهم إلى بلادهم مع موجة رحيل المستوطنين من الجزائر ، وربما كانت هذه فرصة طيبة للإسراع بالتعريب لولا أنّ إيجاد عدد ضخم من المعلمين الأكفاء يتعذر في الحال مهما تفانت الأقطار العربية الأخرى في مساعدة الجمهورية الجزائرية الناشئة .([2])

في أول دخول مدرسي تمّ في أكتوبر 1962 في الجزائر المستقلة ، اتّخذت وزارة التربية آنذاك قرارا يقضي بإدخال اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية ، وقد تمّ توظيف 3452 معلما بالعربية و 16450 للّغة الأجنبية منهم عدد كبير من الممرِّنين قصد سد الفراغ المدهش الذي أحدثه عمدا حوالي 17 ألف معلم فرنسي غادروا بلادنا بصفة جماعية زيادة على 425 معلم جزائري من مجموع 2600 انقطعوا عن التعليم ،... لقد شهد الدخول المدرسي الثاني بعد الاستقلال (1963- 1964) حملة كبيرة لتنظيم تدريس اللغة العربية ... وهكذا تقرّر تعريب السنة الأولى الابتدائية تعريبا كاملا (15 ساعة) ،...وكان توقيت السنوات الأخرى يحتوي على 30 ساعة أسبوعية منها 10 ساعات للّغة الوطنية ، ثمّ أصبح توقيت اللغة العربية يتراوح حسب السنوات ما بين 15 – 20 ساعة . ([3])

1- تلفزيون الشروق : لقاء خاص مع الدكتور علي بن محمد ، برنامج الحلقة المفقودة ، الحلقة الأولى ، " سنوات الاستقلال الأولى " .

2- الشعب : " التعليم والتعريب " ، د.صلاح العقاد ، العدد 867 ،2 أكتوبر 1965، ص 4.

3- الطاهر زرهوني : مرجع سابق ، ص 42 .

وقد استلزمت هذه الإجراءات مجهودات ضخمة لتوفير العدد الكافي من المعلمين لأنّ اللغة العربية كانت غريبة في وطنها في عهد الاستعمار ومحكوم عليها بالهجر ، حيث أنّها لم تُدرّس كلغة أجنبية لمدة 3 ساعات في الأسبوع إلّا في مدارس قليلة موجودة بأحياء كان يُطلق عليها اسم الأحياء العربية ، والجدول التالي يبين سلك التدريس خلال أول موسم دراسي 1962 – 1963 في التعليم الابتدائي .([1])

النوعية	بالعربية		بالفرنسية		المجموع
	الجزائريين	الأجانب	الجزائريين	الأجانب	
المعلمون	161	4	856	2265	3286
المساعدون	1547	83	3643	4093	9366
الممرنون	1634	23	4855	744	7256
المجموع	3342	110	9334	7102	19908

في انتظار وضع منظومة تربوية جزائرية أدخلت على التعليم الثانوي ابتداءً من الموسم الدراسي لسنة 1962 تغييرات أولية شُرع في تطبيقها ، فهكذا استرجعت اللغة العربية مكانتها ، كما تمّ تغيير البرامج وإنجاز الكتب الضرورية ، وتدريس مادة تاريخ الجزائر وتاريخ إفريقيا ،... ولقد استلزم تطبيق هذه التعديلات وأخرى ذات الطابع التربوي العديد من الأساتذة ، الشيء الذي كانت بلادنا في أمس الحاجة إليه في ذلك الوقت ، ممّا أدى إلى توجيه نداء واسع النطاق إلى كل الراغبين في الانتماء إلى أسرة التعليم الجزائرية حديثة العهد ، فلبّى الطلبة الجزائريون الذين تمّ إفادتهم إبّان الحرب التحريرية من طرف جبهة التحرير الوطني للتكوين في البلدان الشقيقة والصديقة ، وتمّ بعدئذ إدماج 1500 منهم في التعليم العمومي بموجب مرسوم مؤرخ في تاريخ 19 مارس 1964 ، تحت إشراف لجنة شُكِّلت على مستوى وزارة التربية ، كما استعانت بلادنا بالتعاون مع البلدان الشقيقة ، وهكذا استقبلت رسميا للمرة الأولى أول دفعة من المتعاونين العرب ([2]).

1- الطاهر زرهوني : المرجع السابق ، ص 43 .
2- نفس المرجع : ص 71 .

لقد تواصلت الجهود لتدعيم وجود اللغة العربية في التعليم ، حيث أصبحت تحتل ثلث الحصص المدرسية ، وبدأ الاستعداد لمستوى أكثر طموحا في العام التّالي حسب ما أكّدته مجلة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني في محاولة للإسراع بعملية التعريب التي كانت تفرض نفسها كضرورة وطنية وكخيار استراتيجي ، بدأ سباق مع الزمن وضدّ الخلفيات والعراقيل والنوايا المسبقة ، وتزايدت أعداد المعلمين الذين أُرسلوا من المشرق العربي للمساهمة في بناء المدرسة الجزائرية الجديدة ، وكان معظمهم من مصر وغالبا من المختصين في مجال التعليم ،...وكان المعلمون العرب يتلقون مرتباتهم غالبا من دولهم الأصلية مناصفة مع الجزائر التي كان عليها أن تتكفل بالإيواء .([1])

إذن المشكلة الكبرى التي واجهت المدرسة الجزائرية الناشئة تمثلت في نقص المعلمين وخاصة معلمي اللغة العربية ، حيث أنّ خريجي مدارس جمعية العلماء المسلمين كان عددهم لا يتجاوز الأربعين ألفا ، استشهد العديد منهم خلال سنوات الثورة ، وهو عدد غير كاف لتأطير المدرسة الجزائرية المستقلة حتى لو أضفنا لهم بعض المئات الذين بعثتهم الثورة إلى مدارس المشرق العربي ،...فالثورة الجزائرية في جوهرها ثورة ثقافية لا ثورة خبز ، فاتجه بن بلة إلى الرئيس المصري عبد الناصر وإلى سوريا ، فقرر البلدان العربيان تزويد الجزائر بالمعلمين والكتب أيضا ، ولأنّ الحياة اليومية في الجزائر كانت لا تزال أصعب منها في المشرق العربي ، قرّر البلدان الاستمرار في صرف رواتب هؤلاء المعلمين التي يتقاضونها في بلادهم تُسلّم لعائلاتهم تشجيعا لهم على مواجهة الصعاب ، وحتى لا تُستنزف الخزينة الجزائرية من العملة الصعبة تمّ الاتفاق على أن تُحدَّد قيمة المبلغ الذي يمكن أن يُوفره المعلم من مرتبه الجزائري ويحوّله إلى ذويه لا يتجاوز نسبة 30% من مرتبه ، وهكذا لا تشكل رواتب هؤلاء أي عبء على الخزينة الجزائرية .([2])

يُشير الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى أنّ " الجيل الحاضر من أعضاء المجمّع يتذكرون كيف اندفعت الجزائر المستقلة نحو ما أطلق عليه عندئذ التعريب ، ولعلّ بعضكم ساهم في هذه الحملة القومية النبيلة التي آتت أكلها بإذن ربها ، رغم السلبيات التي رافقتها نتيجة الاندفاع والحماس ، فقد قدّمت مصر وسوريا والعراق معلمين وأساتذة للقيام بتدريس اللغة العربية في مختلف مستويات التعليم ".([3])

1- محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى ، مرجع سابق ، ص،ص 155 ، 157.

2- سهيل الخالدي : " عن جيش التعريب الجزائري " ، الجزائر نيوز ، 17 ديسمبر 2010 .

3- أبو القاسم سعد الله : حصاد الخريف ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2011 ، ص 223 .

زيادة في التشجيع قامت الدولتان (مصر وسوريا) باحتساب مدة خدمة العلم في الجزائر ضمن مدة خدمته في بلاده ، ولا تُحسب له انقطاعا عن العمل .. وهو ما لم تكن تفعله مع معلّميها في السعودية والخليج العربي ، ... ولم تقف هذه القرارات عند حدود معلّمي المرحلتين الابتدائية والثانوية ، بل شملت الأساتذة الجامعيين والأطباء وغيرهم من الأطر العليا .. ،وهذه إحدى حالات التوافق النادرة بين الدول العربية ،...ولم يقف إجماع الدول العربية على إرسال المدرسين بالعدد الذي تطلبه الجزائر بل أنّها أرسلت أكثر مدرّسيها كفاءة سواء في المواد الأدبية أو العلمية التي ظهرت الحاجة إليها بعد قرار الجزائر في التدرج بتعريب المواد .([1])

بالرغم من النية الخالصة التي أبدتها حكومة الرئيس أحمد بن بلة في إعطاء اللغة العربية مكانتها التي فقدتها خلال الفترة الاستعمارية ، وذلك من خلال إدخال اللغة العربية إلى المدارس الجزائرية بالتدريج في إطار تعريب المدرسة الجزائرية ، إلا أن الواقع كان عكس ذلك .

فقد اتسمت فترة حكم الرئيس بن بلة باستمرار الازدواجية اللغوية على المستوى الثقافي لاسيما التعليم ، ويُعتبر هذا حسب ما نراه أمرا طبيعيا لحداثة الاستقلال من جهة ، وتأثير المشروع الاستعماري الثقافي على الثقافة واللغة الجزائرية ، وسوف تستمر الازدواجية اللغوية حتى في عهد الرئيس هواري بومدين خاصة المرحلة الأولى من حكمه التي لا تختلف عن عهد سلفه ، وانطلاقا من ذلك بنى سياسته على النهج الثوري في محاور ثلاثة منها الثورة الثقافية التي كانت اللّغة هي أساسها كضرورة وطنية وثورية وعلمية .([2])

وهذا لا يعني أنّ أحمد بن بلة لم يكن قلقا على مصير الثقافة العربية ، بل كان يؤمن بعروبة الجزائر ، ولذلك قام باستدعاء آلاف الأساتذة العرب من مصر والعراق وسوريا للمساهمة في قطاع التعليم ، وقد اصطدم هؤلاء التربويون العرب بمجموعة كبيرة من العراقيل البيروقراطية التي كان يضعها في طريقهم سماسرة الثقافة الفرانكفونية ، واختار العديد من هؤلاء المتعاونين العرب العودة إلى بلادهم ، وبذلك تمّ الإجهاز على مشروع التعريب الذي ما زال متعثرا إلى يومنا هذا . ([3])

1- سهيل الخالدي : المقال السابق .

2- د.سفيان لوصيف : " السجال اللغوي وتطور التعريب في الجزائر بعد الاستقلال "،مجلة العلوم الإنسانية الإلكترونية ، العدد 41 ، مرجع سابق .

3- يحي أبو زكريا : مرجع سابق ، ص 12 .

في إطار الدعم الثقافي الذي كانت تقدّمه الدول العربية الشقيقة للدولة الجزائرية الناشئة وخاصة مصر ، وفي إطار تعريب التعليم في الجزائر أصدر مؤتمر المعلمين الذي عُقد في بيروت سنة 1962 توصية تحثُّ الحكومات العربية على بناء وتحويل وتسيير معاهد للمعلمين في الجزائر تُعِدّ المعلم الجزائري العربي ، وقد استجابت بعض الحكومات العربية لهذه التوصية وأرصدت بالفعل في ميزانياتها مخصصات لهذه المعاهد ، وتقدّمت إلى حكومة الجزائر بطلبات تطلب فيها تخصيص الأرض واختيار المدينة أو القرية التي ستُبنى فيها هذه المعاهد ، لكنّ هذه الطلبات بقيت حتى الآن بدون جواب .([1])

وقد كان المفروض على وزارة التربية غداة الاستقلال أن تستجيب لطلب الدول العربية بفتح معاهد لإعداد المعلم المعرب بالجزائر تطبيقا لقرار صادر عن مؤتمر المعلمين العرب الذي عُقد في بيروت عام 1962 ،...هذا القرار يحثّ كل دولة عربية على فتح معهد للمعلمين بالجزائر على نفقتها ، أي على نفقة الدول العربية مساعدة منها لحكومة الجزائر المستقلة على إعداد المعلم المعرب ،...وقد تقدمت – عن طريق وزارة الخارجية الجزائرية – مصر وسوريا والكويت والعراق بطلب فتح هذه المعاهد ، وكانت كل الدول العربية الأخرى مستعدة لذلك بمجرد تذكيرها بقرار مؤتمر المعلمين العرب ، لكن وزارتنا رفضت عروض الدول العربية . ([2])

في إطار التعاون والدعم الثقافي الذي كانت تقدمه جمهورية مصر العربية للحكومة الجزائرية ، وخاصة في ميدان التعليم فقد قامت ببناء بعض المدارس المصرية بالجزائر ، ومن أمثلة ذلك تلك المدرسة التي أقامها أول سفير مصري بالجزائر علي خشبة بأوامر من الرئيس جمال عبد الناصر ، حيث قام السفير المصري بتوقيع عقد شراء المدرسة في 16 أوت 1962 في الجزائر العاصمة بعد 41 يوما فقط من استقلال الجزائر .

فعلى مدار ما يقرب من 50 سنة تخرّج من المدرسة المصرية بالعاصمة وفرعيها بولايتي قسنطينة ووهران الآلاف من الجزائريين ورعايا من 14 دولة عربية وأجنبية ، وأصبح الكثيرون منهم يتولّون مراكز قيادية في مختلف المجالات . ([3])

1- الجيش : عثمان سعدي ،" التعريب مطلب شعبي وقومي " ، السنة الرابعة ،العدد 34، جانفي 1967 .

2- عثمان سعدي : " التعريب في الجزائر ،كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية "، دار الأمة ، الجزائر ،1993،ص.53

3- بوابة الشروق : " مدرسة مصرية بالجزائر أنشأها عبد الناصر وتخرج منها الآلاف من 14 دولة " ، مقال منشور ببوابة الشروق ، الجمعة 15 مارس 2013 .

وقد تولّى إدارة المدرسة منذ افتتاحها رسميا في عام 1964 وحتّى الآن 12 مديرا أطولهم بقاءً الأستاذ سميح السيّد الذي تولّى منصب مدير المدرسة من عام 2006 وحتى الآن ، كما تُظهر سجلات المدرسة أنّ عدد الطلاب الدارسين فيها منذ افتتاحها 1964 بلغ 800 طالب سنويا ، بين مُنظم ومنتسب ، موزعين في المقر الرئيسي بالعاصمة وفرعي مدينتي قسنطينة ووهران ، وذلك بمقتضى اتفاقية تمّ توقيعها بين مصر والجزائر تسمح بتدريس المناهج المصرية في هذه المدرسة . ([1])

بقيت المنظومة التربوية في الجزائر خلال السنوات الأولى للاستقلال تعاني من الازدواجية ، حيث جمعت بين اللغتين العربية والفرنسية ، وكانت الغلبة من حيث الحجم الساعي للغة الفرنسية حتى أنّ البعض بدأ يُشكّك في نيّة السلطات الجزائرية في القيام بعملية التعريب .

وقد سُئل أحمد بن بلة عن موقفه من اللغة العربية والبربرية ، ولماذا لجأ في عهده إلى محو الأمية باللّغة الفرنسية ، فأجاب : " أعتبر أنه من العيب أن نأتي بعد ربع قرن لنُسأل عن موقفنا من اللغة العربية ، أنا ضد من يطرح أيّ لغة أخرى مهما كانت ، فعلى مستوى اللغة العربية فهي لغتنا الوطنية ولا يمكن التخلي عنها أو تشجيع أي لغة أخرى منافسة لها ،...إنّ اللغة الوطنية الوحيدة هي اللغة العربية " ،وردّ على الاتهام بقوله : " بدأنا بمحو الأمية بالفرنسية ولم يكن عندنا ما يكفي من المعلمين باللغة العربية لتسيير مؤسسة تربوية واحدة ، وقد لجأنا لاحقا إلى التعريب ، لقد أحضرنا جيشا من الأساتذة من مختلف الأقطار العربية وشرعنا في إعداد برنامج وطني للتعليم في مختلف مستويات التعليم " . ([2])

كانت دول المشرق العربي في إطار التعاون الثقافي مع الجزائر تُرسل معلمين وأساتذة ذوي كفاءة عالية ، وسأعتمد على بعض الإحصائيات التي تبيّن ذلك .

إنّ هذه الإحصائيات تبيّن بوضوح أنّ نسبة المعلمين الكاملين مهنيا بين المعلمين المنتدَبين من المشرق العربي أكثر بكثير من نسبة المعلمين الكاملين المنتدبين من فرنسا . ([3])

1- بوابة الشروق : " مدرسة مصرية بالجزائر أنشأها عبد الناصر وتخرج منها الآلاف من 14 دولة "، مصدر سابق .

2- يحي أبو زكريا : مصدر سابق ، ص 18 .

3- عثمان سعدي : قضية التعريب في الجزائر ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص 93 .

... فإذا أخذنا المجموع العام لمعلمي اللّغة العربية بالجزائر (جزائريين وشرقيين)، وجدنا نسبة المعلمين الكاملين مهنيا 36 %، ونسبة المعلمين الناقصين مهنيا 64 % ، أما إذا استعرضنا النسب بين المعلمين الجزائريين فقط وجدناها كما يلي 6 % كاملين مهنيا و94 % ناقصين مهنيا، وإذا أخذنا المجموع العام لمعلّمي الفرنسية بالجزائر (جزائريين وفرنسيين) وجدنا نسبة الكاملين مهنيا 25 % والناقصين مهنيا 75 % ، أما إذا استعرضنا النسب بين المعلمين الجزائريين فقط لمادة الفرنسية وجدناها كما يلي 13 % كاملين مهنيا و87 % ناقصين مهنيا ،وهذا يبيّن بجلاء أنّ المعلمين المنتدبين من بلدان المشرق العربي أكثر كفاءة من المعلمين المنتدبين من فرنسا ، وهذا لا يعني الحطّ من قيمة التعاون الفرنسي الجزائري الذي يعتبر تعاونا مثاليا في العلاقات الدولية بين البلدان . ([1])

اقترح الكاتب في كتابه كذلك بعض الحلول للقيام بعملية التعريب في الجزائر ، ومن أهم هذه الحلول :

1- جمع كل المعلمين الجزائريين غير الأكفاء وعددا كبيرا من حاملي الابتدائية أو الأهلية وإعدادهم بواسطة برنامج تعليمي مضغوط ،وهيئة أساتذة أكفاء يُختارون من خريجي المشرق العربي ويُنتدبون من بلدان المشرق العربي لكي يحلّوا محل هؤلاء المعلمين الجزائريين إلى أن يتمّ إعدادهم .

2- حث البلدان العربية على تطبيق توصية مؤتمر المعلمين العرب في سنة 1962 ، والتي تنص على ضرورة فتح كل حكومة عربية معهد للمعلمين بالجزائر ، وأنا متأكد أنّ ست حكومات منها قادرة على تطبيق هذه التوصية ، وقد تقدمت الكويت وسوريا والعراق فعلا إلى الجهات المعنية الجزائرية بطلبات للسماح لها بفتح معاهد ، وبقيت طلباتها بدون جواب .

3- إعارة مناهج وكتب تعليم العربية من أحد البلدان المتقدمة في التعليم كسوريا والجمهورية العربية المتحدة ، والاتفاق مع البلد الذي يقع عليه الاختيار لكي يطبع لنا كمية معينة زائدة عن حاجته لحساب الجزائر من الكتب المدرسية الخاصة بتعليم العربية والأخلاق والدين ، ثمّ تأسيس لجنة وطنية يساهم فيها خريجو جامعات المشرق وأساتذة يُعارون من المشرق أيضا تبدأ في إعطاء المنهج طابعا جزائريا . ([2])

1- عثمان سعدي : قضية التعريب في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 94 .

2- عثمان سعدي : نفس المرجع ، صفحات (107 ، 108 ، 109 ، 110) .

استمرت علاقات التعاون بين البلدين في ميدان التعليم خلال فترة الرئيس أحمد بن بلة وبعده ، فبالرغم من التغيرات التي شهدتها علاقات البلدين منذ منتصف عام 1965 بتغير القيادة الجزائرية وذلك بعد ما يسمى بالتصحيح الثوري ، ورغم تعكّر صفو العلاقات نوعا ما إلاّ أنّ التعاون في ميدان التعليم استمر وبشكل رسمي ، حيث و في إطار ترسيم التعاون الثقافي بين البلدين (الجزائر والجمهورية العربية المتحدة) وقّع البلدان اتفاقية دولية للتعاون في هذا المجال بتاريخ 15 مارس 1966، والتي ركّزت في بعض موادها على التعاون في ميدان التربية والتعليم .

المبحث الثاني : في الميادين الأخرى .

إنّ الكلام عن الدعم المصري للجزائر المستقلة ثقافيا خلال فترة الرئيس أحمد بن بلة ليس بالأمر السّهل ، وذلك راجع لسببين هامين هما أولا قصر فترة الرئيس أحمد بن بلة من جهة ومن جهة أخرى شُحّ المصادر والمراجع التي تتكلم عن هذا الأمر .

سأحاول الإشارة إلى بعض المظاهر التي ميّزت التعاون بين البلدين في هذا المجال ، أو بالأحرى الدّعم الذي كانت تقدّمه مصر للجزائر في الميدان الثقافي . وقبل هذا سوف أعرّج عن بعض مظاهر التواصل الثقافي بين البلدين قبل الثورة وخلالها ، حتى يتبيّن لنا عمق الروابط الحضارية التي تربط هذين البلدين الصديقين .

إنّ التواصل الثقافي بين الجزائر ومصر قديم قدم جبال الجزائر وأهرامات مصر ، ولا سبيل إلى ضغط هذا التواصل في كلمة تصاغ لمناسبة رمزية محددة .

... عندما تقدّمت السنوات بثورة التحرير الجزائرية ، وسلّط الإعلام المصري أضواءه عليها أخذ أدباء مصر ونُقّادها يهتمون بأدب وثقافة الجزائر ، خصوصا عندما أفاضت الصحف الأجنبية في الحديث عن الكُتّاب الجزائريين باللّغة الفرنسية .

فقد بدأ نُقّاد مصر يدرسون ويحلّلون هذا الأدب على أنّه عربي (جزائري) الروح فرنسي اللغة ،أي أنّه أدب يُعبّر عن ثقافة الجزائر المستعمرة ، بل أخذ بعضهم يبكون على أطلالها كما بكوا على أطلال الأندلس من قبل ، ومن الأدباء والنُقّاد الذين تناولوا هذا الموضوع : طه حسين ، رجاء النقاش ، محمود أمين العالم ولويس عوض وأنور عبد المالك ، ومعظم هؤلاء تناول أدب محمد ديب وخصوصا روايته الثلاثية " البيت الكبير " ، ولكن طه حسين انفرد بتناول رواية " الربوة المنسيّة " لمولود معمري ، ثم ظهرت رواية " نجمة " لكاتب ياسين ، فاحتفى بها عدد من النُّقاد رغم صعوبة تلغيزها وأسطوريتها . ([1])

---

1 – أبو القاسم سعد الله : حصاد الخريف ، مرجع سابق ، ص 130 .

كما ظهرت على الساحة الثقافية المصرية والعربية كتابات مالك بن نبي ، باللغة الفرنسية ، فكان له جمهوره من المهتمين بالظاهرة القرآنية ، أو بالإعجاز القرآني والتاريخ الإسلامي في ضوء تطورات وتكنولوجية العصر .

وهكذا كان لابن نبي مترجموه والمعجبون بأفكاره من أمثال محمود شاكر وعبد الصبور شاهين وعدد آخر من المريدين الذين كانوا يُلازمون حلقته في القاهرة ، والمعروف أنّ ابن نبي باعتباره لاجئا كان مستشارا للمؤتمر الإسلامي الذي كان يرأسه أنور السادات . ([1])

في المجال الفنّي بدأت الجزائر صلتها بالفن المصري منذ سنة 1909 ، أي حين حلّت بها فرقة الجوق المصري للرقص والتمثيل ،... ويرى مؤرّخو هذا الفن أنّ انطلاقة الفن المسرحي في الجزائر بدأت بعد زيارة فرقة جورج أبيض المصرية للجزائر سنة 1921 ، فهي التي مثّلت مسرحيتين باللّغة العربية الفصحى ، هما " شارات العرب " و " صلاح الدين الأيوبي " ، من تأليف جورج حداد ، ...ثمّ توالت زيارة الفنّانين المصريين للجزائر ، ففي سنة 1932 حلّت بها ومثّلت فيها فاطمة رشدي وفرقتها .

ومن الوفود العربية التي زارت الجزائر أوائل الخمسينيات واطلعت على ما كان يجري فيها على المستوى السياسي والثقافي وفد مؤتمر الخريجين العرب الذي كان يقوده السيد محمد فؤاد جلال ،...أمّا الفنان يوسف وهبي فقد زار الجزائر مرّتين على رأس الفرقة القومية المصرية ، مرّة سنة 1950 والأخرى سنة 1954 ، وفي كلتيهما كان هو وفرقته محل إعجاب وتقدير ،...وإذا كان لمحمد عبده مدرسة وتلاميذ في الجزائر فإنّ ليوسف وهبي أيضا مدرسة من المعجبين بفنّه وصوته وحركاته وموضوعاته ، حتى لقد كان بعضهم يقلّده سواء في الإذاعة أو على خشبة المسرح ، ...كما كان أدباء الجزائر يتابعون نشاط الشعراء وكُتّاب القصة والمقالة في مصر ، وكانت مدرسة شوقي وحافظ لها أنصارها في الجزائر يحفظون أشعارهما ويروون أخبارهما . ([2])

1- أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص 130 .

2- نفس المرجع ، صفحات 137 ، 138، 139 .

من الممكن أن نشير في الأخير إلى زيارة الوفد المصري الكبير الذي كان يضم عشرة أعضاء يمثلون مختلف الأطياف الإعلامية برئاسة عزيز ميرزا ، وعضوية ممثلي الصحف والإشهار و الإذاعة وغيرها ، ومنهم أسماء لامعة في عالم الصحافة وهم نقيب الصحفيين حسين أبو الفتوح ، وحبيب جاماتي وعبد الحميد يونس ، وجلال الدين المحامصي ، ...وقد استُقبل الوفد بحفاوة من نظرائه الجزائريين ابتداء من المطار ،...وكانت هذه الزيارة في شهر ديسمبر 1950 ،...وهكذا فإنّ التواصل الثقافي بين الجزائر ومصر قد مرّ بجسور مختلفة وتطورات إيجابية متلاحقة وعبر عصور متطاولة ، وهذا تواصل رسّخته الجغرافية والتاريخ والحضارة العربية الإسلامية . ([1])

نجد أنّ مصر كذلك كبقية دول المشرق العربي فتحت أحضانها للمئات من الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في أرضها خلال الثورة التحريرية ، وخاصة من طلبة جمعية العلماء المسلمين ، بالإضافة إلى هؤلاء الطلبة الذين قدّمت لهم السلطات المصرية الرعاية الكاملة وخاصة بعد نجاح الثورة المصرية .

بالإضافة إلى هذا نجد أنّ السلطات المصرية دعّمت ماديا ومعنويا الاحتفالات التي أقيمت على أراضيها ، والتي اندرجت تحت ما سُمّي بأيام الجزائر تعبيرا عن التضامن والتآزر مع الشعب الجزائري ، فبمناسبة أسبوع الجزائر الذي أقيم بمصر عام 1957 ، كتب أحمد حسين الباكوري وزير الأوقاف آنذاك مقالا في صحيفة الجمهورية ، ذكر فيها أنّ الحرب القائمة آنذاك في الجزائر حرب بغي وعدوان لا يرضى بها دين ولا تقبلها مروءة ، ولا يسكت عنها أحد ، وأوضح أنّه على العرب والمسلمين مسؤولية في مساندة الشعب الجزائري في كفاحهم حيث ذكر : نحن مسلمون وعرب تجمعنا بالجزائر رابطة الدين ولحمة الدم ، وهما أمران يفرضان علينا أن نتحمّل العبء عنهم فلا نرضى إلّا أن تختلط دماؤنا بدماء الشعب الجزائري .([2])

1- أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص 141 .

2- صالح لميش : مصر وثورة التحرير الجزائرية (1954-1962) ، رسالة ماجستير ، الإسكندرية ، 1988، ص 215 .

ورثت الجزائر المستقلة بعد كفاح طويل في شتّى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية من مظاهر الصراع الحاد على السلطة ، وضعف الاقتصاد المُسيطر عليه ، وخصوصية للتبعية ، وتردّي الوضع المعيشي حيث انتشر الثالوث الأسود ، الفقر الذي أنهك السواد الأعظم من الشعب تعكسه انتشار البطالة وازدياد الحاجيات الغذائية ، والجهل الذي انتشر واستفحل بين عامّة الشعب والمرض الناتج عن العاهات الجسدية والعقلية التي ارتكبها الاستعمار في حقّهم ، وكان من البديهي أن تُؤثّر هذه الظروف على تعاون الجانب الثقافي الذي نحن بصدد تناوله .([1])

من مظاهر الدّعم الثقافي للجزائر أو التعاون الثقافي نذكر كذلك تلك العروض الفنية التي كانت تُقام بالجزائر من طرف بعض فنّاني الجمهورية العربية المتحدة ، فقد كتبت جريدة المجاهد في عددها 103 بتاريخ 17 نوفمبر 1962 مقالا بعنوان " أول عرض من الجمهورية العربية المتحدة في الجزائر " ، أهم ما جاء فيه : تكلّمت الأوساط الفنية منذ بعض الوقت عن العديد من النجوم المصريين للأغنية جاؤوا ليحتفلوا في الجزائر ،...من هذه الأسماء التي جاءت للاحتفال ، حافظ ، نجاة الصغيرة ...، الفنّانون المصريون كانوا قد قدّموا عرضا في الذكرى المخلّدة للعيد الثامن لثورتنا .

...الجمعة الأخيرة ، فوج من الجمهورية العربية المتحدة بما فيهم المُغنّين والمغنيات الأكثر بروزا في العالم العربي نزلوا في الجزائر العاصمة بعد إنهائهم جولة عبر كامل التراب الوطني (خاصة وهران ، بسكرة ، قسنطينة ..)، نجاة الصغيرة ، فايدة كمال ، محمد قنديل ، كرم محمود ، وقائد الجوق للمجموعة الماسية أحمد فؤاد حسن ، وصلوا إلى الجزائر التي يعرفونها من أجل الغناء عدة مرّات عن معركته البطولية من أجل الحرية .

طوال السبع سنوات التي دامها الكفاح من أجل الاستقلال الوطني أصواتهم لم تتوقف عن الإسهام النفسي (الدعم المعنوي)، حيث ساهمت في بعث الراحة النفسية عبر موجات الإذاعة ، ومن بين تلك الأغنيات الشهيرة أغنية " الله أكبر " التي غنّاها محمد قنديل في العديد من التظاهرات التي ميّزت ثورتنا .

1- El Moudjahid : « Première Représentation de la R.A.U en Algérie » ,n 103 , 17 Novembre 1962 , p 5 .

يوم الإثنين 12 أكتوبر1962 قدم حشد ضخم يهتف ويصفق لفنّانين أصدقاء نزلوا في قاعة سينما (الماجستيك) ، وحتّى في الأحياء المجاورة ، التذاكر بيعت قبل 18 ساعة ،...على الساعة الثامنة والنصف ليلا الأخ أحمد بن بلة دخل إلى القاعة ، أكثر من 2000 شخص غزوا المعابر في حشد لا يمكن وصفه .

...بدأ العرض على التاسعة والنصف ، لكنّ الفوضى العارمة منعت العارضين من استماع خطاب الترحيب الذي تلاه مُنشّط من الإذاعة والتلفزة الجزائرية ، حاول الأخ بن بلة إيقاف الضجة فقام في القاعة ، لكن ذلك لم يزد سوى في تضخيمها .

هذه الفوضى وعدم الانضباط راجع إلى العدد الكبير للمتفرجين ، حيث أنّ القاعة استوعبت حوالي 5 آلاف شخص في حين أنّها لا تحتوي إلا على 3 آلاف مقعد للجلوس تقريبا ، وقد وقعت العديد من التجاوزات ، وتكسّرت كاميرا للتلفزة الجزائرية ، لحسن الحظ قوة شخصية الفنّانين المصريين المتمرّسين ساعدت على فرض بعض الهدوء النسبي في القاعة ، وكل فنّان دخل إلى القاعة كان يدخل تحت التصفيق ، تخلّل العرض كذلك ظهور نجم الأغنية العاصمية الحاج محمد العنقا ، هذا الفاصل من الموسيقى الأندلسية لقي تقديرا وتجاوبا قويا ،...هذه المقابلة من الفنون المصرية والجزائرية سمحت بملاحظة أنّ طابعنا الشعبي (الغناء) في حالة جيّدة ، ومن هنا يجب إنشاء مجموعة فنّية وطنية تكون حاضرة في المقابلات الدولية ،...نحن نتمنّى في النهاية أن تكون المبادلات الثقافية والفنية بين الجزائر والجمهورية العربية المتحدة أكثر تطورا وأكثر تواصلا ، هذا لا يساهم إلا في تدعيم الصداقة التي تربط شعبينا اللذين قدّما نفس المعركة من أجل الحرية والكرامة ...([1])

...في أواخر عام 1961 قامت المنظمة الإرهابية الفرنسية بتفجير عدة شحنات من البلاستيك فيها أدت إلى تدمير مبنى المكتبة الوطنية تدميرا كاملا وإحراق أكثر من 600 ألف كتاب ومخطوط .

...وفي عام 1963 تكوّنت في الجزائر لجنة دولية لجمع الكتب من مختلف أنحاء العالم لتعويض مكتبة جامعة الجزائر عن كتبها التي أُحرقت ، وقد ورد إلى اللجنة المذكورة كتب من المشرق العربي ، المغرب العربي ، وكذلك من فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا ويوغسلافيا وإسبانيا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل وغيرها ، و كانت مصر طبعا في مقدمة هذه الدول . ([2])

1- El Moudjahid : Op-cit ,P 5 .

2- جريدة الشعب اليومية : تركي رابح ،" التعليم والتعريب ، الجامعة الجزائرية بين الأمس واليوم " ،السنة الثالثة ، العدد 885 ، 23 أكتوبر 1965 ، ص 4.

في إطار الدعم الفنّي قامت مصر كذلك بإثراء الساحة الوطنية بالعديد من الأفلام التلفزيونية والسينمائية التي كانت محل اهتمام من فئات عريضة من الشعب الجزائري ، وخاصة تلك الأفلام الاستعراضية التي كان يتزعمها ويستأثر بدور البطولة فيها العديد من الفنانين المصريين المشهورين على المستوى العربي أمثال : أم كلثوم ، وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش ...،والتي كانت تحوي أهم الأغاني التي اشتهروا بها في تلك الفترة.

في الأخير نستطيع أن نورد كذلك المثال السابق والمتمثل في الدعم التقني الذي قدمته لنا مصر غداة الاستقلال والذي تجسد في مساهمة مصر ببعض مهندسيها وتقنييها في تشييد عدة صروح عمرانية ما زالت شاهدة على براعة وقدرة إخواننا المصريين في مجال العمران ، فهم أحفاد الفراعنة الذين شيّدوا الأهرامات منذ آلاف السنين .

فقد وضع جمال عبد الناصر ثقله وراء أحمد بن بلة لإنجاز مركب معماري كبير في منطقة نادي الصنوبر غرب العاصمة يُخصّص لاستضافة المؤتمر (المؤتمر الأفروأسيوي) .

وعهد عبد الناصر بالأمر إلى واحد من أشهر المهندسين في مصر وهو السيد مصطفى موسى ، وتمّ تكوين شركة كان على رأسها الأخ الأمين بشيشي ،...ألحقت الشركة المعمارية في مرحلة تالية بأول شركة وطنية أقيمت في الجزائر بعد استرجاع الاستقلال وهي " سوناطراك" ، ...وللتذكير فقد كانت تلك الشركة المعمارية ومن قامت بتكوينهم من الجزائريين هي من أنشأت مسجد وجامعة الأمير عبد القادر في قسنطينة ، ومن تولّت توسعة رئاسة الجمهورية وإقامة مبنى قصر الثقافة في الثمانينات ، وقبل ذلك كانت قد قامت ببناء فندق الأوراسي . ([1])

---

1 – محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص 78 .

المبحث الثالث : الصعوبات والعراقيل التي واجهت هذا التعاون .

إنّ الواقع السيّئ الذي ورثته الجزائر عن الحقبة الاستعمارية وخاصة في الميدان الثقافي ، جعلها تطلب العون من بعض الدول العربية وفي مقدمتها مصر ، خاصة في الميدان الثقافي ، لكنّ هذا التعاون بين البلدين لم يكن يروق للعديد من الفئات سواء في الداخل أو في الخارج لذلك حيكت العديد من المؤامرات ووُضعت العديد من العراقيل من أجل إجهاض هذا التعاون والإجهاز على مشروع التعريب في مهده ، وسنحاول أن نستعرض بعض الصعوبات التي واجهت هذا التعاون بين الجزائر ومصر .

...الواقع أنّ مسألة التعريب قد طُرِحت لكن ليس بجدّية وبشكل حاسم يدفع اللّغة العربية إلى الأمام فالنصوص السياسية والتشريعية موجودة ، فميثاق طرابلس سنة1962 ودستور الجزائر لسنة 1963 أكّدا على أنّها اللغة الوطنية الرسمية ، لكنّ تجسيدها على أرض الواقع يُعدُّ أمرا ليس بالهين في ظل وجود أطراف معارضة ، ولعلّ هذا ما جعل مواقف القيادة السياسية للبلاد غير واضحة يكتنفها الغموض ، فتصريحات الرئيس أحمد بن بلة ظلت لفترة لم تجزم وتفصل عن طبيعة اللغة التي ستُختار ،...يرى محمد الطيب العلوي أنّ الرئيس بن بلة قد بذل جهودا كبيرة لمعالجة الوضع وتحديد التوجه اللّغوي للبلاد ، لكن ما أضعف جهوده الضغوط الممارسة عليه وجهله بوضع التعليم وحقائقه ، نتيجة المغالطات التي كان يُقدّمها له المكتب السياسي للحزب أدّت به أحيانا إلى تردده في الإسراع في عملية تعريب التعليم .([1])

وبدل أن يُحوِّل المسؤولون على وزارة التربية في 1962 بعض المدارس الابتدائية الفرنسية إلى مدارس عربية ،ويحوّلوا بعض المتوسطات والثانويات الفرنسية لاستيعاب الآلاف من تلميذات وتلاميذ المدارس الحرة الابتدائية اكتفوا بترك المدارس الحرة كما هي وسُدّت الأبواب أمام خرّيجي المدارس الحرة الذين لم يتمكنوا من إتمام دراستهم المتوسطة والثانوية ، بل إنّ بعض المدارس التي لم تكن ضمن المدارس الحرة حُوِّلت في عهد الاستقلال إلى مدارس عربية لا تتوفر فيها شروط المدرسة المعمارية والصحية كمدرسة الثعالبية ، هكذا بدأ الشعب يُروّض في عهد الاستقلال على أن يعتاد على رؤية لغته تُدرّس في مدارس رديئة وغير صحيّة ، بينما يرى الفرنسية تُدرّس في مدارس عصرية ، وهو ترويض نفسي سيُؤدّي في المستقبل إلى نبذ العربية والإقبال على الفرنسية التي تتحول إلى لغة العلم والتقنية والفن بعد أن كانت لغة المستعمر .([2])

1- سفيان لوصيف : " السجال اللغوي وتطور التعريب في الجزائر بعد الاستقلال " ، مرجع سابق .

2- عثمان سعدي : التعريب في الجزائر ،كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية ،مرجع سابق ، ص 52.

وهكذا بقيت حالة المدارس العربية في وضعها السيئ حتى في عهد الاستقلال ،في نفس الوقت الذي أُسست فيه المدارس الشامخة للتعليم الفرنسي تقدّم مئات من خريجات مدارس جمعية العلماء الابتدائية في سنوات 1962- 1963 إلى هذه المدرسة (مدرسة الثعالبية بالعاصمة)، لكنهنّ صُددن لعدم توفر أماكن لهنّ،...وحُكم بذلك على الجزائريين حتى في عهد الاستقلال أن تبقى فيها العربية غريبة وأن يكون فيها مصير طلاب وطالبات العربية إلى الجهل...وحتّى هذه المدارس العربية القليلة الموروثة فقد استمرت المؤامرات تُحاك حولها إلى أن تمّت تصفية المدارس الابتدائية منها وحُوِّلت إلى مدارس فرنسية ،وقُضي بذلك على المصدر الذي يُزوِّد المدارس الثانوية الخمس بالتلاميذ*،...إنّ الحجة التي اعتمد عليها المسؤولون عن التعليم بتبرير تصفية المدارس العربية بالجزائر هي " توحيد المدرسة الجزائرية " وهو أساس تربوي معروف ([1])

كان المفروض على وزارة التربية غداة الاستقلال أن تستجيب لطلب الدول العربية بفتح معاهد لإعداد المعلم المُعرّب بالجزائر تطبيقا لقرار صادر عن مؤتمر المعلمين العرب الذي عُقد في بيروت عام 1962 - بطلب من وفد جبهة التحرير الوطني في المؤتمر – هذا القرار يحثّ كل دولة عربية على فتح معهد للمعلمين بالجزائر على نفقتها أي على نفقة الدول العربية، مساعدة منها لحكومة الجزائر المستقلة على إعداد المعلم المعرب ،كان من المفروض على وزارة تربيتنا أن تستجيب لطلبات الدول العربية بتطبيق هذا القرار ، ...لكنّ وزارتنا رفضت عروض الدول العربية التي وضعت قرار مؤتمر المعلمين العرب موضع عدم التنفيذ بحجة وحدة المدرسة الجزائرية (وكان الإبقاء على مدارس الإرساليات التبشيرية الفرنسية المسيحية بالجزائر حتى عام 1976 ،وهكذا أُهمل إعداد المعلم المعرب من تلاميذ المدارس الحرة ،فلا وزارتنا اهتمّت بهم ووفرت لهم المدارس ولا سمحت للدول العربية بفتح المعاهد لهم مثلما طالبت جبهة الحرير قبل إعلان الاستقلال .([2])

إنّ الضغط الشعبي بالجزائر هو الذي دفع المسؤولين على التعليم إلى إدخال تعليم العربية في المدارس الجزائرية ، وتدريس العربية بضع ساعات في الأسبوع يعتبر في حدّ ذاته مكسبا ،لكن أحاطته بجميع الظروف التي تجعل هذه الساعات عقيمة في إنتاجها يعتبر مؤامرة على سلامة إنتاج هذه الساعات ، بل وأخطر من ذلك أنّ هذه الظروف ولّدت أثرا عكسيا في النشء الجزائري ، فبدل أن تجعله يُقبل على تعليم العربية متلهفا كوّنت في نفسه عقدة إزاءها فصار يخشاها ويحتقرها في نفس الوقت .([3])

---

* - الثانويات الخمس هي : ثانوية ابن باديس بقسنطينة، عباس لغرور بباتنة ، ثانويتي الثعالبية للبنات وابن خلدون بالعاصمة ، وثانوية وهران .

1- عثمان سعدي : قضية التعريب في الجزائر ، مرجع سابق ، ص,ص 84 ،85 .

2- عثمان سعدي : التعريب في الجزائر ، كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية ، مرجع سابق ، ص،ص 53 ، 54 .

3- الجيش : " التعريب مطلب شعبي وقومي " ، العدد 33 ، ديسمبر 1966 ، ص،ص 2 ، 3 .

...ولعلّ أكبر جريمة ارتُكبت في حق تعليم اللغة العربية في الجزائر هي الطريقة المرتجلة التي اتُّبعت لإعداد معلم اللغة العربية الجزائري ، فمنذ سنة 1962 فسح المسؤولون في وزارة التربية المجال واسعا لكل من يعرف القراءة والكتابة أن يكون معلما بعد دورة إعداد لم تتجاوز شهرا واحدا ، وبعد أن منحوه لقب ممرّن ،...فعندما يُهان في الجزائر حامل الشهادات الجامعية العربية فمعنى ذلك إهانة الجامعة التي تخرّج منها ، وبالتالي إهانة البلد العربي الذي درس فيه ، وهذا معناه الاستمرار في تطبيق السياسة التي كانت تتبعها الإدارة الفرنسية في الجزائر قبل الاستقلال .([1])

وبعد أن كان الشعب يسمع دعاة الثورة المسلحة يخاطبونه بالعربية ، صار يستمع إمّا عن طريق مباشر أو بواسطة أمواج الأثير إلى وزرائه وقادته وهم يخاطبونه بالفرنسية ، بل وذهب بعض المسؤولين أبعد من ذلك ، ففي سنة 1963 رُفع شعار " محو الأمية باللغة الفرنسية ".([2])

فالمتفرنسون الذين يسيّرون الإدارات الجزائرية يؤلّفون طبقة ممتازة بالجزائر سواء بالنسبة لطريقة تفكيرهم أو لطريقة معيشتهم ، وهذه الطبقة التي ستخوض المعركة من أجل البقاء بالجزائر أمام الحتمية التاريخية المسماة " التعريب" ،...وانتصار سياسة التعريب سيتحول في نظر هذه الطبقة إلى خطر يُهدّد وجودها وهذا يجعلها تحاربه بضراوة ، وتكافح من أجل الإبقاء على تبعية الجزائر لفرنسا في جميع مظاهر الحياة .([3])

...لقد تربّع لمدة أكثر من عشر سنوات عبد الرحمان كيوان أحد صناديد حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على عرش الوظيف العمومي الذي يُعتبر بمثابة غرفة العمليات للحرب الصليبية التي تُشنّ على اللغة العربية منذ ثلاثين سنة ، ووجد نفسه في خندق واحد مع أحد صناديد (بروميسون لاكوست) ، وهو ميسوم الصبّيح المدير الأسبق لمدرسة الإدارة الذي سُئل في يوم من الأيام : لماذا لم تدخل التعريب لمدرستك ؟ ، فأجاب سائله قائلا : المكان الوحيد الذي بقي طاهرا ويُريدون تنجيسه .([4])

1- مجلة الجيش : العدد السابق .

2- عثمان سعدي : قضية التعريب في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 8.

3- نفس المرجع ، ص 49 .

4- عثمان سعدي : التعريب في الجزائر ، كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية ، مرجع سابق ، ص 47.

لقد كانت هناك نيّة حسنة من بعض المسؤولين لتعريب المدرسة الجزائرية ، لذلك لجأت الدولة الجزائرية المستقلة إلى الاستعانة ببعض الدول العربية من أجل تزويدها بالمعلمين والأساتذة الذين سوف يقومون بهذه المهمة النبيلة .

لقد كان الرئيس السابق أحمد بن بلة يُؤمن بعروبة الجزائر ، لذلك قام باستدعاء آلاف الأساتذة العرب من مصر والعراق وسوريا للمساهمة في قطاع التعليم ، وهكذا اصطدم هؤلاء التربويون العرب بمجموعة كبيرة من العراقيل البيروقراطية والتي كان يضعها في طريقهم سماسرة الثقافة الفرانكفونية ، واختار العديد من هؤلاء المتعاونين العرب العودة إلى بلادهم ، وبذلك تمّ الإجهاز على مشروع التعريب الذي ما زال متعثرا إلى يومنا هذا .([1])

...لقد كانت مدارس الجزائر تحتضن مئات المعلمين والمعلّمات العرب الذين تحمّلوا مسؤولية تكوين الجيل الجزائري الجديد بجانب الجزائريين من خريجي المعاهد المعرّبة ، والذين كانوا يعملون خلال الفترة الاستعمارية في مدارس جزائرية أهلية يُموّلها المواطن في حدود إمكانياته الهزيلة ، ولا يحظون بالتالي بما كان يحظى به زملاؤهم في المدارس الفرنسية والفرانكفونيون من حقوق إدارية ورعاية اجتماعية وضمانات وظيفية خصوصا بعد التقاعد .

كان تعريب المدرسة الجزائرية كفاحا حقيقيا ، لأنّ العراقيل التي وضعتها الإدارة في وجه الوافدين من المشارقة ، كانت أحيانا عملية تخريب متعمدة ارتبطت بتزايد السخط الشعبي على شرائح منهم نتيجة لتصرفات البعض أو لسلوكهم ، والذي حدث هو أنّ الوافدين لم يحظوا في بلادهم بأي دورات تدريبية تُعطيهم فكرة عمّا ينتظرهم في بلد تخلّص لتوّه من استعمار استيطاني شرس ،...ولأن مصر هي مصر فإنّ الأضواء سُلّطت على المصريين ، وإلى درجة أنّ بعض المشارقة ممّن يفطرون رمضان كانوا يُقدّمون أنفسهم أحيانا كمصريين بعد أن عرفوا أنّ الشعب الجزائري لا يتصوّر وجود عرب مسيحيين ، لأنّه كان يرى المسيحية واجهة للاستعمار الفرنسي الذي جاء إلى البلاد في منتصف القرن 19 م .([2])

1- يحي أبو زكريا : الجزائر من أحمد بن بلة إلى عبد العزيز بوتفليقة ، مرجع سابق ، ص 12.

2- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص،ص 81 ، 82 .

لقد تعرّض المدرّسون العرب لشتّى أنواع الإهانة في الجزائر من طرف فئة معينة من المجتمع ، أو بالأحرى من المسؤولين الذين كانوا يقدّسون اللغة الفرنسية كإرث حضاري ، وهم الذين اصطلح على تسميتهم بالفرانكفونيين أو المثقفين ثقافة فرنسية ، والذين لم يدّخروا جهدا للقضاء على مشروع التعريب في مهده ، لذلك حاكوا العديد من المؤامرات وأشاعوا العديد من الشائعات من أجل الإساءة إلى هؤلاء المتعاونين العرب حتى يتخلّوا عن المهمة النبيلة التي جاؤوا من أجلها ، وهي المساهمة في تعريب المدرسة الجزائرية ، وسأحاول التطرق إلى بعض الإساءات التي كان يتحملها هؤلاء الأساتذة والمعلمين .

لقد قيل في إطار محاولة الإساءة لمصر ، أنّها كانت تُرسل إلى الجزائر المغضوب عليهم سياسيا ، وخصوصا ممّن ينتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين المحظورة ، وهو أمر غير صحيح بشكل مطلق ، فإرسال معلم مصري خارج القطر في إطار الإعارة كان يُعتبر مكافأة له لا عقوبة تسلّط عليه ، بالإضافة إلى أنّ المعلمين المصريين كانوا يخضعون في الجزائر وفي غير الجزائر إلى تأطير أمني تقوم به مصالح السفارة ، ولا يُسمح لأي منهم بالخروج عن الانضباط المطلوب ، والاستثناء حدث مع الشيخ متولي الشعراوي الذي أرسلته مصر إلى الجزائر في حين كان متعاطفا مع خصومها .([1])

لقد راجت شائعات مغرضة حول كفاءة المعلم العربي المنتدب من بلدان المشرق العربي تشكّك كلها في الكفاءة المهنية لهؤلاء المعلمين وتسمّم الجو بالنسبة لهم في الجزائر ، وأعداء التعريب كثيرون في الجزائر والموروثون عن الجهاز الإداري الفرنسي عملوا منذ استقلال البلاد على نشر هذه الشائعات المغرضة ، وتسميم الجو أمام هؤلاء المعلمين الأشقاء حتى يزهدوا في الحياة بالجزائر ، وبذلك يتمكن أعداء الجزائر العربية من وقف تطبيق خطة التعريب معتمدين على عدم توفر المعلم العربي ، لكنّ إخواننا المؤمنين بالرسالة القومية المقدسة التي يؤدّونها في الجزائر مصرّون على البقاء في الجزائر رغم هذا التسميم للجو أمامهم . ([2])

1- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص 83 .

2- الجيش : عثمان سعدي ،" التعريب مطلب شعبي وقومي " ، عدد سابق .

وقد استغل الفرانكفونيون والتغريبيون هذه الأخلاقيات العربية القومية والإسلامية لدى الجزائريين والعرب عموما لينشروا أكاذيبهم بين أجيال الاستقلال بأنّ الثورة الجزائرية لم تجد دعما من العرب ، وقد وصل بهم الأمر إلى الإساءة للمعلمين العرب والمشارقة الذين استدعتهم الجزائر المستقلة للتدريس في مدارسها ، فمن القول أنّ هؤلاء المعلمين كانوا ينهبون أموال الجزائر بالعملات الصعبة ، علما بأنّ اتفاقية كانت عُقدت بين الجزائر ودولتي مصر وسوريا بأن تقوم الدولتان بدفع راتب معلّميها الموفدين ، وقد ظلّ الأمر ساريا حتى عام 1967 بعد العدوان الإسرائيلي على الدول العربية ، إلى القول بأنّ هذه الدول كانت لا تبعث معلمين بل حذّائين ونجّارين يقومون بالتدريس ، وقد ثبت أنّ الدول العربية أرسلت إلى الجزائر خيرة مثقفيها وأساتذتها ومعلميها سواء للجامعة أو للمعاهد المختصة أو للثانويات ، ومن بين هؤلاء أصحاب شهرة عالمية في اختصاصاتهم سواء في العلوم الإنسانية أو التطبيقية .([1])

يقول سهيل الخالدي : " حدّثني المرحوم مولود قاسم عن طرائف مُبكية حدثت لبعضهم ، لكن ليس في اعتقادي أنّ هناك مأساوية أكثر من قضية يمكن أن يكتب فيها الدكتور محي الدين عميمور وزير الإعلام والثقافة السابق ، أولهما حادثة إلقاء الفيلسوف المصري الكبير عبد العزيز الأهواني من نافذة الفندق الذي كان يسكنه ، وهو يُعلّم في إحدى المدن الصحراوية ، وكانت الإشاعات تلاحق هؤلاء المعلمين وتطعن بكفاءتهم ، وقد اشتدّت هذه الإشاعات حين تولّى مصطفى الأشرف وزارة التربية فأجهز على المنظومة التربوية ".([2])

هؤلاء الأساتذة (المشارقة) كانت أسماؤهم : سبّاك ، حدّاد ...، والجزائريون كانوا يظنّون أنّ هذه مهنهم وليست أسماؤهم ، الجزائر استفادت من المئات من الأساتذة المشارقة ،" وأنا لا أنفي أن يكون هناك بعض المعلّمين ضعاف المستوى ، وهو حال حتى بعض المعلمين الفرنسيين ، لكن الذي أؤكده أنّنا نحن من كان يذهب لإحضار المعلمين بعد الإطلاع على ملفاتهم ولم يكونوا يُفرَضون علينا كما يظنّه البعض ، الشيء الآخر الذي لا يعرفه الجزائريون هو أنّ بعض المعلمين والأساتذة المشارقة عانوا في الجزائر ، فيبقوا لشهور وملفهم المالي لم يُؤشر وبالتالي يبقون بدون راتب ، هؤلاء المعلمين لم تكن لهم أي توجهات إيديولوجية ، وهؤلاء العرب لم يكونوا يمثلون أكثر من 10 % ".([3])

1- سهيل الخالدي : جيل قسما ، مرجع سابق ، ص.21

2- جريدة الجزائر نيوز : سهيل الخالدي ،" عن جيش التعريب الجزائري " ، 17 ديسمبر 2010 ، الجزائر .

3- - تلفزيون الشروق : لقاء خاص مع الدكتور علي بن محمد ، برنامج الحلقة المفقودة ، مصدر سابق .

كانت هناك بعض الأخطاء التي يرتكبها الإخوة المشارقة ، وكانت تمثّل ذريعة لأعداء مشروع التعريب في الجزائر ، ولكنّ شيئا غريبا كان يميز هذه الأخطاء ، فقد كان الخطأ الذي يُنسب للوافد العربي يُسمع في طول الجزائر وعرضها بنفس التفاصيل الدقيقة ، ولا معنى لهذا إلاّ أنّ هناك حملة منتظمة تتولى تسويق الأخبار ونشرها والترويج لها ، معتمدة على حقيقة يتقبلها المستمع ، ثمّ إضافة تفاصيل لا يملك السامع إنكارها لأنّها مرتبطة بنفس الحقيقة ، "...مثل بسيط سمعته عن حادثة محورها أنّ الشقيق العربي مغرم بالمساومة ، وليس هناك من ينكر هذا ، ولكنّ الرواية تقول أنّ المساومة حدثت على سعر طابع بريد ، وكانت نتيجة تحرّياتي أنّ مواطنا عربيا في مدينة جزائرية طلب من عامل بريد " معوج اللّكنة " طابعا لخطاب مرسل إلى بلد عربي ، وأعطاه العامل طابعا من فئة الدينار ، لكنّ الوافد قال له أنّ الجزائر عضو في اتحاد البريد العربي ، وقيمة الطابع البريدي بين الدول العربية ثلاثون سنتيما ، وثارت ثائرة أخينا البريدي وأخذته العزة بالإثم ، وعلا صوته وهو يُشهد الناس على وقاحة هؤلاء الشرقيين الذين يساومون حتى على طابع البريد ". ([1])

كان المعلمون العرب يتلقون مرتباتهم غالبا من دولهم الأصلية أو مناصفة مع الجزائر التي كان عليها أن تتكفل بالإيواء ، وهو ما يتم غالبا في ظروف تعسة بالنسبة للمعلمين العرب مقارنة بالمعلمين الفرنسيين نتيجة لمواقف بعض الإداريين الذين ورثتهم الجزائر عن المرحلة الاستعمارية والذين كانوا يجدون الدعم من مستويات قيادية مفصلية ، وحقيقي أنّ بعض المعلمين لم يكونوا من ناحية التكوين السياسي في مستوى المهمة ،... والذي حدث هو أنّ جوا معينا بدأ يحيط بكل المتعاونين العرب ، لابد من الاعتراف أنّهم كانوا بحكم نقص تكوينهم السياسي مسؤولين عنه إلى حد ما وهو ما يُحمّل مسؤولية خاصة لبعض مصالح السفارات والقنصليات التي لم تحسن مواجهة الموقف .([2])

إذن نستطيع القول أنّ مشروع التعريب في الجزائر قد شهد العديد من الصعوبات والعراقيل ، من طرف بعض عمال الإدارة الجزائرية ذوي الثقافة الفرانكفونية ، الذين نصبوا العداء للّغة العربية ولكل من يحاول إدراجها في المنظومة التربوية ، وهذا ما انعكس سلبا على إخواننا المتعاونين العرب الذين تعرضوا لمجموعة من العراقيل من أجل صدّهم عن مهمتهم النبيلة .

1- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص ،ص .84،85

2- محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى ، مرجع سابق ، ص 157 .

وقد صبر هؤلاء المعلمون والأساتذة الجامعيون الكبار على حياة " الإذلال " التي كانت تذيقهم إياها الإدارة المفرنسة ، حتّى مديري بعض المدارس المتفرنسين كانوا يزرعون الفتن بين المعلمين الشرقيين أنفسهم ، فهذا مصري وهذا سوري وذاك عراقي والآخر فلسطيني ، وبينهم وبين المعلمين الجزائريين الذين كانوا يتدرجون من درجة ممرن إلى معلم فمدرس بجهد هؤلاء المعلمين المشارقة ،...لقد كان كثير من المعلمين الشرقيين ينامون في الحمّامات ويصحّحون كراريس التلاميذ في المقاهي ، وكانت مقهى النهاية في ساحة بور سعيد ملتقى لهم في عطلة الأسبوع (الأحد) ، " وكنت في فترة الستينيات والسبعينيات أجلس معهم وأستمع إلى عذاباتهم ، كما كانت مقهى اللوتس بشارع ديدوش مراد ملتقى أساتذة الجامعة منهم في فترة السبعينيات ، لعلي أحفظ كثيرا من العذابات التي لقيها هؤلاء المعلمون والأساتذة الشرقيون الذين كان منهم أدباء وشعراء من النوع الرفيع وفلاسفة وعلماء النفس ، بل بعضهم احتلّ مراكز رفيعة كالدكتور الزرقاوي أصيل بمدينة سيق بالغرب الجزائري الذي صار وزيرا للتعليم العالي في سوريا ، والشاعر العراقي الكبير يوسف سعدي الذي قضى فترته في الجزائر معلما في سيدي بلعباس ، وأساطين المسرح في مصر ، سعد أردش ، كرم مطاوع، ألفرد فرج ..."([1])

إذن في الأخير سأحاول أن ألخص ما قلته أو أبيّن أهم المؤامرات والعراقيل التي وضعتها الإدارة المفرنسة في بلادنا التي خرجت لتوّها من الاستعمار ، والتي كانوا يرمون من خلالها إلى الإجهاز على مشروع التعريب.

لقد كانت أصابع ما يسمّيه بعض الجزائريين (اللوبي الفرانكفوني) أيضا تتحرك ، وكان لفرنسا التي خرجت مدحورة من الجزائر طابورها الخامس ،...وقد أجمع هذا اللوبي أمره على إفشال عملية التعريب أو على الأقل الحد من سرعة قطارها فلجأ إلى :

1- الكيد للمعلمين والأساتذة العرب وخلق العراقيل الإدارية وغيرها أمامهم حتى لا يستقر لهم قرار .([2])

2- تسويد سمعتهم في أوساط الطلبة وعامة النّاس بنسبة بعض الأقاويل المزيفة والمُنفّرة منهم وإشاعة النكت السلبية عنهم .

3- تكوين جمعيات عرقية تتدثّر بشعارات الشوفينية المحلية والتباهي بالأصالة .

1- جريدة الجزائر نيوز : سهيل الخالدي ،" عن جيش التعريب الجزائري "، مقال سابق .

2- أبو القاسم سعد الله : حصاد الخريف ، مرجع سابق ، ص223 .

4- استغلال انقلاب 1965 لصالح اللوبي المذكور وتوجيهه نحو الانطواء على الداخل ، وكبح آليات التعاون مع المشرق العربي .

5- الطعن في مسيرة التعريب بذكر سلبياتها على الجيل الجديد ، ومدح التجارب الفرنسية السابقة في تحديث التعليم وعقلنته .

6- ترويج الإدعاء بأنّ اللغة العربية عاجزة على ترجمة العلوم الحديثة إلى واقع تحتاجه البلاد ، لذلك لا بد في نظرهم من اللجوء إلى ما أسموه " غنيمة الحرب " ،أي الاعتماد على اللغة الفرنسية في تدريس العلوم .

7- عرقلة بعض الوزراء والمسؤولين المصمّمين على التعريب واتهامهم بالمساس بالمنظومة التربوية الناجحة (الفرنسية) ، إلى أن يستقيلوا أو يُقالوا .

8- الربط بين التعريب والأصولية التي نشرت في نظرهم "الإرهاب " ، والقول بأنّ التعريب هو حاضنة الحركة الإسلامية .([1])

إنّ العداء الذي كان ينصبه اللوبي الفرانكفوني لكل ما يُمتّ بصلة للّغة وللحضارة العربية لم يقتصر على العراقيل والصعوبات التي كانت تزرعها الإدارة الجزائرية المفرنسة في وجه الأساتذة والمعلمين العرب الوافدين من المشرق العربي ، بل تعدّاه إلى مظاهر أخرى والتي سبق الإشارة إليها .

1- أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص 224 .

من بين القضايا التي أثّرت على العلاقات بين الجزائر ومصر هي أنّ بعض المصريين الوافدين في إطار التعاون مع الجزائر كانت تصرفاتهم تثير الجزائريين ، حيث كانوا يتصوّرون أنّه لولا الدعم المصري للجزائر لما انتصرت الجزائر في ثورتها على الاستعمار الفرنسي ، وبعضهم كان يدّعي أنّه لولا الدعم المصري لما انطلقت الثورة الجزائرية أصلا ، وهو ما كان يثير الجزائريين .

يُشير الدكتور محي الدين عميمور إلى العديد من القضايا والأحداث التي كان يُراد منها الإيقاع بين البلدين الشقيقين الجزائر ومصر ، وخاصة في فترة الستينيات .

فخلال الزيارة الرسمية التي قام بها جمال عبد الناصر للجزائر في ماي 1963 وبعدها حدثت مجموعة من الأحداث أهمها :

أنّ وزير الخارجية الجزائري محمد خميستي ، والذي أطلق عليه مختل الرصاص قبل أيام من زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لفظ أنفاسه الأخيرة خلال الزيارة ، وعلى الفور انطلقت مقولات تتهم الزعيم المصري بأنّه كان وجه شؤم على الجزائر التي فقدت أول وزراء خارجيتها ،...ونُسب ظلما للرئيس المصري الذي لم يكن يُخفي منهجه الاشتراكي مقولة تدّعي بأنّه قال للرئيس الجزائري خلال حديث له عن الجزائر : " تكفينا وتكفيكم " ، ...وكان واضحا أنّ هناك من يُزكّي حملة العداوة ضد المشرق العربي وضد المصريين بوجه خاص .([1])

نظرا لأهمية الحدث الذي عرفته سنة 1964 والذي سبقت الإشارة إليه والمتمثّل في القضية التي سجّلت وجود إرادة قوية في تخريب التضامن الجزائري المصري ، والتي عُرفت بقضية " نجمة الإسكندرية " فإنّني أعيد إيرادها ، يقول محي الدين عميمور :"...وكان ممّا أثار اهتمامي أنّ الانفجار وقع يوم 23 جويلية الذي تحتفل فيه مصر بذكرى ثورتها ،...والاستنتاج الوحيد الذي وصلتُ له طبقا لما تمكنت الحصول عنه من معلومات ، أنّ احتمال المؤامرة يظل هو الاحتمال الأول ، خصوصا وأنّ نفس الأيام الثلاثة عرفت ثلاثة انفجارات غريبة بتزامنها أولها انفجار سُجّل في منطقة نادي الصنوبر بالعاصمة ، وثانيها انفجار حدث في مركز الصكوك البريدية المجاور لميناء العاصمة ، وثالثها وأهمها انفجار مخزن الذخيرة في منطقة سيدي فرج ".([2])

1- محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص،ص 64، 65 .

2- نفس المرجع ، ص ، ص 70 ،72 .

إذن حدوث هذا الانفجار في وقت متزامن مع كل تلك الانفجارات التي تدّعم المشاعر المعادية لمصر في الشارع الجزائري ، ممّا قد يمهد لأعمال عنف تُرتكب ضدّ الرعايا العرب وضدّ المصريين بوجه خاص ، وبالتالي إلى ردود فعل مصرية تضاعف السخط العام على المصريين ، والذي كانت بذوره تُزرع بشكل متواصل ،...وهكذا يقع البلدان في فخ الحلقة المفرغة التي تصنع العداء بين الشعوب. ([1])

" ولقد أرادوا بهذا الحادث الأخير ضرب القوة الحيّة في الثورة ، لأنّها الصخرة الصلبة التي تحطمت وتتحطم عليها جميع محاولاتهم الفاشلة ،...فضحايا الباخرة من أبناء الثورة الجزائرية ومن أبناء الثورة المصرية ، هم ضحايا غدر أعداء الثورتين اللّتين تسيران جنبا إلى جنب في طليعة الزحف العربي ، ولكنّ الحق أقوى من الغدر،والإيمان بنبل الأهداف أعظم من المؤامرات " ([2]).

كنّا قد تكلمنا في مبحث سابق عن الإنجازات المعمارية الضخمة التي قام بها بعض المهندسين والتقنيين المصريين ، ومن بين هذه التحف المعمارية مبنى قصر الأمم بمنطقة نادي الصنوبر غرب العاصمة ، ومسجد وجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ، وكذا فندق الأوراسي ، وتوسعة مبنى رئاسة الجمهورية وإقامة مبنى قصر الثقافة في الثمانينات .

والواقع أنّ بعض من ورثتهم الجزائر المستقلة من المعماريين الجزائريين الذين تمّ تكوينهم خلال مرحلة الاستعمار وفي مدارسه وقفوا بكل قواهم ضد مصطفى موسى ومجموعته وركزوا هجماتهم على أمرين : الأول التشكيك في إمكانية إقامة القبة الضخمة في مبنى قصر الأمم بدون أعمدة تحملها ، وكان الأمر الثاني التشكيك في إمكانية إقامة فندق الأوراسي على أرض منطقة قالوا أنّها تُعرف بانزلاق تربتها ، ولن تتحمل بالتالي هذا الفندق الضخم . لكنّ كل ادعاءاتهم فشلت ، وهاهي تلك المباني ما زالت شاهدة على براعة من أنجزوها . ([3])

1- محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى ،مرجع سابق ، ص 172 .

2- الجيش : " ماذا وراء حادث عنابة "،عدد سابق ، ص 8.

3- محي الدين عميمور : " أربعة أيام صححت تاريخ العرب "، مرجع سابق ، ص 78 .

والذي حدث هو أنّ المؤامرات تواصلت لنسف العلاقات بين البلدين الشقيقين ، خاصة عندما قام الرئيس بومدين بانقلابه المعروف ضدّ نظام الرئيس بن بلة ، فقد حاولت جهات مصرية الإيحاء بأنّ الانقلاب تمّ ضد التقارب الجزائري المصري ، وهو ما رحّبت به أوساط جزائرية معينة ، ولكنّه أثار ردود فعل سلبية على مستوى القيادة الجزائرية الجديدة .([1])

إذن هذه بعض المظاهر التي ميّزت العلاقات بين البلدين في بداية الستينيات والتي شهدت العديد من المؤامرات والعراقيل التي وُضعت في طريق التعاون بين البلدين الشقيقين ، من طرف فئات رجعية لا تؤمن بالحضارة العربية ، وإنّما هي فئات متأثرة بالثقافة الفرنسية ، ويحزّ في نفسها أن ترى التعاون بين مصر والجزائر ، لذلك حاولت بكل الوسائل ثني عزيمة البلدين في مدّ أواصر الأخوة بينهما والدفاع عن المقوّمات الحضارية التي تربط البلدين ، لكن هيهات هيهات ، فقد باءت كل محاولاتها بالفشل وبقيت العلاقات جيدة بين البلدين بالرغم من حدوث بعض المناوشات بينهما والتي لا تعدو أن تكون سوى سحب صيف سرعان ما تنقشع .

1- محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى ، مرجع سابق ، ص 172.

الخـاتمــة

الخـــــاتـــــمة

عانـــت الجزائـــر مـــن ويـــلات الاســـتعمار الاســـتيطاني الفرنســـي لمـــدة طويلـــة تجـــاوزت القـــرن مـــن الـــزمن ، وقـــد انعكـــس ذلـــك ســـلبا علـــى ظـــروف قيـــام الدولـــة الجزائرية ، وخاصة في الميدان السياسي والثقافي والاجتماعي .

ففـــي الميـــدان السياســـي كانـــت الجزائـــر تعـــيش فتـــرة انتقاليـــة ســـاخنة حيـــث كانـــت الجزائـــر تفتقـــر إلـــى إطـــارات وطنيـــة ونخـــب تقـــود الـــبلاد نتيجـــة سياســـة التجهيـــل ، بالإضـــافة إلـــى القيـــود التـــي فرضـــتها اتفاقيـــة إيفيـــان والتّـــي تـــنص علـــى بقـــاء القـــوات الفرنســـية بـــبعض القواعـــد العســـكرية ، بالإضـــافة إلـــى الصـــراع حـــول الســـلطة بـــين العســـكريين (هيئـــة الأركـــان) والسياســـيين (الحكومـــة المؤقتـــة) والتـــي انتهـــت بفـــوز جماعـــة تلمســـان أو الجـــيش ، بالإضـــافة إلـــى النشـــاط الإرهـــابي الـــذي كانـــت تمارســـه منظمـــة الجـــيش الســـرّي ، ومشـــاكل الحـــدود مـــع الجيـــران (المغـــرب الأقصـــى) وانـــدلاع حـــرب الرمـــال فـــي الفتـــرة مـــا بـــين 19 أكتـــوبر إلـــى 3 نوفمبر 1963 .

أمّـــا فـــي الجانـــب الاجتمـــاعي فكانـــت الجزائـــر تعـــيش نتـــائج كارثيـــة بســـبب سياســـة القمـــع التـــي كـــان يُمارســـها الاســـتعمار الفرنســـي فـــي حـــق الشـــعب الجزائـــري والتـــي خلفـــت حـــوالي مليـــون ونصـــف مليـــون شـــهيد ، مئـــات الآلاف مـــن اللاجئـــين واليتـــامى والمعتقلـــين ، آلاف الأرامـــل والمعطـــوبين ، انخفـــاض مســـتوى المعيشـــة ، الفقر ، الأمراض ، البطالة ، الهجرة ، قلة السكن ،...

أمّـــا فـــي الجانـــب الثقـــافي فيكفينـــا أن نقـــول أنّ نســـبة الأميّـــة تجـــاوزت 80 % ، وهذه النتائج تعكس حجم المأساة التي خلّفها الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

إنّ الجزائـــر لـــم تكـــن وحـــدها فـــي معركـــة التصـــدّي والصـــمود ضـــدّ الاســـتعمار الأوربـــي البغـــيض بـــل وجـــدت الـــدّعم والمســـاندة مـــن العديـــد مـــن الـــدول الشـــقيقة والصـــديقة والتـــي عانـــت هـــي الأخـــرى مـــن ويـــلات الاســـتعمار ، لـــذلك رأت أنّـــه مـــن واجبهـــا مســـاندة الشـــعوب المستضـــعفة فـــي قـــارتي إفريقيـــا وأســـيا ، وفـــي مقدمـــة هـــذه الـــدول مصـــر التـــي كانـــت ترفـــع شـــعار الـــدّفاع عـــن القوميـــة العربيـــة ، لـــذلك رمـــت بكـــل ثقلهـــا وراء حليفهـــا الاســـتراتيجي أحمـــد بـــن بلـــة خـــلال الثـــورة ، ومـــن خلالـــه قـــدّمت الـــدّعم المـــادي والسياســـي والمعنـــوي للثّـــورة الجزائريـــة وســـخّرت العديـــد مـــن وسائلها العسكرية والمادية في سبيل ذلك .

ومن الوسائل التي استعملتها نجد وسائل الإعلام بكل أنواعها والتي كان لها فضل كبير في التعريف بالقضية الجزائرية وكسر التعتيم الإعلامي الذي كانت تمارسه فرنسا ضد الثورة الجزائرية ، وفي مقدمة هذه الوسائل القناة الإذاعية المصرية " صوت العرب " التي بادرت إلى إعلان بيان أول نوفمبر عشية اندلاع الثورة التحريرية المسلحة ، كما كانت تبث ثلاث برامج أسبوعية باسم الثورة الجزائرية .

بالإضافة إلى وسائل الإعلام المكتوبة وفي مقدمتها جريدتا الجمهورية والأهرام اللتان كانتا تنقلان أخبار الثورة وانتصاراتها إلى الشعب المصري وجميع الشعوب العربية .

كان الدعم المصري للثورة الجزائرية دعما ماديا من خلال تزويد هذه الأخيرة بالأسلحة والذخيرة ، وقد كانت المساعدات في البداية تُنقل عن طريق البحر إلى غاية اكتشاف السفينة البحرية أتوس في 16 أكتوبر 1956 ، والتي كانت تحمل شحنة هامة من الأسلحة للثورة الجزائرية ، ممّا أدى إلى اشتراك فرنسا في العدوان الثلاثي على مصر رفقة بريطانيا وإسرائيل في 29 أكتوبر 1956 ، ليتحوّل فيما بعد طريق الإمداد بالأسلحة إلى البر عن طريق الحدود التونسية والليبية ، وقد تلقّت الجزائر العديد من شحنات الأسلحة والذخيرة .

ساهمت مصر كذلك في تدعيم القضية الجزائرية في العديد من المحافل الدولية كمساعدة الوفد الخارجي لجبهة التحرير المكون من حسين آيت أحمد ، محمد يزيد ، حسين لحول في الحضور إلى مؤتمر الدول الأفروأسيوية بباندونغ (أندونيسيا) في الفترة ما بين 18 – 24 أفريل 1955 وكذا تدعيمها في العديد من دورات الجمعية العامة للأمم المتحدة والجامعة العربية .

إنّ الدعم المصري للجزائر كان يتم من خلال شخص أحمد بن بلة الذي كان ضمن أعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير بالقاهرة وهو مكلف بالجانب العسكري ، وكانت تربطه علاقة طيبة بالرئيس المصري جمال عبد الناصر ومستشاره فتحي الديب ، لذلك كان ابن بلة يعتبر كممثل للثّورة وجبهة التحرير أمام قيادة الجمهورية المصرية .

يعتبر جمال عبد الناصر من أبرز الشخصيات المصرية المتحمسة لدعم الثورة الجزائرية ، حيث لم يدّخر جهدا في تقديم الدعم المادي والمعنوي لها ، ورمى بكل ثقله وراء أحمد بن بلة ودعمه خلال الثورة وبعدها .

إنّ الدّعم المصري لم يتوقف بانتهاء الثورة الجزائرية بل بقيت مصر على صلة وثيقة بالرئيس أحمد بن بلة وقدّمت للدولة الجزائرية الناشئة العديد من المعونات في جميع الميادين ، ففي الجانب العسكري على سبيل المثال دعمتها ببعض السفن الحربية والأسلحة ، كما وقفت إلى جانبها وأيّدتها في سياستها الخارجية خاصة خلال الأزمة التي حدثت مع المغرب الأقصى في ما يُسمّى بحرب الرمال ، حيث قام جمال عبد الناصر بتدعيم أحمد بن بلة عسكريا وأرسل إليه بسرب من الطائرات الحربية وكتيبة من الجنود ، لكنّ الجزائر لم تستعملها في حربها ضد المغرب الأقصى لأنّها وصلت متأخرة من جهة ولأنّ الجزائر لم تكن تريد تصعيد العلاقات أكثر مع الجارة المغرب من جهة أخرى .

وفي إطار تبادل الزيارات بين زعماء البلدين ، قام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارته التاريخية إلى الجزائر بتاريخ 4 ماي 1963 ومكث في الجزائر مدّة أسبوع ، قام خلالها بعدة جولات مع الرئيس أحمد بن بلة إلى العديد من المرافق والأماكن مثل زيارته لميدان " بريسون " بالعاصمة الذي أطلق عليه اسم " بور سعيد " المدينة المصرية التي تعرضت للعدوان الثلاثي سنة 1956 ، كما زار الرئيسان المقر السابق لماسحي الأحذية في " دار الأمل " بسيدي فرج ، وكذا مقر " بنات الشهداء " ، وشارك في تشييع جنازة وزير الخارجية محمد خميستي في اليوم الثاني من زيارة الرئيس المصري .

أمّا في الجانب الاقتصادي فقد وقف جمال عبد الناصر إلى جانب أحمد بن بلة في إطار التعاون لإنجاح النظام الاشتراكي ، وقامت مصر بدعم الجزائر ماديا وتقنيا وذلك بإنجاز بعض المعالم العمرانية التي مازالت شاهدة على عبقرية مصمميها ، أمّا في الجانب الثقافي فقد أرسلت مصر بخيرة معلميها وأساتذتها لتدعيم مشروع التعريب الذي أقرّته الجزائر بعد الاستقلال ، كما فتحت معاهدها وجامعاتها لتكوين الطلبة الجزائريين الذين سوف يحملون فيما بعد عبء تعريب المدرسة والإدارة الجزائرية .

أصبح الرئيسان جمال عبد الناصر و أحمد بن بلة أحد الزعماء البارزين في رفع شعار الدفاع عن القومية العربية وكذا الدفاع عن حركات التحرر وجميع القضايا العادلة في العالم وفي مقدمتها القضية الفلسطينية ، حيث وقفت كل من الجزائر ومصر إلى جانب فلسطين في حروبها ضد الكيان الصهيوني ودعمتها ماديا ومعنويا ، وأصبحت الجزائر ومصر من الأعضاء البارزين في كل من جامعة الدول العربية وحركة عدم الانحياز وكذا منظمة الوحدة الإفريقية .

بقي جمال عبد الناصر وفيا لصديقه أحمد بن بلة حتّى بعد عزله من طرف الرئيس هواري بومدين بتاريخ 19 جوان 1965 فيما اصطلح عليه باسم التصحيح الثوري ،حيث قام بالعديد من المحاولات من أجل إطلاق سراح أحمد بن بلة ، لكنّ محاولاته باءت بالفشل .

إنّ هذا التعاون بين البلدين الشقيقين لم يرُق للعديد من الفئات سواء في الداخل أو الخارج وخاصة من طرف عرّابي الثقافة الفرنسية في الجزائر ، أو ما اصطلح على تسميتهم بالفرانكفونيين الذين لم يدّخروا جهدا في الإساءة لهذا التعاون ، بداية ببث الشائعات والترّهات التي تُسيء إلى المعلم والأستاذ المشرقي (المصري) ، فقد ادّعوا بأنّ مصر كانت ترسل إلينا المغضوب عليهم من مجتمعها ولم يكونوا أساتذة بل حذّائين وسبّاكين ونجّارين ...، وكانت مستوياتهم ضعيفة ممّا يؤثر سلبا على مستوى التكوين في مدارسنا .

كما حاولوا تدمير العلاقات بين البلدين وذلك بتدبير العديد من المناورات التي كانت تهدف إلى الإيقاع بين البلدين ، ومن بين هذه المناورات على سبيل المثال تدمير السفينة التي أرسلتها مصر إلى الجزائر وهي (نجمة الإسكندرية) في 23 جويلية 1964 ، وقد صادف الاحتفال بعيد الثورة المصرية ، وكان الهدف من هذا التفجير هو نسف العلاقات بين البلدين .

كذلك في إطار الإساءة لكل ما هو مصري نجد القدح في الإنجازات المعمارية التي قامت بها مصر في الجزائر على يد أشهر مهندسيها وتقنييها (المهندس مصطفى موسى) ، فقد شكّكوا في إمكانية صمود هذه المنشآت المعمارية ، لكنّها مازالت صامدة لحد الساعة شاهدة على براعة من أنجزوها مثل فندق الأوراسي ، جامعة الأمير عبد القادر ، قصر الأمم ...

إذن هذا ما تمّ جمعه وتيسّر إيراده ، فأرجوا أن أكون قد وُفّقت في الإحاطة ولو بقدر يسير بالموضوع ، والله يشهد على أنّي لم أدّخر جهدا في التطرق لهذا الموضوع ، فأرجوا أن يكون خالصا لوجهه وأن ينفع به كل من يتصفحه ، كما أتمنّى أن أكون قد وُفّقت في رد القليل من الجميل الذي هو في ذمتنا لصالح مصر التي قدّمت لنا يد العون عندما كنّا في أمس الحاجة إليها .

الملاحق

الملحق 01: صورة للرئيس أحمد بن بلة .

المصدر : نور الدين حاروش : رؤساء الجزائر ، ص 129 .

الملحق02: زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للجزائر 4 ماي 1963

الملحق02: زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للجزائر 4 ماي 1963

المصدر : نشر الكتروني عن موقع ميدل ايست أونلاين .

ملحق03 : العلاقات الجزائرية المصرية (زيارة جمال عبد الناصر للجزائر)

توثيق العلاقات المصرية الجزائرية

المصدر : نشر إلكتروني عن موقع ميدل ايست أونلاين .

ملحق03 : **العلاقات الجزائرية المصرية (زيارة جمال عبد الناصر للجزائر)**

المصدر : نشر إلكتروني عن موقع ميدل ايست أونلاين .

الملحق 4 : اجتماع تحضيري لنقل أسلحة من مصر إلى الجزائر

اجتماع تحضيري لنقل أسلحة من مصر إلى الثوار في الجزائر، في الصورة بن مهيدي (الصف الأول على اليمين) - آيت أحمد (الصف الأول على اليسار) - **بن بلة** (خلف آيت أحمد)- فتحي الديب (الصف الأول إلى جانب آيت أحمد) - بوضياف (خلف بن مهيدي)

المصدر : ويكبيديا ، الموسوعة الحرة .

الملحق 05 : كلمة جمال عبد الناصر بملعب البلدية بالجزائر في 4 ماي 1963

أيها الإخوة المواطنون.. أيها الأخوات:

الحمد لله الذي أعطانا هذه الفرصة لنرى الأماني وقد تحققت، الحمد لله فقد كنّا نحلم أن نرى الجزائر العربية، وقد رأينا اليوم الجزائر العربية، وشعب الجزائر الثائر. الحمد لله.. الحمد لله أيها الإخوة.

أيها الإخوة:

حينما التقيت بكم اليوم وكنت في شوق إلى أن أرى شعب الجزائر الثائر البطل، حينما التقيت بكم في ظهر اليوم كنت أشكر الله من كل قلبي الذي مكّنني من أن أعيش هذا اليوم، كنت أشكر الله من كل قلبي، وحينما التقيت بكم - أيها الإخوة - بعد خروجي من الميناء، وأنا أحمل لكم مشاعر إخوة لكم في المشرق العربي.. في مصر وفى سوريا وفى العراق وفى كل بلد من بلدان المشرق العربي، رأيت نفسي بينكم وكأنّي في مصر أو كأنّي فى سوريا.

حينما سمعت إلى هتافكم - في ميدان بورسعيد - سمعت الهتاف : فلسطين.. فلسطين ، في ميدان بورسعيد سمعت الهتاف للقومية العربية، في ميدان بورسعيد وعلى طول الطريق سمعت الهتاف للوحدة، وكنت أقول لأخي أحمد بن بيلا إنّني حينما أرى هذا الشعب الثائر أشعر أنّني بين أهل بلدي.. بين أبناء العروبة، أشعر أنّ الهتاف الذي أسمعه اليوم في هذا المكان هو الهتاف الذي سمعته أمس في مصر وفى سوريا وفى العراق.

أيها الإخوة المواطنون:

إنّ العرب أمة واحدة، هذه هي الوحدة العربية الحقيقية.

الملحق 05 : كلمة جمال عبد الناصر بملعب البلدية بالجزائر في 4 ماي 1963

أيها الإخوة المواطنون:

إنّ الوحدة خلقتها الشعوب منذ أول يوم، وجمال عبد الناصر لم يعمل أي شيء لشعب الجزائر، ولكنّ الشعب العربي الذي آمن بوحدته والذي آمن بحريته، الشعب العربي في مصر الذي كان يكافح من أجل أن يتخلص من الاحتلال البريطاني كان يشعر بوحدته مع الشعب الثائر الجزائري الذي يريد أن يتخلص من الاستعمار الفرنسي ويحصل على حريته. كان هذا هو ما جمع بيننا، كان هذا هو ما وحدنا على مر الأيام وعلى مر السنين، وحّدتنا - أيها الإخوة - وحّدتنا المعارك الطويلة، وحّدتنا المشاعر المتشابكة، وحّدتنا الدماء التي ارتبطت على مر السنين وعلى مر القرون، وحدتنا هذه الأمة العربية التي كافحت طويلاً من أجل أن تبقى حرة عربية، والتي بذلت الشهداء وبذلت الدماء، منذ عشرات السنين ومنذ مئات السنين لم تنس أبداً حريتها ولم ينس الشعب في مصر أبداً أنّ الجزائر لابد أن تكون عربية، وأن شعب الجزائر الثائر لابد أن ينتصر.

أيها الإخوة المواطنون:

هذه هي الوحدة لقد وحدتنا الشعوب، لقد وحدت الشعوب هذه الأمة العربية كلّها، ولم تفرقنا - أيها الإخوة المواطنون.. أيها الإخوة الأعزاء - لم تفرقنا إلّا دسائس الاستعمار، وإلّا الأطماع، وإلّا الحرب الطبقية التي سُلطت علينا، وإلّا الاستغلال. نحن أمة واحدة، وكنّا دائماً أمة واحدة، يشعر منكم هنا في الجزائر بما يحدث للفرد في مصر أو في سوريا أو في العراق أو في اليمن. وأنا على ثقة - أيها الإخوة الأعزاء - أنكم هنا كنتم تشعرون بالحرب في اليمن كما يشعر بها الشعب اليمني الثائر، وكما يشعر بها الجيش المصري الذي حارب في اليمن، أشعر بهذا - أيها الإخوة - لأني في مصر وفي سوريا كنت أشعر بمشاعر الشعب المصري والشعب السوري والشعب العربي في المشرق تجاه الجزائر وتجاه ثورة الجزائر.

لقد رأى ذلك أخي أحمد بن بيلا بنفسه، رأى ذلك كلما زار المشرق العربي، إنّ المشرق العربي الذي آمن بوحدة الأمة العربية قبل أن تكون هذه الوحدة دستورية، إنّ المشرق العربي الذي آمن بالوحدة العربية، وأنّ أمة العرب واحدة وأنّ كفاح العرب واحد، كان يشعر دائماً أن لابد لشعب الجزائر أن ينتصر.

الملحق 05 : كلمة جمال عبد الناصر بملعب البلدية بالجزائر في 4 ماي 1963

وحينما التقيت في عام 1954 بالأخ أحمد بن بيلا حينما أعلن الثورة وكان في القاهرة، شعرت - أيها الإخوة - وهو يتكلم أنّه يتكلم عن آمال شعب.. عن آمال شعب الجزائر، شعرت - أيها الإخوة - وهو يتكلم أنّه يتكلم بثورة مثل ثورة شعب الجزائر، شعرت منه - أيها الإخوة - بإيمان بانتصار شعب الجزائر، حينما التقيت بالأخ أحمد بن بيلا سنة 1954، كنت على ثقة أنّ الجزائر لابد أن تنتصر - بعون الله - مادام فيها مثل أحمد بن بيلا، مادام فيها هؤلاء الثوار، وقال أحمد بن بيلا - أيها الإخوة - في هذه الأيام أنّ الشعب لابد أن ينتصر، وأنّ الثورة لابد أن تمتد.

أيها الإخوة:

وأنا بينكم اليوم بعد أن ثرتم، وبذلتم، ودفعتم، بذلتم الدماء، وبذلتم الأرواح، وأنا بينكم اليوم هنا في أرض الجزائر.. أرض الأحرار.. أرض الثوار.. أرض المليون شهيد أحمد الله من كل قلبي.. أحمد الله الذي أعانكم على الصبر أكثر من سبع سنوات في الثورة وفى القتال حتى تحقق النصر، أحمد الله الذي مكّن كفاحكم أن ينتصر، وأن تلتقي ثورتكم - هنا المنتصرة في الجزائر - بثورة الشعب العربي في مصر، وبثورة الشعب العربي في العراق، وبثورة الشعب العربي في سوريا وبثورة الشعب العربي في اليمن، وبثورة الشعب العربي في كل بلد عربي؛ من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال ومن أجل الوحدة العربية.

أيها الإخوة المواطنون:

كنت أتمنى أن أرى الجزائر عربية، كنت أتمنى منذ قامت الثورة سنة 52 أن أرى الإنجليز وقد خرجوا من مصر، وأن أرى الجزائر وقد استقلت وأصبحت عربية، وأن أرى الأمة العربية وقد توحدت وأصبحت أمة كبرى وأصبحت دولة عظمى تعيد الأمجاد القديمة؛ الأمجاد المبنية على الحرية، وعلى العدالة، وعلى المساواة، وعلى العمل من أجل الإنسان ومن أجل حرية الإنسان.

وأنا اليوم - أيها الإخوة المواطنون - بينكم ومعي أخي أحمد بن بيلا الذي التقيت به في سنة 54 وكله أمل في الحرية وفى الاستقلال.

أنا اليوم وأنا بينكم أحمد الله الذي أعطانا هذا النصر الكبير.. أحمد الله الذي أعطى هذا الشعب الثائر قوة الإيمان ليدفع الثمن الغالي؛ المليون شهيد.. المليون بطل، الجزائر أرض الثوار يفخر بكم - أيها الإخوة - العرب في كل مكان ، فالجزائر أرض الثوار.. الجزائر بلد الأبطال.. الجزائر بلد الشعب الذي ثابر وجاهد وكافح وصمم على أن يرفع علم الحرية.

الملحق 05 : كلمة جمال عبد الناصر بملعب البلدية بالجزائر في 4 ماي 1963

وأنا اليوم بينكم وأرى علمكم.. علم الجزائر الحبيب - الذي مسكتموه بأيديكم وعرقكم ودمائكم وبأرواح شهدائكم - وقد ارتفع عالياً ليعلن للعالم أجمع أنّ شعب الجزائر قد استقل، وأنّ شعب الجزائر قد تحرر، وأنّ شعب الجزائر قد أعلن اليوم بحرية عن طبيعته.. عن انفعاله.. عن أحاسيسه.. أعلن عن إيمانه بالقومية العربية والوحدة العربية، وأعلن عن إيمانه بالحرية العربية.

إنني - أيها الإخوة - إنني اليوم شعرت بقوة كبرى وأنا أسير بينكم من الميناء إلى قصر الشعب؛ لأنني فعلاً أحسست بقوة هذا الشعب البطل المكافح المناضل، أحسست بمشاعر هذا الشعب الذي تحرر وأصبح تحرره زيادة لقوة الأمة العربية.

اليوم - أيها الإخوة المواطنون - وأنا كنت أمر بينكم كنت أحس بالمعارك التي دخلها إخوتكم، والمعارك التي خضتموها هنا بالمدفع والبندقية وبكل شيء من أجل الحرية، وأحمد الله أنّ الحرية رفرفت علينا في المشرق، وأنّ الحرية رفرفت أعلامها هنا في المغرب، وأنّ أمة العرب تسير رافعة أعلام الحرية، وهى تعمل بعد أن دفعت الدماء، وبعد أن دفعت الأرواح، وبعد أن ضحت وناضلت لترفع راية الكرامة الإنسانية.

إنّنا هنا اليوم معكم - أيها الإخوة.. أيها المناضلون.. أيها الثوار - وقد انتهت ثورتكم المسلحة من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال، وبدأت ثورتكم الكبرى من أجل الاشتراكية ومن أجل العدالة الاجتماعية. إنّنا معكم - أيها الإخوة - سرنا في هذه المعركة، إخوتكم في مصر تخلصوا من الاستعمار.. وتخلصوا من الاحتلال، ثم جابهوا العدوان الثلاثي، وجابهوا عدوان إسرائيل، وقاتلوا وصبروا وانتصروا، وكان كل فرد منهم يعرف أنّه إنّما يدافع عن أرض مصر وفى نفس الوقت يدافع عن أمة العرب كلها. ثم بعد هذا بدأنا في رفع راية العدالة الاجتماعية لنتخلص من السيطرة التي قاسينا منها في الماضي.. سيطرة الطبقة المستغلة، تخلصنا من الإقطاع، وتخلصنا من سيطرة رأس المال المستغل، ورفعنا راية العدالة الاجتماعية؛ لأنّنا كنا نعرف أنّ الحرية جناحاها هما الديمقراطية والاشتراكية، والاشتراكية - أيها الإخوة - هي الديمقراطية الاجتماعية.

واليوم - ونحن معكم هنا - نرى أنكم تبنون بلدكم بالعرق وبالكفاح كما حصلتم على حريتكم بالدم وبالأرواح، ونقول لكم إنّنا نساندكم دائماً كما ساندناكم في الماضي، ونعرف أنّ هذه المساندة هي قوة لنا لأنّ شعب الجزائر الثائر.. شعب الجزائر الحر حينما يساند الأمة العربية إنّما يكون قوة للأمة العربية كلها فى كل جزء من أرجائها.

الملحق 05 : كلمة جمال عبد الناصر بملعب البلدية بالجزائر في 4 ماي 1963

أيها الإخوة المواطنون:

إنّ الأحاسيس التي شعرت بها اليوم وأنا ألقاكم.. إنّ الانفعال الذي شعرت به اليوم وأنا بينكم لا يمكن لإنسان أن يتخيله؛ لأنّ هذا اليوم - في الحقيقة - كان يظهر لنا في الماضي أنّه حلم ولكن الله كبير.. الله الذي نصركم.

كنّا نشعر أنّ ما رأيناه اليوم كنّا نحلم به منذ سنوات، ولكنّه أصبح حقيقة، الحمد لله الذي مكننا من أن نرى هذه الأيام، الحمد لله الذي أعطانا هذه الفرصة لنرى الجزائر العربية.. الجزائر المستقلة، وأنا أشعر اليوم بفرحة أخي أحمد بن بيلا وإخوانه الذين جاهدوا وقاتلوا معه.. أشعر أنّه في سنة 54 أيضاً كان يحلم بهذه الأيام، فقد قال لنا اليوم أنّه كان يحلم بهذه الأيام.

إننا نحمد الله.. نحمد الله الذي أعطى هذا الشعب القوة والقدرة على الكفاح، والذي أعطى هذا الشعب هذا القائد المناضل المكافح الذي قاده من أجل النصر ومن أجل الحرية، فقد قال أحمد بن بيلا في سنة 54 أنّه لا بد أن ننتصر أو نستشهد من أجل الحرية، ومن أجل الاستقلال. الحمد لله الذي نصر أحمد بن بيلا ونصر شعب الجزائر الحر المكافح.

اسمحوا لي - أيها الإخوة - اسمحوا لي أن أنقل إليكم تحية كل فرد من أبناء الجمهورية العربية المتحدة، وكما قلت لكم كانوا جميعاً يعيشون معكم ثورتكم وكفاحكم، وقد فرحوا جميعاً بانتصاركم، واسمحوا لي أن أقول للأخ أحمد بن بيلا إنّنا من كل قلوبنا نرجو من الله أن ينصرك وينصر شعب الجزائر في مرحلة البناء والاشتراكية، كما نصرك ونصر شعب الجزائر في مرحلة الحرية والاستقلال.

إننا - أيها الإخوة - في هذه المرحلة نسير جنباً إلى جنب في كل مكان من أرجاء العالم العربي؛ من أجل البناء، من أجل الاشتراكية، من أجل العدالة الاجتماعية، من أجل أن ترتفع أعلام الحرية، وأعلام الاستقلال، من أجل أن نبني الأمة العربية القوية الموحدة، التي يشعر كل فرد فيها بالعزة والحرية والكرامة والمساواة، إننا نسير من أجل تحقيق الشعارات التي سمعتها اليوم وأنا أسير بينكم: القومية العربية، تحرير فلسطين.. ، الوحدة العربية، بناء الدولة العربية الموحدة الكبرى.

وهذا سيكون بعون الله وبفضل كفاحكم ونضالكم، ونضال الشعب العربي في كل مكان من أرجاء الوطن العربي. والله الموفق.
والسلام عليكم ورحمة الله.

المصدر : نشر إلكتروني عن موقع ميدل ايست أونلاين .

الملحق06: حمولة السفينة آتوس من الأسلحة والذخيرة

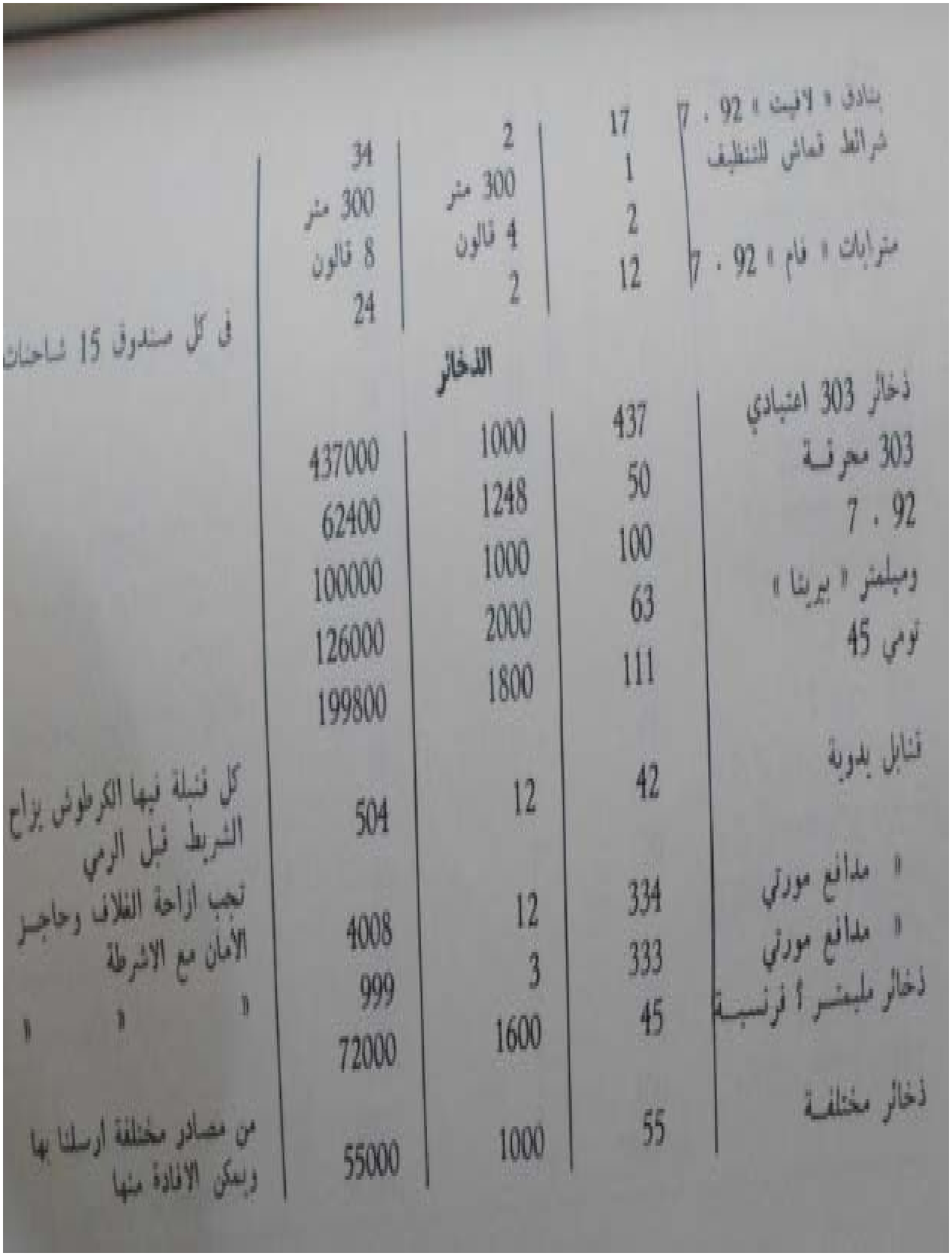

بنادق « لابيت » 92 . 7	17	2	34	
شرائط قماش للتنظيف	1	300 متر	300 متر	
	2	4 قالون	8 قالون	
مترايات « فام » 92 . 7	12	2	24	
				في كل صندوق 15 شاحنة
		الذخائر		
ذخائر 303 اعتيادي	437	1000	437000	
303 محرقة	50	1248	62400	
92 . 7	100	1000	100000	
ومبلمتر « بريتا »	63	2000	126000	
تومي 45	111	1800	199800	
قنابل يدوية	42	12	504	كل قنبلة فيها الكرطوش يزاح الشريط قبل الرمي
« مدافع مورتي	334	12	4008	تجب ازاحة الغلاف وحاجز الأمان مع الاشرطة
« مدافع مورتي	333	3	999	« « «
ذخائر مليمتر 7 فرنسية	45	1600	72000	
ذخائر مختلفة	55	1000	55000	من مصادر مختلفة ارسلنا بها ويمكن الافادة منها

المصدر : أحمد توفيق المدني ، كتاب حياة كفاح ، ص223.

الملحق06: حمولة السفينة آتوس من الأسلحة والذخيرة

الاسلحة والذخائر التي حملتها السفينة « آتوس »

	الصناديق	العدد	المجموع	ملاحظات مع الارسال
بنادق « امفيلد » بالحراب	400	5	2000	ذخائرها ترسل فيما بعد
« مختلفة الانواع	38	5	190	
مترايات 9 مليمتر	50	5	250	في كل صندوق 15 شاحنة
بنادق مترايات «ايران 303»		1	50	« « قطع غيار
حاملات المترايات « ايران »	50	1	50	وادوات تنظيف
شاحنات لمترايات « ايران »	100	12	1200	
بنادق هاون 2	48	2 – 17 + 31	65	
« « 3	24	1	24	
رافعات مترايات هاون 3	24	1	24	في كل صندوق ما يلزمه من
مسدسات مختلفة الانواع	29	1	29	ادواته
« نيكلاز » 303	6	1	6	في كل صندوق ما يلزمه من
رافعات لها	6	1	6	قطع غيار وتنظيف
	1	35	35	
بنادق 92 – 7	4	5	20	
حبال « اكويبون »	2	750	1500	في كل صندوق ما يلزمة ؟
بيرات الاستيك	2	750	1500	
شاحنات « لويس »	4	32	128	
قطع غيار وادوات التنظيف	1	2	2	

المصدر : أحمد توفيق المدني ، كتاب حياة كفاح ، ص 224 .

الملحق 07: بعض الأسلحة المصرية المُرسلة للثورة الجزائرية .

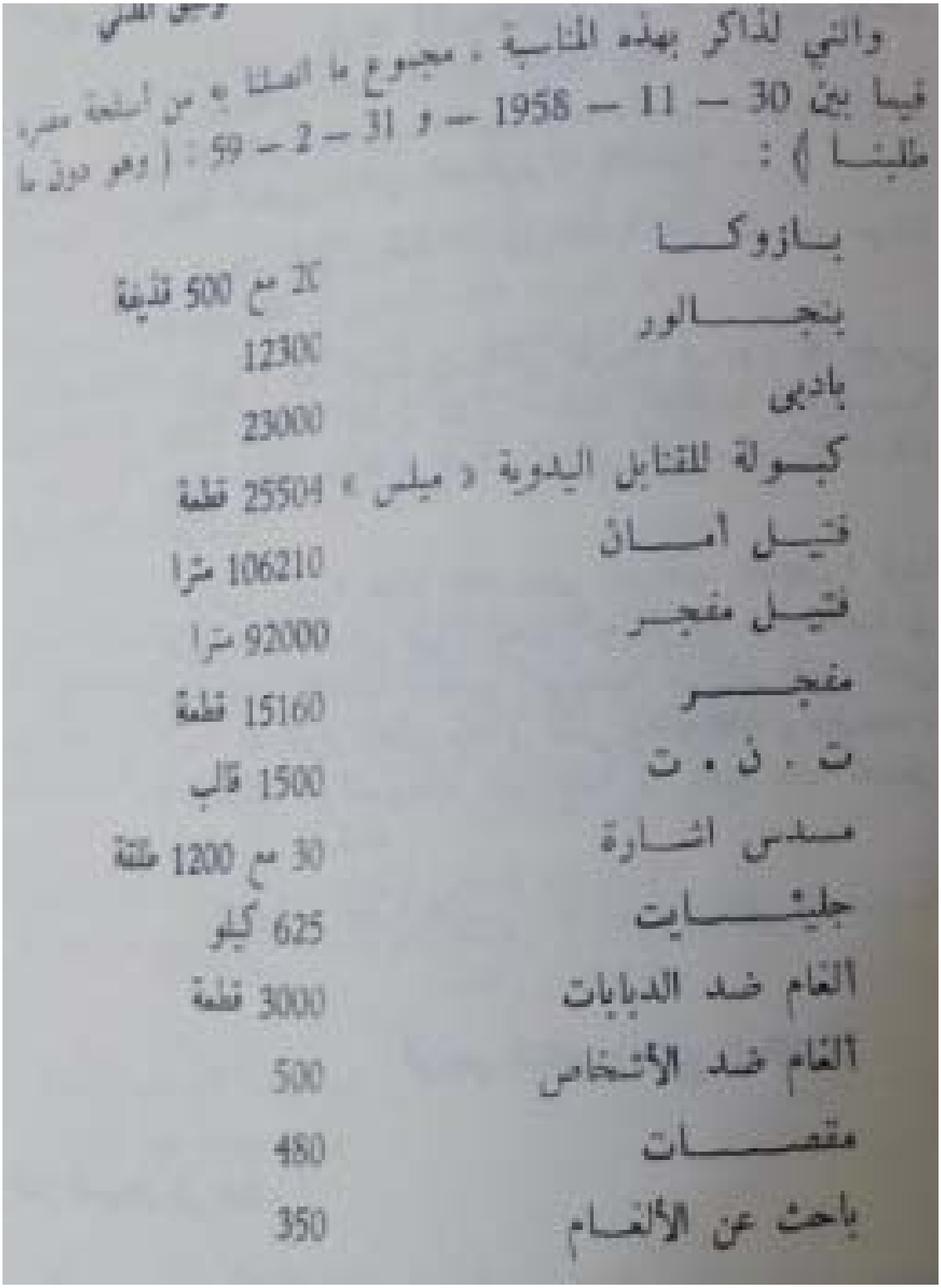

والتي لذاكر بهذه المناسبة ، مجموع ما أرسلته من أسلحة مصرية
فيما بين 30 – 11 – 1958 – و 31 – 2 – 59 : (وهو دون ما
طلبنا) :

بازوكا	20 مع 500 قذيفة
بنجالور	12300
بادبي	23000
كبسولة للقنابل اليدوية « ميلس »	25504 قطعة
قنبل أمان	106210 مترا
قنبل مفجر	92000 مترا
مفجر	15160 قطعة
ت . ن . ت	1500 قالب
مدفع إشارة	30 مع 1200 طلقة
جلينايت	625 كيلو
ألغام ضد الدبابات	3000 قطعة
ألغام ضد الأشخاص	500
مقصات	480
باحث عن الألغام	350

المصدر: أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، ص 379 .

ملحق 08 : الدفعة الأولى من الأسلحة والذخيرة المصرية المقدمة للجزائر

المصدر : فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ، ص 680 .

ملحق 09: الدفعة الثانية من الأسلحة والذخيرة المصرية المقدمة للجزائر .

كشف الاسلحة والذخيرة والمعدات المرسلة للجزائر يوم ٥/ ٧/ ١٩٦٢

مسلسل	الصنف	عدد الصناديق	وزن الصندوق	الاجمالي	العلامة المميزة	محتويات كل صندوق من الكرتونات
١	هاون ٨٢مم	٢٥	١	٢٥	٢٢-٤٠٠٣ / ٩	
٢	كرستا تظلهاون	٤	—	—	٢٢-٤٠٠٣ / ٢	٣صندوق بها حوامل للهاون صندوق بها كرستات احتياط
٣	بندقية ٧,٩٢	١٤٩	١٠	١٤٩٠	٢٢-٤٠٠٣ / ٥	حمال تخفيف مكونات لواقم جسله
٤	كرستا تظلبندقية	١	—	—	٢٢-٤٠٠٣ / ٦-١١	صندوق (زنكو) به حراب ن و ١ اصندوق صاج كرستات ع بايات خزن
٥	رشاش صبور ٩مم	٣٨	٢٠	٧٤٠	٢٢-٤٠٠٣ / ٣	٢٠٠ فاش جلته ٥ ٨٠٠ خزنة
٦	رشاش متوسط MG 42	٢٥	٥	١٢٥	٢٢-٤٠٠٣ / ١	٢ بارجلته ٥ حمال تنظيف ١٢ علبة صاج بها اجزاء احتياطيه ومجموعة ضرب لنار ٥ مواسير احتياط ٢٥ لنطقة بل
٧	رشاش لاغابيت ٧,٦٢	٣٠	٥	١٥٠	٢٢-٤٠٠٣ / ٦	١١ علبة بها اسرطة تعمير ٣ لنطقابل بها اجزاء احتياطي ٥ مواسير احتياط
٨	كرستا تظلرشاش اللاغابيت	٢	—	—	٢٢-٤٠٠٣ / ٦-١١	صندوق (فارغ) بكل صندوق ٣ صندوق بها صاج بكل منها ٦ مواسير احتياطية كرستات للرشاش)
٩	كرستا تظلرشاش المتوسط	٢	—	—	٢٢-٤٠٠٣ / ١-١١	بكل صندوق ٣ صندوق بها صاج بكل منها ٢ مواسير الكرستاج
١٠	كرستا تظلرشاش الصبور ٩مم	٢	—	—	٢٢-٤٠٠٣ / ٣-٥	محافظ جلته لخزن الرشاشا
١١	قنبلة للهاون	١٨٣٤	٣	٥٥٠٢	٦٩٨٠	
١٢	طاية للهاون	٨٥	٦٤	٥٤٣٢	صندوق ابيض	الصندوق الـ٨٥ به ٥٦ طاية للقنابل
١٣	ذخيرة ٩مم	٢٠٠	٢٨٨٠	٥٧٦,٠٠٠	١٧٣٧	
١٤	ذخيرة ٧,٦٢مم	٨٥٠	٩٠٠	٧٦٥,٠٠٠	١١١١٢	
١٥	قنابل يدوية	٤٣١	٢٥	٥٣٧٥	١٢٠٠	

الصفة الشكلية

اقسم ان تسلمت الاصناف المبينة عاليه من الحكومة المصرية لصالح حركة التحرير الجزائرية

احمد سليم

المصدر : فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ، ص 681 .

ملحق 10 : الدفعة الرابعة من الأسلحة والذخيرة المصرية المقدمة للجزائر .

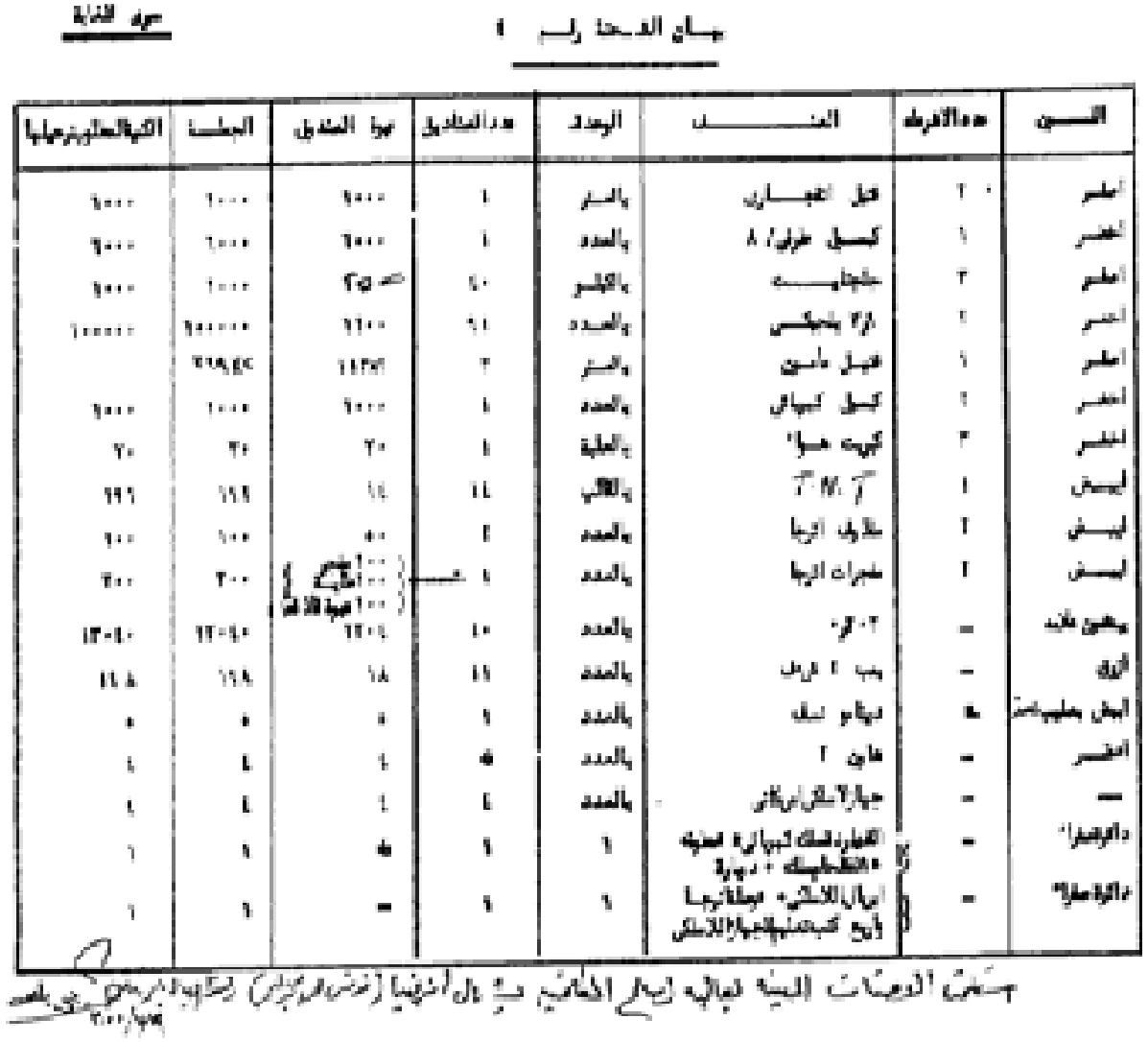

المصدر : فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ، ص 656 .

ملحق 11 : الدفعة الخامسة من الأسلحة والذخيرة المصرية المقدمة للجزائر .

كشف بيان الشحنة الخامسة من الاسلحة والذخيرة

(تونس والجزائر)

العدد	الصنف	عدد العبوات	العبوة	العلامات المميزة	ملاحظات
		السلاح			
٢٣٠	بنادقيه ٧ر٢	٦٦ قطعة	٥ بنادقيه	أحمر	كلها لتونس
١٣٦	بنادقية ٣٠ كر.	٤٢ قطعة	٥ بنادقيه	بدون أى علامة	منها ١٥٠ بندقية للجزائر والباقى لتونس
١٠٠	رشاش لانكستر	٢٠ قطعة	٥ رشاش	أحمر	منهم ٤٠ للجزائر والباقى لتونس
٢٣	رشاش لاو ٧ر٤	١٢ قطعة	١ رشاش عدا البنادق	أحمر	كلها لتونس
١١	رشاش ببكرز ٣٠ كر. بارابللم (كل ماسورة احتياطى)	٦ قطعة	٢ رشاش مع كل ١ خزنة	أحمر	كلها للجزائر
٥٠	مدفع برنا ٤ ملم	٢ قطعة	٢٥ مدفع	بدون علامات	كلها لتونس
٥	رصاصة ببرجا ٣٠ كر. بارابللم (البايونط ارفقها)	داخل أحد صناديق الذخيرة	—	—	عدد ٢ للجزائر و٣ لتونس
٢٠٠	خزنة لهم رشاش لانكستر	٢ صندوق	—	مستطيلة	توزع مع كل ٢ خزنة لكل رشاش لانكستر
٤٠	خزنة لرشاش الفيكرز	١ صندوق	—	صندوق كرتون للتراسير	للجزائر .
		الذخيرة			
٢٠٠ر٠٠٠	طلقة ٣٠ كر.	١٠ صندوق مستطيل	٢٠٠٠ طلقة	البنط الأبيض	توزع بنسبة الأسلحة
٤٠٠ر٠٠٠	طلقة ٧ر٧	٢٠ صندوق مربع	١٠٠٠ طلقة	شريط بنى فى الوسط	
٢٠٠ر٠٠٠	طلقة ١ ملم لمدافع الطيارات	٣٠ صندوق مربع	٢٥٠٠ طلقة	مدهون باللون الأخضر	
٥٠٠	قذيفة بازوكا	٤١ صندوق مستطيل	١٢	مدهون باللون البنى	٢٠٠ قنبلة للجزائر و ٣٠٠ لتونس
٦٠٠	طلقة ١ ملم للمدفع برنا	١ عبوة خشبية	٦٠٠ طلقة	صندوق مربع صغير	كلها لتونس
١٠٠	قنبلة اليد	١ عبوة	١٠٠ قنبلة	صغير أبيض	١٠٠ لتونس و ٢٠٠ للجزائر

تعليمات الأسلحة والذخيرة والمدافع المضادة للطائرات المصرية من تونس للجزائر . (محفوظات مكتب التحرير العربى)

القاهرة فى ٢٨/١/٦٠

عبد الناصر ... عبد الحكيم عامر

المصدر : فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ، ص 655 .

ملحق 12 : الدفعة التاسعة من الأسلحة والذخيرة المصرية المقدمة للجزائر .

العدد	الصنف	عدد العبوات	العبوة	العلامة المميزة	ملاحظات
				١ ـ السلاح	
٥٠٠	بنادق ألمانية ٧٠ م/م	١٠٠ لفة	٥ بندقية	لفة خيزران طولها ٤ أحمر	
٤٠	رشاش برن ٧٠٢ م/م	٤٠ لفة	١ رشاش	" " " ٤ "	عدد ٣٠ رشاشا من هذا الطراز مع البال به بها
٢٠٠	خزنة لتزويد القوس	٢٠ صندوق	١٠ خزنة	صندوق عاج كاكي طوله ٤ أحمر	يداخل كل صندوق ثمانية خزنة ملك ، ثمانية خزنة مملوءة طول " خمسة ان وتسعة "
٦٠١	رشاش أيطالي ضوء ١ م	٨٢ صندوق	٨ رشاش	صندوق خشب ازرق طوله ٤ أحمر	بكل صندوق ٢٤ خزنة لتزويد الرشاش
١٢٤٠	خزنة لتزويد رشاش ١ م	١ صندوق	١١٠ خزنة	" " " ٤ "	
١٠٠	رشاش برتا ١ م	٢٠ لفة	٥ رشاش	لفة خيزرانها ٥ أحمر	يداخل كل لفة ١٠ خزنة لتزويد
١٠٠	بنادق فرنساوي ٧٫٥ م	٢٠ لفة	٥ بندقية	لفة خيزرانها ٥ أحمر	
				٢ ـ الذخيرة	
٢٦٠٠٠٠	طلقة ٧٠٢ م/م رصاص	٢٧٠ صندوق	١٠٠٠ طلقة	شريط اصفر طوله ٥ أحمر	
٢٠٤٤٠	" " حارق	٢١ "	١٢٤٨ "	صندوق اسود كله	
١٨٠٠٠	طلقة ٩ م م للرشاش الايطالي	٩ "	٢٠٠٠ طلقة	" " ٥ " أحمر	
٢٥٠٠٠	طلقة ٩ م م للبرتا	٢٥ صندوق	١٠٠٠ طلقة	صندوق اسود مستطيل طوله ٥ أحمر	
٤٠٠٠٠	طلقة ٧٫٥ فرنساوي	٣٠ صندوق	١٤١٠ طلقة	دائرة حمراء ٥ أحمر	
٢٠٠٠٠	طلقة ٧٫٩٢	٢٠ صندوق	١٠٠٠ طلقة	شريط احمر ٥ أحمر	
٥٠٤٠	قنبلة يدوية سمدون	٢١ صندوق	٢٤ قنبلة	شريط ازرق ٥ أحمر	

المصدر : فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ، ص 664 .

تابع - ملحق 12 : الدفعة التاسعة من الأسلحة والذخيرة المصرية المقدمة للجزائر .

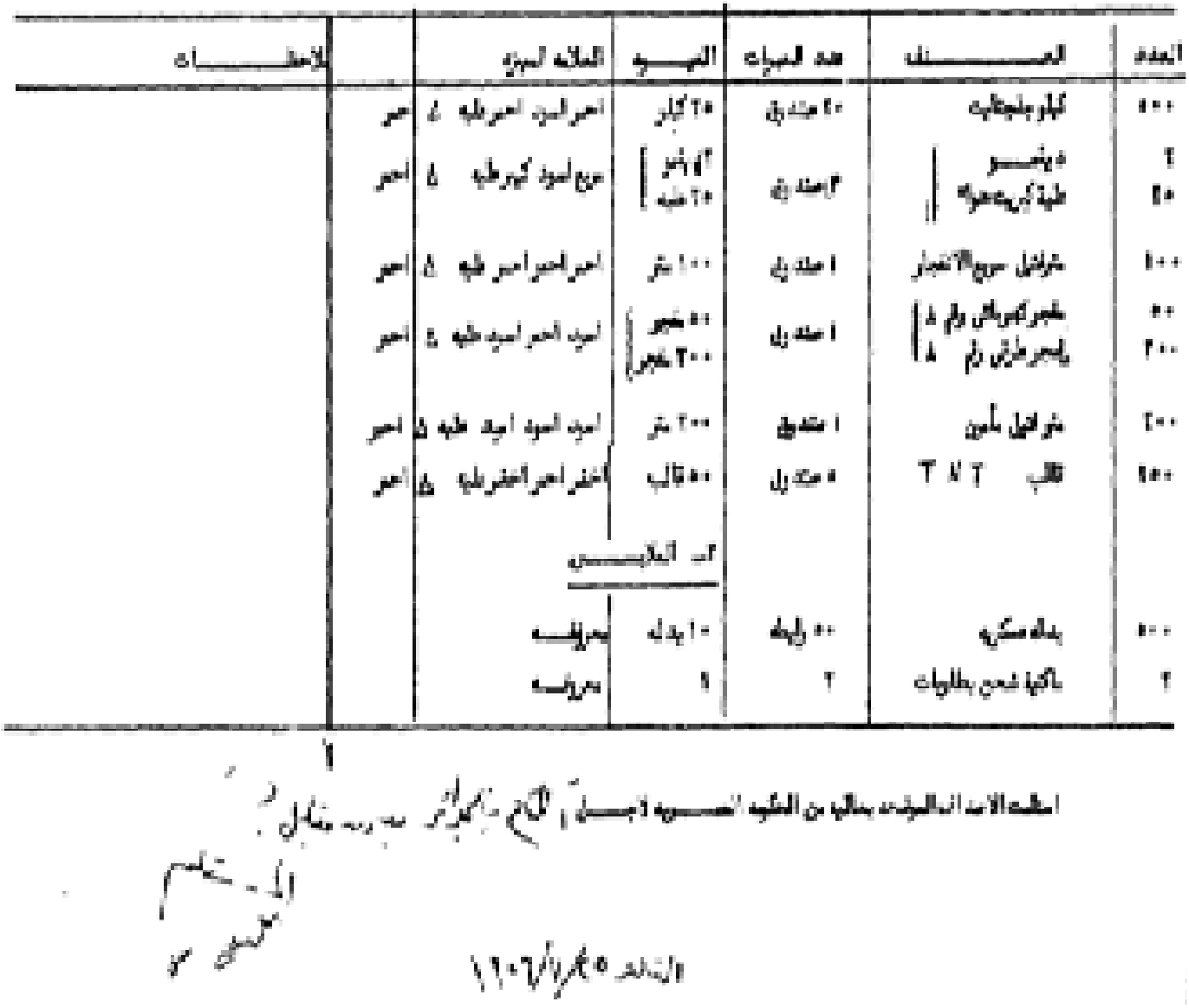

المصدر : فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ، ص 665 .

ملحق 13 : الأسلحة والذخيرة المقدمة للجزائر بتاريخ 17 جويلية 1959 .

مستند رقم ٤٦ : بيان الأسلحة والعتاد المسلمة في ١٧ يوليو ١٩٥٩ ص ١٤٢

GOUVERNEMENT PROVISOIRE
DE LA
REPUBLIQUE ALGERIENNE

MINISTERE DE L'ARMEMENT
ET DU
RAVITAILLEMENT GENERAL.

OPERATION "JUIN"

Matériel déchargé à Alexandrie le 17 Juin 59

Origine: U.S.A.

ARMES:

- P.M. Thompson II/43	2.000
- Carabine U.S. 7/62	4.000
- Fusils U.S. Riffle 7/62	20.000
- Fusils S-A Garant 7/62	2.000
Mitrailleuses légères 7/62 (refroid. air)	I.000
- Mitrailleuses lourdes (7/62 (" eau)	250
- Mitrailleuses lourdes II/7	50
- Mortiers de 60 MMT	I.000
- Mortiers de 81 MMT	200
- Canons 57 SR	300
- Canons 75 SR	100

MUNITIONS:

- 7/62 U.S. Riffle	9.600.000
- 7/62 U.S. X T II	I.600.000
- II/43	I.200.000
- II/7	400.000
- Obus de 60 Shell US	I50.000
- Obus de 81	30.000
- " de 57 SR	30.000
- " de 75 SR	I0.000

MATERIEL:

- Emetteur-Radio "Wireless Set"	40

استلمت الأسلحة والذخيرة والعتاد المذكور بحاليه من حكومة الجمهورية العربية المتحدة لصالح حرب التحرير في الجزائر وهذا أيضا على بذلك . "

١٩٥٩/٧/٢١

المصدر : فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ، ص 710 .

ملحق 14 : رسالة من أحمد بن بلة إلى فتحي الديب بتاريخ 12 فيفري 1962 .

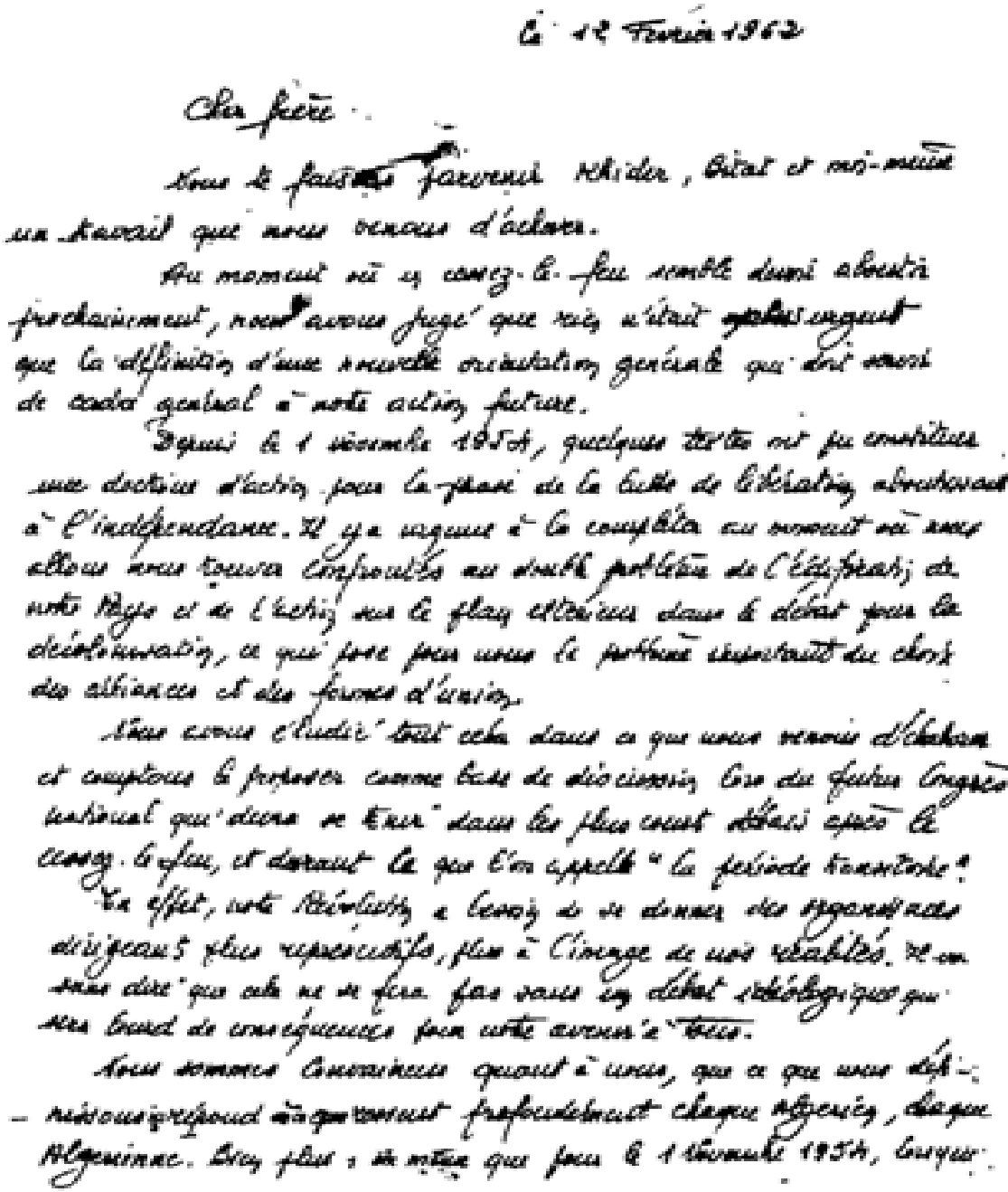

Le 12 Février 1962

Cher frère,

Nous te faisons parvenir Khider, Bitat et moi-même un accord que nous venons d'établir.

Au moment où ce courrier t'arrivera, nous aurons jugé que rien n'était plus urgent que la définition d'une nouvelle orientation générale qui doit servir de cadre général à notre action future.

Depuis le 1 Novembre 1954, quelques forces ont pu contribuer une certaine clarification pour la phase de la lutte de libération, aboutissant à l'indépendance. Il y a urgence à la compléter au moment où nous allons nous trouver confrontés au double problème de l'édification de notre Pays et de l'échec sur le plan diplomatique dans le débat pour la décolonisation, ce qui fera peser sur la position algérienne au sein des alliances et des forces d'union.

Nous avons étudié tout cela dans ce que nous venons d'adopter et comptons le proposer comme base de discussion lors du futur Congrès National qui devra se tenir dans les plus courts délais après le cessez-le-feu, et durant le quel il va appelé "la période transitoire".

En effet, notre détermination à vouloir se donner des organes dirigeants plus représentatifs, plus à l'image de notre réalité, ne doit pas nous faire perdre de vue le débat idéologique qui aura bien de conséquences pour notre avenir à tous.

Nous donnons également à nous, que ce que nous déjà - nous engagent à gouverner profondément chaque Algérien, chaque Algérienne. Bien plus : la mise que fera le 1 Novembre 1954, engage

المصدر : فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ،ص 726 .

تابع - ملحق 14 : رسالة من أحمد بن بلة إلى فتحي الديب بتاريخ 12 فيفري 1962 .

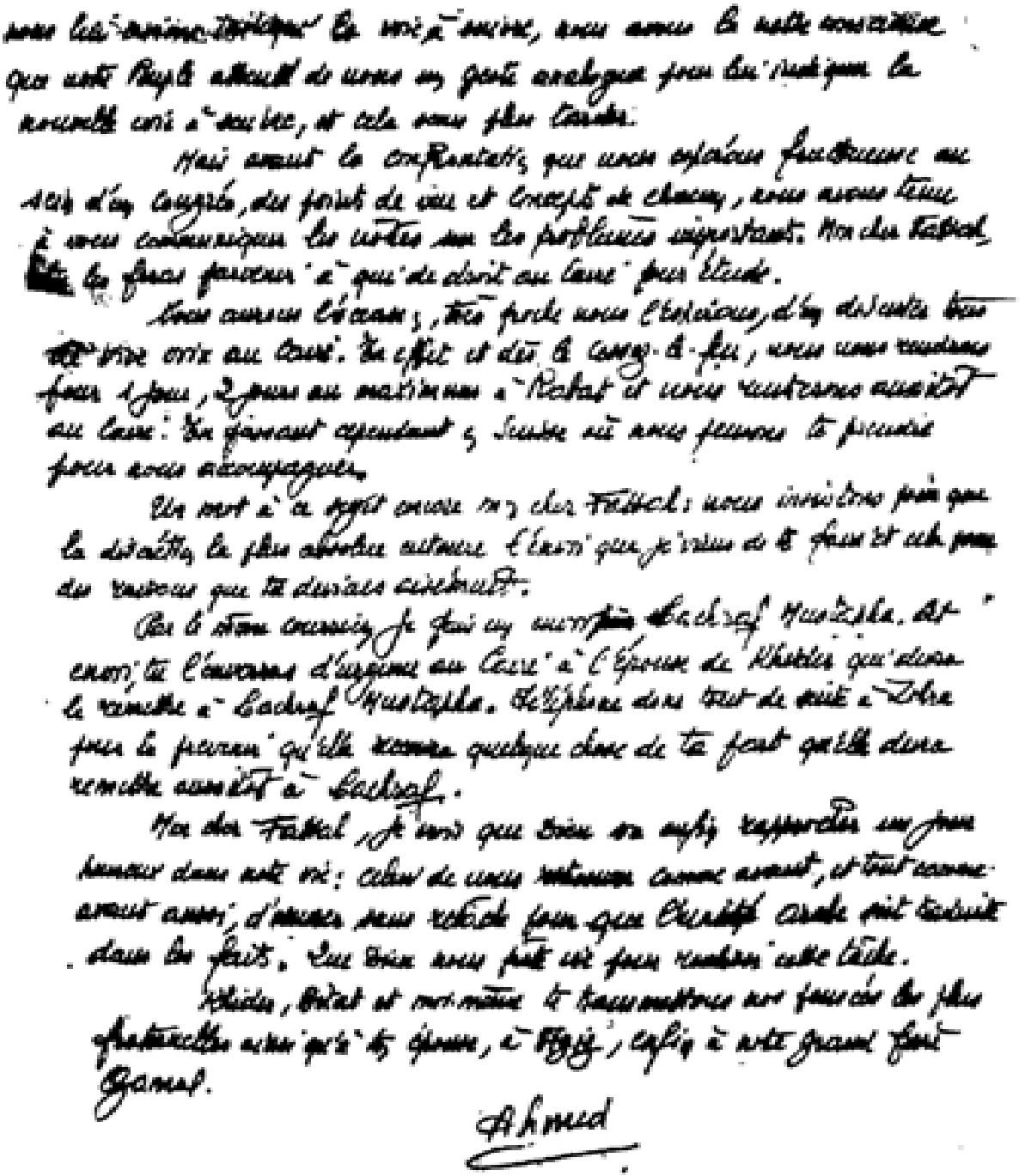

المصدر : فتحي الديب : عبد الناصر وثورة الجزائر ،ص 727 .

الملحق 15: أحمد بن بلة وهواري بومدين يتفقدان انفجار السفينة المصرية " نجمة الإسكندرية "

المصدر : محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى ، ص 167 .

الملحق 16: الرئيس أحمد بن بلة يتفقد مكان الانفجار لنجمة الإسكندرية .

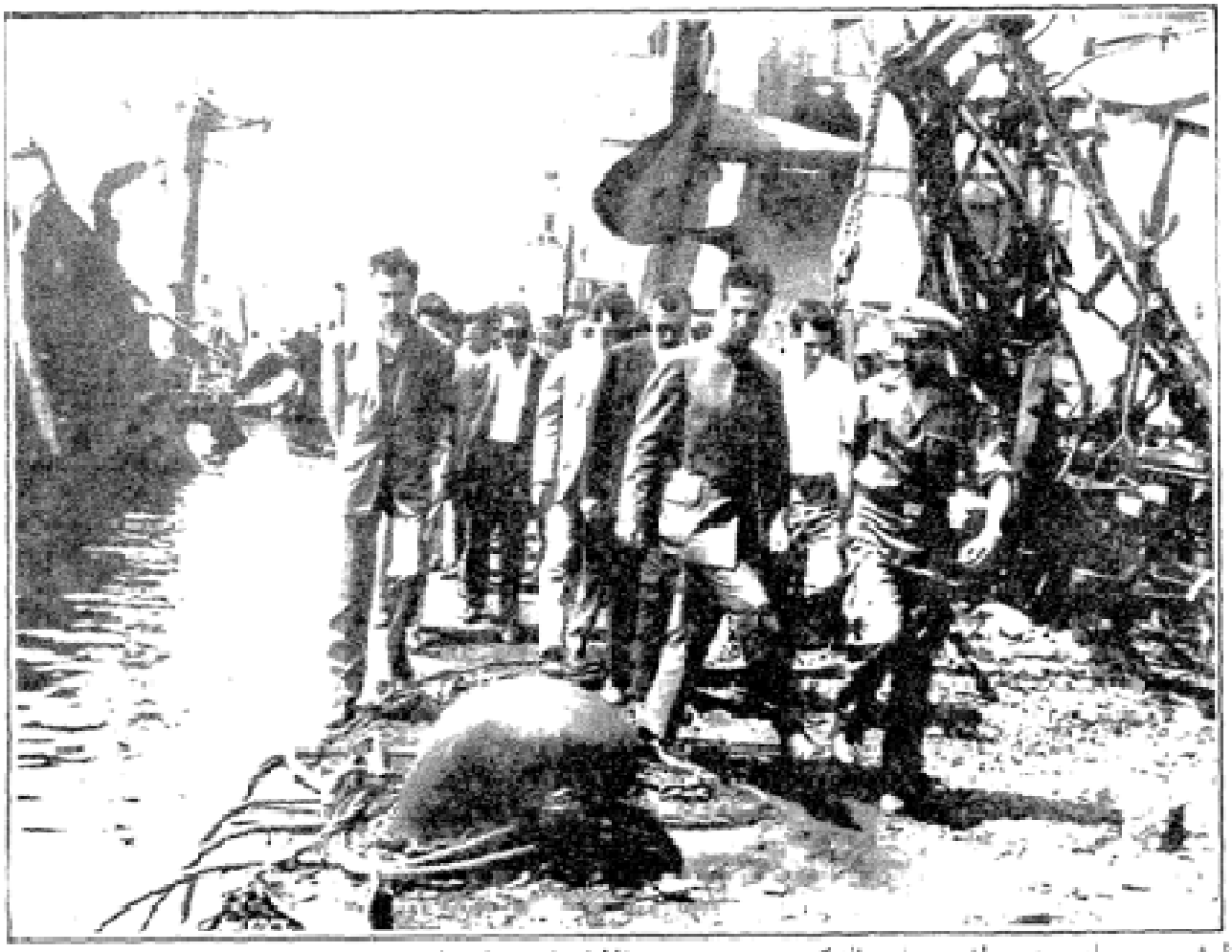

الرئيس بن بله يستمع لشروحات الدكتور عميمور عن الإنفجار، وفي اليسار وزير الدفاع العقيد هواري بو مدين

المصدر : محي الدين عميمور : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى ، ص 160.

الملحق 17: صورة لفندق الأوراسي .

المصدر : محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، ص 86 .

الملحق 18: مسجد وجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة .

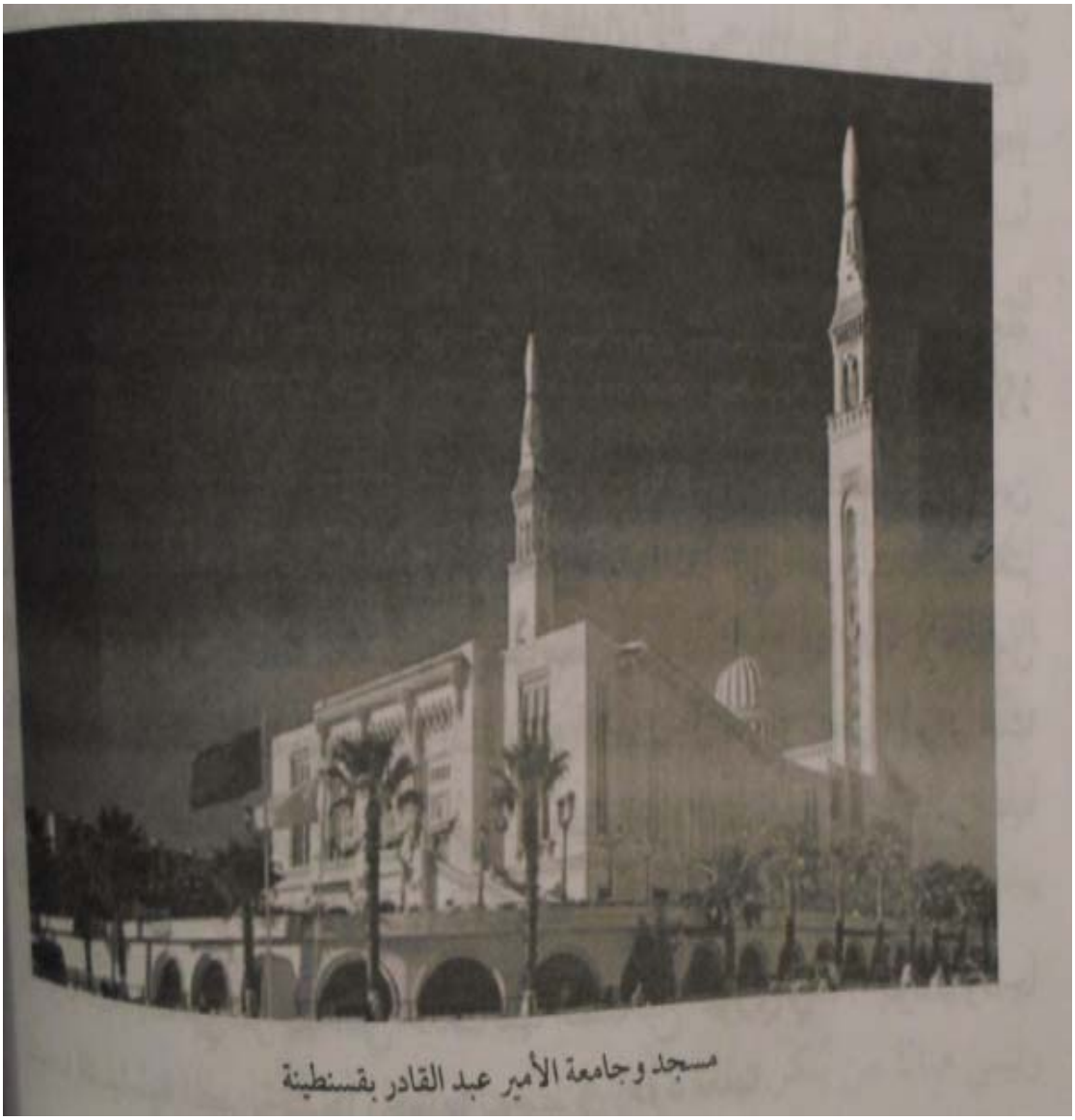

مسجد وجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة

المصدر : محي الدين عميمور : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، ص 86 .

قـــائمـــــــة

البيبليوغرافيا

(المصادروالمراجع)

قائمة المصادر والمراجع

البيبليوغرافيا

ـ المصادر والمراجع باللغة العربية :

1 - المصادر : أ- الكتب المطبوعة :

1- بلحسين مبروك : المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر – القاهرة 1954- 1962) ، دار القصبة ، الجزائر ، 2007 .

2- بورقعة لخضر : شاهد على اغتيال الثورة ، دار الحكمة ، الجزائر ، 1990 .

3- بن نبي مالك : من أجل التغيير ، ط1، دار الفكر ، دمشق ، 1995 .

4- بن خدة بن يوسف : اتفاقيات إيفيان ، تعريب لحسن زغدار ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1987 .

5- جمعة إبراهيم : العملاق الجديد ، دار الفكر العربي ، ط3 ، 1959- 1960 .

6- الخولي لطفي : عن الثورة ، في الثورة ، التجمع الديمقراطي البومديني ، الجزائر ، 1975 .

7- الديب فتحي : عبد الناصر وثورة الجزائر ، ط1، دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، .1984

8- روبير ميرل : مذكرات أحمد بن بلة كما أملاها عليه ، ترجمة العفيف لخضر ،ط1، دار الآداب ، بيروت ، 1979 .

9- زبيري طاهر: نصف قرن من الكفاح ، مذكرات قائد أركان جزائري ، الشروق أون لاين ، 5أكتوبر .2011

10- سعدي عثمان : التعريب في الجزائر ،كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية ، دار الأمة ، الجزائر ، .1993

11- سعدي عثمان : قضية التعريب في الجزائر ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د،ت) .

12- سعد الله أبو القاسم : حصاد الخريف ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2011 .

13 - سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الثاني ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009

14- صايكي محمد : مذكرات النقيب محمد صايكي ، شهادة ثائر من قلب الجزائر ، تحرير محفوظ اليزيدي ، ط2 ، دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر ، (د، ت) .

15- عميمور محي الدين : أيام مع الرئيس هواري بومدين وذكريات أخرى ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1995 .

16- عميمور محي الدين : أربعة أيام صححت تاريخ العرب ، دار هومة ، الجزائر ، 2010 .

17- العربي محمد الزبيري : الثورة الجزائرية في عامها الأول ، ط1 ، دار البعث ، الجزائر ، 1984 .

18- كافي علي : مذكرات علي كافي ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1999 .

ب- الدوريات والصحف :

1- مجلة الجيش : " زيارة المشير عبد الحكيم عامر إلى الجزائر " ، العدد التاسع ، السنة الأولى ، نوفمبر 1964 .

2- مجلة الجيش : " ماذا وراء حادث عنابة " ، العدد السادس ، السنة الأولى ، أوت 1964 .

3- مجلة الجيش : " ذكرى 23 يوليو "، العدد 17 ، السنة الثانية ، جويلية 1965 .

4- مجلة الجيش : العدد 260 ، نوفمبر 1987 .

5- سعدي عثمان : " التعريب مطلب شعبي وقومي " ، الجيش ، العدد 33 ، السنة الثالثة ، ديسمبر 1966 .

6- سعدي عثمان : " التعريب مطلب شعبي وقومي " ، الجيش ، العدد 34 ، السنة الرابعة ، جانفي 1967 .

7- الطيب برغوث : " طه حسين والثورة الجزائرية " ، الثقافة ، العدد 29 ، أكتوبر – نوفمبر 1975 .

8- تركي رابح : " التعليم والتعريب ، الجامعة الجزائرية بين الأمس واليوم " ،الشعب اليومية ، 23 أكتوبر 1965.

9- د.صلاح العقاد : " التعليم والتعريب " ، الشعب ، 2 أكتوبر 1965 .

10- جريدة الشعب : "الأخ أحمد بن بلة يهنئ الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة ترشيحه لرئاسة الجمهورية " ، السنة الثالثة ، العدد 657 ، 28 جانفي 1965 .

11- جريدة الشعب : " برقية مواساة من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الأخ أحمد بن بن بلة " ، السنة الثالثة ، العدد 640 ، 8 جانفي 1965 .

12 – جريدة الشعب : " الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الأخ بومدين " ، السنة الثالثة ، العدد 645 ، 14 جانفي 1965 .

13- جريدة الشعب : " وزير العدل يواصل إقامته بالجمهورية العربية المتحدة " ، السنة الثالثة ، العدد 674 ، 18 فيفري 1965 .

14- جريدة الشعب : " الأخ أحمد بن بلة يعزي المشير عامر " ، السنة الثالثة ، العدد 669 ، 12 فيفري 1965 .

15- جريدة الشعب : " الأخ بوديسة يجري اتصالات هامة بمسؤولي النقابات في الجمهورية العربية المتحدة " ، السنة الثالثة ، العدد 649 ،19 جانفي 1965 .

16- جريدة الشعب : " الرئيس عبد الناصر يشكر الطلبة الجزائريين " ،السنة الثالثة ،العدد 687 ، 5 مارس 1965 .

17- جريدة الشعب : " تواصل المباحثات التجارية بين الجزائر والعربية المتحدة " ، السنة الثالثة ، العدد 696 ، 16 مارس 1965 .

18 جريدة المجاهد : " أداء المعركة في العالم " ، العدد 25 ، 19 ديسمبر 1960 .

2- المراجع :

أ- الكتب المطبوعة :

1- بن محمد علي : معركة المصير والهوية في المنظومة التعليمية ، دار الأمة ن الجزائر ، 2011 .

2- بوشعير سعيد : النظام السياسي الجزائري ، دار الهدى ، الجزائر ، (د،ت) .

3- بلاسي أحمد نبيل : الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1990 .

4- بشيري أحمد : الثورة الجزائرية والجامعة العربية ، منشورات تالة ، الجزائر ، 2009 .

5- بوضربة عمر : النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (سبتمبر 1958 – جانفي 1960) ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2010 .

6- بلقاسم محمد وآخرون : القواعد الخلفية للثورة الجزائرية ، الجبهة الشرقية 1954 – 1962 ، المركز الوطني للدراسات والأبحاث ، الجزائر ، 2007 .

7- بن سلطان عمار وآخرون : الدعم العربي للثورة الجزائرية ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ، الجزائر ، 2007 .

8- حاروش نور الدين : رؤساء الجزائر ، دار الأمة الجزائرية ، 2012 .

9- الخالدي سهيل : جيل قسما ، الثورة الجزائرية وأثرها في الفكر العربي المعاصر ، الجزائر ، 2012 .

10- دبش اسماعيل : السياسة العربية والمواقف الدولية اتجاه الثورة الجزائرية (1954 – 1962) ، دار هومة ، الجزائر ، 2000 .

11- زرهوني طاهر : التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال ، دار موفم للنشر ، الجزائر ، 1993 .

12- زايد مصطفى : التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر (1962- 1980) ، مدخل سوسيولوجي جديد لدراسة التعليم والتنمية في المجتمعات السائرة في طريق النمو ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 .

13- سعيدي وهيبة : الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح (1954- 1962) ،دار المعرفة ، الجزائر ، 1994 .

14 – الصغير مريم : المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954 – 1962 ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2010 .

15- عباس محمد : الاندماجيون الجدد ، منشورات دحلب ، الجزائر ، 1993 .

16- لونيسي إبراهيم : الصراع السياسي في الجزائر خلال عهد الرئيس أحمد بن بلة ، دار هومة ، الجزائر ، 2011 .

ب – الأطروحات والرسائل والدوريات :

1- أبو زكريا يحي : الجزائر من أحمد بن بلة إلى عبد العزيز بوتفليقة ، أطروحة دكتوراه ، نشر إلكتروني ، جويلية 2003 .

2- بن عبد الرحمان هشام : العلاقات الجزائرية المصرية 1962- 1978 ، مذكرة ماجستير ، الجزائر ، 2011- 2012 .

3- لميش صالح : مصر وثورة التحرير الجزائرية (1954- 1962) ، مذكرة ماجستير ، الإسكندرية ،.1988

4- الصغير مريم : المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954 – 1962 ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2003 – 2004 .

5- ولد بوسيافة رشيد : تعامل مصر مع الثورة الجزائرية من خلال كتاب " عبد الناصر وثورة الجزائر " ، مذكرة ماجستير ، الجزائر ، 1997- 1998 .

6- بن محمد علي : " سنوات الاستقلال الأولى " ، لقاء خاص ، برنامج الحلقة المفقودة ، الحلقة الأولى ، تلفزيون الشروق .

7- الخالدي سهيل : " عن جيش التعريب الجزائري " ، الجزائر نيوز ، 17 ديسمبر 2010 .

8- لوصيف سفيان : " السجال اللغوي وتطور التعريب في الجزائر بعد الاستقلال " ، نشر إلكتروني ، قسم التاريخ ، جامعة فرحات عباس ، سطيف ، الجزائر .

9- بوابة الشروق : " مدرسة مصرية بالجزائر أنشأها عبد الناصر وتخرج منها الآلاف من 14 دولة " ، موقع بوابة الشروق ، الجمعة 15 مارس 2013 .

10- د.هدى جمال عبد الناصر: " مسيرة نضال عبد الناصر وابن بلة ، رفاق كفاح " ، دراسات وبحوث سياسية ، مركز صبر للإعلام والدراسات ، القاهرة ، 2012 .

11- موسوعة ويكبيديا ، والموسوعة العربية العالمية .

12- موسوعة تاريخ الجزائر الإلكترونية ما بين 1830 – 1962 .

3- المراجع باللغة الفرنسية :

1-Benjamin Stora : Histoire de l'Algérie depuis l'indépendance 1962- 1988 , Paris , la découverte , 4ème édition , 2004 .

2- Benjamin Stora : Algérie histoire contemporaine 1830 – 1988, casbah édition , Alger , 2009 .

3- Djamel Labidi : Science et pouvoir en Algérie, O.P.U, Alger , 1992 .

4- Mahfoud Bennoune : Education , culture et développement en Algérie , E.N.A.G, marinoor , Alger , 2000 .

5- Paul Balta : L'Algérie des algériens vingt ans après , les éditions ouvrières , paris ,1981

6- La Charte d'Alger : Ensemble des textes adoptés par le 1er congres du parti du front de libération nationale du 16 au 21 avril 1964 , annexe : la sitution économique et sociale au lendemain de l'indépendance .

7- El moudjahid : " L'Organisation de l'eseignement national et la lutte contre l'analphabétisme " , n 95 , 7 aout 1962 .

8- El moudjahid : " Le monde entier salue l'indépendance de l'Algérie" , n 95 , 7 aout 1962 .

9- El moudjahid : " Première représentation de la R.A.U en Algérie " , n 103 , 17 novembre 1962 .

10- El moudjahid : " De l'Egypte nouvelle à la République Arabe Unie ou le chemin de la révolution" , n 126 , samedi 4 mai 1963 .

فـــهرس
الموضوعـــــات

فهرس الموضوعات

- **المقدمة** :
- **الفصل الأول : العلاقات الجزائرية المصرية إبّان الثورة التحريرية (1954 – 1962)**

√**المبحث الأول : الموقف المصري من الثورة الجزائرية عشية اندلاعها 9**

√**المبحث الثاني : علاقة جمال عبد الناصر بأحمد بن بلة وأثر ذلك على سير العلاقات 16**

√**المبحث الثالث : الدعم المصري للثورة الجزائرية 24**

- **الفصل الثاني : الوضع في الجزائر غداة الاستقلال .**

√**المبحث الأول : الميدان الاجتماعي 37**

√**المبحث الثاني : الميدان الاقتصادي 45**

√**المبحث الثالث : الميدان الثقافي 54**

- **الفصل الثالث : التعاون المصري الجزائري عشية الاستقلال .**

√**المبحث الأول : في الميدان السياسي 68**

√**المبحث الثاني : في الميدان الاقتصادي 78**

√**المبحث الثالث : في الميادين الأخرى 85**

- **الفصل الرابع : الدعم المصري للجزائر في الميدان الثقافي في عهد الرئيس أحمد بن بلة .**

√**المبحث الأول : في ميدان التعليم بمختلف أطواره (ابتدائي – متوسط – ثانوي – جامعي) 93**

√**المبحث الثاني : المجالات الثقافية الأخرى 102**

√**المبحث الثالث : الصعوبات والعراقيل التي واجهت هذا التعاون 108**

- **الخاتمة 121**
- **الملاحق 126**
- **المصادر والمراجع 154**
- **فهرس المحتويات 160**